تاريخ شرقي الجزيرة العربية

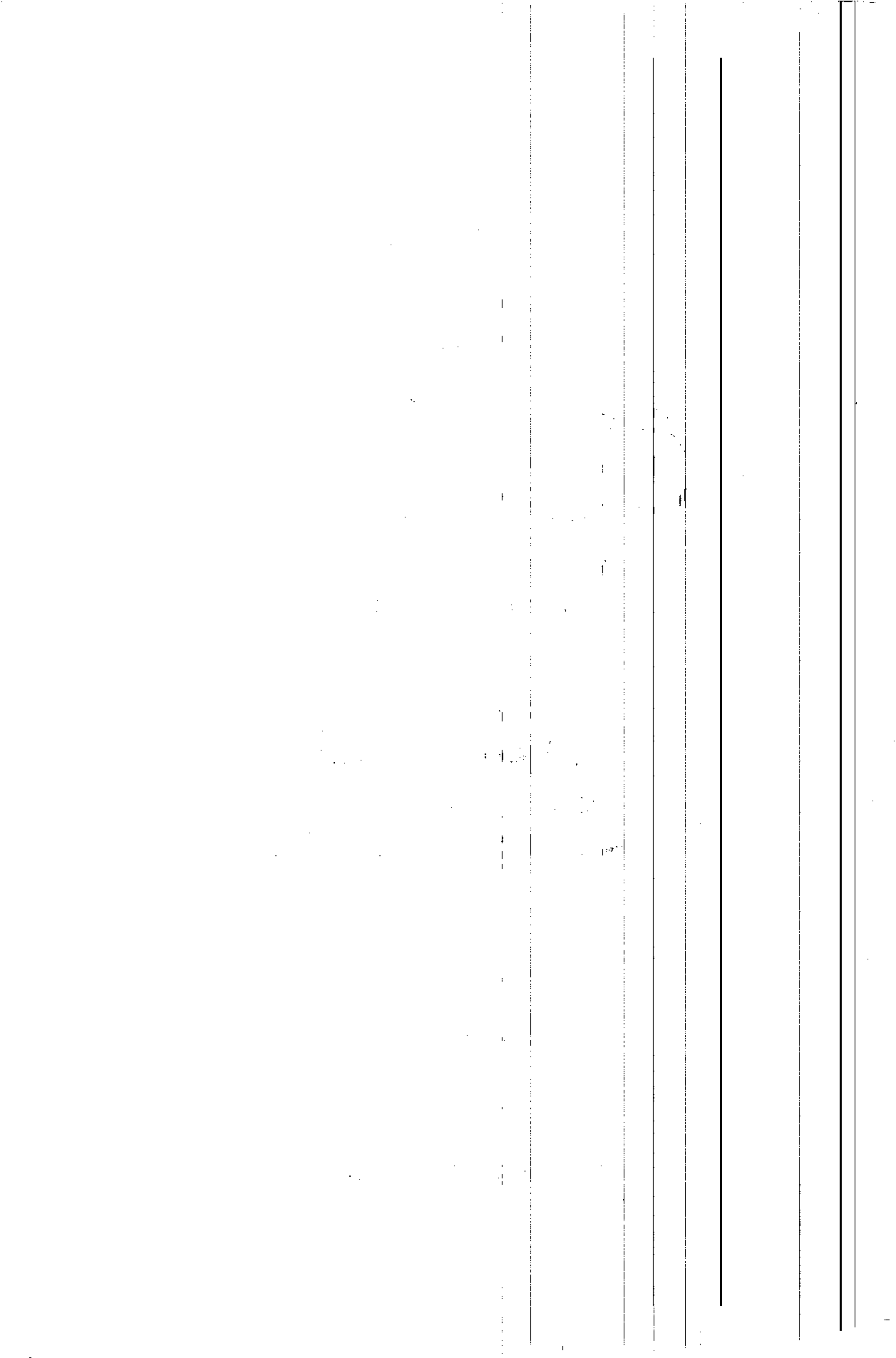
نشأة وتطور الكويت والبحرين

تأليف: أحمد مصطفى أبو حاكمة

ترجمة: محمد أمين عبد الله

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت



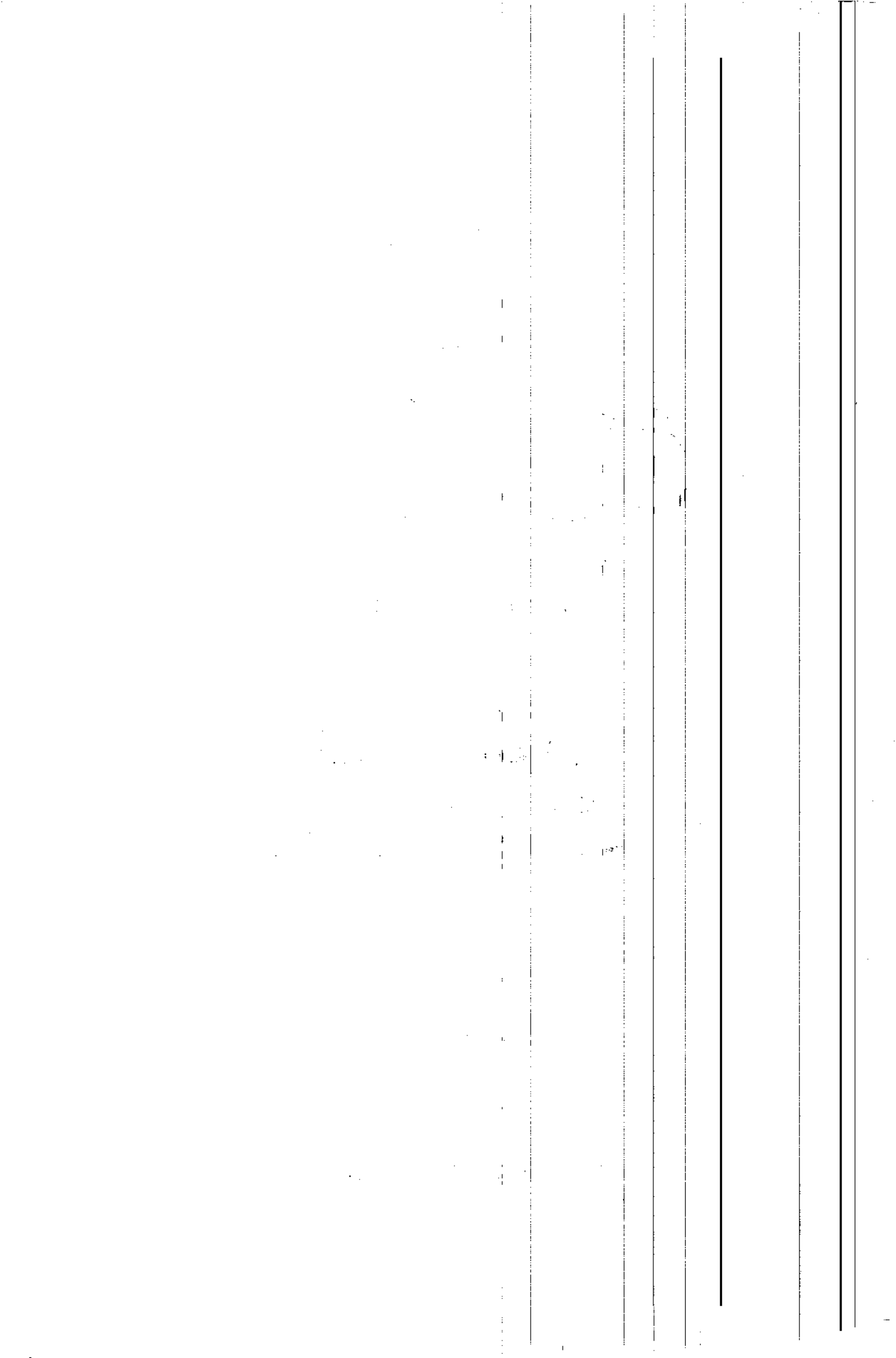


تاريخ
شرقي الجزيرة العربية
١٧٥٠ ـ ١٨٠٠

نشأة وتطور
الكويت والبحرين

تأليف أحمد مصطفى أبو حاكمة
ترجمة محمد أمين عبد الله

منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت



هذا الكتاب حصيلة بحث لنيــــل درجة
الدكتوراه في الفلسفة (قسم التاريخ)
من جامعة لندن
قد اهداه المؤلف إلى عرب الخليج

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

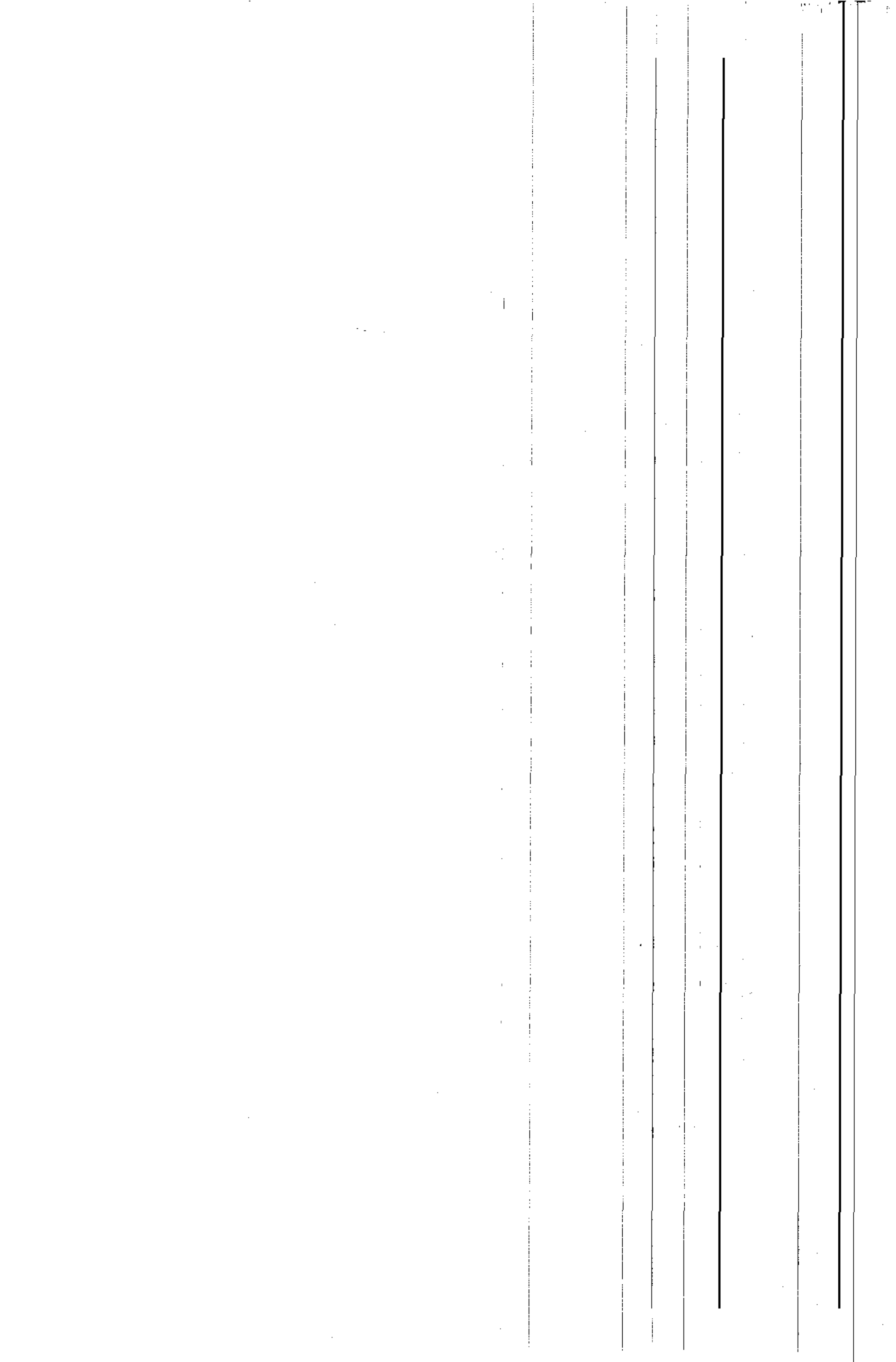
مقدمة المؤلف

أود أن اعرب عن شكري الصادق للبروفسيور برناردلويس(*Bernard Lewis*) الذي تحقق هذا العمل بتوجيهه الملهم . وللدكتور ام. أى.ياب (*D. M. E. Yapp*) على الاقترحات القيمة التي اسداها إلى .

كذلك اسجل تقديري للتعاون القيم من جميع افراد ادارة مكتبة المعهد البريطاني وادارة قسم شئون الهند ومعهد الدراسات الشرقية والافريقية . وادين بالشكر أيضاً للمستر جي . دي . بيرسون (*J. D. Pearson*) المشرف على مكتبة معهد الدراسات الشرقية والافريقية على مساعدته القيمة في الحصول على نسخ مصورة من رسائل خارجية كذلك فاني إمدين بالشكر اصدقائيلى الكويتين على ما قدموه لي من معلومات قيمة عن تاريخ بلادهم وتقاليدها ومن الذين ادين لهم بالشكر ايضاً الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة ابن عم حاكم البحرين تقديراً لما قدمه إلى من معاومات مماثلة عن تقاليد آل خليفة كما اشكر المجلس البريطاني على تقديمه المنحة التي مكنتني من انجاز هذا العمل والذي لولاه لتعذر إنجازه .

كذلك اوجه كلمة شكر إلى المستر د س . جي . يلي . المعتمد السياسي البريطاني السابق في الكويت لما امدني به من معلومات تاريخية حول الموضوع وأخيراً اشكر المستر البرت حوراني ، الاستاذ في كلية سانت انتوني بجامعة اكسفورد وأحد أساتذة التاريخ العربي الحديث البارزين والذي كان له الفضل في اخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود .

جامعة الاردن ــ عمان ــ مارس ١٩٦٥ .



محتويات الكتاب

مقدمة

يتناول هذا الكتاب تاريخ دولة العتوب التي قامت في الجزء الشرقي من شبه جزيرة العرب خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر . فلقد اهمل المؤرخون قيام دولة العتوب ، اسلاف الاسر الحالية الحاكمة وحكام الكويت والبحرين .

الفصل الأول من الكتاب يتطرق إلى الاوضاع في شرقي الجزيرة العربية والخليج العربي خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر . والعوامل التي تضافرت فمهدت الطريق لقيام اول دولة للعتوب في الكتويت .

أما الفصل الثاني فيتناول اصل العتوب ويصور المحاولات المبذولة للاجابة على كثير من الاسئلة المتعلقة بنشأة الكويت وظهور عائلة آل صباح كأول دولة من دول العتوب تقوم على تلك المنطقة وذلك في عام ١٧٥٢ .

في عام ١٧٦٦ هاجر ابناء عمومة اسرة آل صباح برفقة غيرهم من عائلات العتوب إلى الجنوب وأسسوا دولة الزبارة في قطر . اما الفصل الثالث من الكتاب فيناقش النمو السريع في تجارة العتوب الذي بدأ في اعقاب تأسيس الدولة كما يتناول جوانب اخرى من تاريخ العتوب .

ولقد أثارت النجاحات التجارية التي حققها العتوب في الكويت والزبارة حسد القبائل العربية الأخرى في المنطقة ، وبصورة خاصة سكان الجزء الساحلي من الخليج . ولقد اسفرت العمليات العسكرية بين العتوب والقبائل الاخرى

عن الاستيلاء على جزر البحرين في عام ١٧٨٢ ، وأصبح بعدها العتوب أقوى دولة بحرية عربية في الخليج . أما نمو قوة العتوب حتى سنة ١٧٩٠ فقد تناولناها في الفصل الرابع من الكتاب .

وبحلول عام ١٧٨٠ ، استولى الوهابيون على معظم اجزاء المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية ، وبدأوا حروبهم ضد بني خالد . حكام الاحساء ثم ضد دول العتوب الواقعة على الساحل .

أما عن الوهابية ، والصراع بينهم وبين الوهابيين وعلاقة هؤلاء بالعتوب فقد تناولناها في الفصل الخامس من الكتاب .

أما الفصل السادس فيتعرض للنواحي التجارية من تاريخ العتوب ويبين مدى النجاح الذي حققوه في هذا المضمار والذي كاد ان يجعلهم المحتكرين الرئيسيين لتجارة شرقي شبه الجزيرة العربية .

أما فيما يختص بعلاقات العتوب بالدول الاوربية وغيرها من القوى في المنطقة فهذه قد تناولناها بالبحث في مختلف فصول الكتاب .

تمهيد

تعتبر فترة القرنين السابع عشر والثامن عشر فترة لم يحظ فيها تاريخ الشرق الاوسط باهتمام الباحثين — ومن ناحية اخرى فان المستشرقين الغربيين الذين انصبّ اهتمامهم على معالم الحضارة الاسلامية القديمة سواء في مراحلها العربية ، او مراحلها الفارسية او التركية ، فقد ركزوا على جوانب العظمة والاصالة في تلك الحضارة ولم يحفلوا بمراحل الركود والانحلال . وكذلك المؤرخ العربي ، فقد آثر هو الآخر وهذا شيء طبيعي ، ان يوزع اهتمامه على عهود العظمة التاريخية القديمة وعلى مراحل انتعاشها الجديد مديراً ظهره لفترات الضعف والانحلال . وما تخللها من سلبية ظاهرة .

ولقد أدت هذه المواقف إلى اهمال كثير من الجوانب الهامة والقيمة في هذا التاريخ . ان كل حقبة تاريخية ، على حد رأى المؤرخ الالماني الكبير ليبولد فون رانك(*Leopold Von Raunke*) قريبة من الله قرباً كبيراً . فكل مرحلة من مراحل التاريخ مشرقة كانت او معتمة ، هي هامة في حد ذاتها ، وجديرة بالدراسة والبحث .

وثمة اسباب كثيرة ، على أي حال ، لا تسمح باهمال مراحل الكساد في التاريخ .

وفي الشرق الاوسط ، كما هو الحال في أي مكان آخر فان الماضي الحي المتفاعل هو تعبير عن الاسس ، وما قبله .

ان اسلوب كتابة الأسماء العربية في هذا الكتاب هو نفس الاسلوب المتبع عموماً من جانب المستشرقين الغربيين الوارد في دائرة المعارف الاسلامية . على ان المجالات الميكانيكية المحدودة امام المطبعة قد حتمت الخروج على هذه القاعدة في بعض المواضع .

المصادر

لقد استعنت في كتابة تاريخ الدول التي اسسها العتوب في شرقي الجزيرة العربية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر على المراجع العربية والاوربية على السواء . وتعتبر هذه اول محاولة من نوعها لوضع تاريخ عن دول العتوب التي قامت في المنطقة ذلك انه لم يسجل التسجيل الوافي الا النزر اليسير من ذلك التاريخ . ويعود السبب في ذلك اساساً إلى ان المؤرخين العرب الذين عالجوا هذا التاريخ لم يرجعوا فيه إلى مصادره الاوربيه ، كما ان المؤرخين الغربيين ممن تعرضوا له لم يراجعوا بدورهم مصادره العربية . اما هذا الكتاب فانه يجمع في دراسته لهذا التاريخ بين هذين المصدرين .

ولئن كان بعض الكتاب قد افادوا من هذه المصادر في معالجتهم لشئون الخليج وشبه الجزيرة العربية كلما اضطروا إلى ذلك ، فان معلوماتهم عن هذا الموضوع لا تصلح ان تكون اساساً لكتابة تاريخ العتوب كما ان المؤلفات العربية عن هذا التاريخ لم تستغل قبل الآن على الاطلاق وبالتالي فان تقييم هذه المصادر في غالبيتها بالقياس إلى ما تلقيه من اضواء على تاريخ العتوب خصوصاً وشرقي الجزيرة العربية عموماً يبدو أمراً لا مفر منه .

ولعله من المناسب ان نقسم هذه المراجع إلى المجموعات التالية : —

أ — المراجع العربية .
ب— التراث الشعبي .
ج — سجلات حكومة الهند .
د — الرحالة الاوربيون .
هـ — المؤلفات الاوربية الحديثة .

١ – المصادر العربية :

لا تزال المصادر العربية المعاصرة او شبه المعاصرة في هيئة مخطوطات وان الاعداد القليلة التي نشرت من هذه المخطوطات ما تزال ، على ما يبدو ، في شكل مقتضب ، أو انها نادرة الوجود ندرة المخطوطات نفسها .

ومن الضروري ان نشير هنا إلى ان هذه المصادر لا تتناول المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، او دولة العتوب ، وانما بالاحداث التي تتصل بها .

ان كتاب القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر من العرب الذين تلقي مؤلفاتهم ضوءاً على تاريخ شرقي الجزيرة العربية، ينتمون في الغالب إلى نجد والعراق . فجماعة المؤرخين النجديين هي التي ارخت للثورة الاسلامية التي قام بها الوهابيون ، بينما تأثر المؤرخون العراقيون بالحكم العثماني لبلادهم .

لقد كان حسين بن غنام اول مؤرخ وهابي . وينقسم مؤلفه « روضة الافكار والافهام » إلى مجلدين . ففي المجلد الاول يتحدث المؤلف عن اوضاع نجد والمناطق المجاورة لها .

ويروى في كتابه بأن سكان هذه المناطق لم يكونوا من المسلمين اطلاقاً في ذلك الوقت ، اما في الفصل الثاني فقد تحدث المؤلف بالتفصيل عن اسرة محمد بن عبد الوهاب ، وعن نجاحاته وتأثيره على بقية الشيوخ الذين عاصروا عهده . بينما تتضمن الفصول الثلاثة الأخرى شرح العقيدة الوهابية كما تحددها رسائل الشيخ محمد عبد الوهاب إلى أنصاره من الوهابيين وغيرهم ولما كان ابن غنام احد انصار الشيخ محمد ، فان هذا المجلد يكتسب أهمية قصوى في معالجته الفكرة الوهابية . لقد كانت للعقيدة الوهابية ، إلى جانب تعاليم مؤسسها الشيخ محمد عبد الوهاب ، نتائج خطيرة في شرقي شبه الجزيرة العربية وغيرها من اجزاء شبه الجزيرة العربية .

أما المجلد الثاني بعنوان « كتاب الغزوات البيانية الخ » فهو أول كتاب

تاريخي عن الوهابية والمؤلف يقول في مستهل الكتاب بأن غرضه من تأليف الكتاب هو نشر العقيدة الوهابية التي يدين بها ، بداية من سنة ١١٥٩ — ١٧٤٦ عندما وجد محمد عبد الوهاب نفسه مضطراً إلى التزوح من بلده العينية في نجد ليحل لاجئاً سياسياً في الدرعية معقل آل سعود بعد ان اضطره سليمان بن محمد زعيم بني خالد على الفرار . وقد كان لهذا الحادث اهميته واثره على سير التاريخ في هذه المنطقة عبر الخمسين سنة التالية . وقد شن الوهابيون ، حتى هزيمتهم في ١٧٩٥ حروباً ضد بني خالد ، وعلى حمة العتوب وغيرهم من القبائل الصغيرة القاطنة منطقة شرقي الجزيرة العربية . ولما كانت الوهابية هي العقيدة السائدة آنذاك فان كتاب ابن غنام يعتبر مرجعاً فريداً في تتبعه للتوسع الوهابي نحو الجزء الشرقي من نجد . وتنبع أهمية المؤلف من كونه قد عاصر الاحداث التي تناولها بالبحث وكان على دراية تامة بالمعلومات التي اوردها والافراد الذين احتك بهم احتكاكاً شخصياً .

ويصور ابن غنام في هذا الكتاب روح العقيدة الوهابية على حقيقتها ، فيصف خصومه بالكفرة « واعداء الله الخونة ... الخ » ومع ذلك فان كتابه على جانب عظيم من الاهمية . لما يحويه من سرد حقيقي لاخبار المعارك والمناوشات سواء كانت نتائجها في صالح الوهابيين او كانت ضدهم . والواقع ان وصف ابن غنام لتلك المعارك يفوق وصف المؤرخ الوهابي ابن بشر في المامه بها وفي تفصيله لاحداثها . والحق ان الكتاب المعاصرين يكنون احتراماً كبيراً لآراء هذا المؤلف وينتهي كتاب الغزوات فجأة باحداث عام ١٢١٢ — ١٧٩٧ ، على الرغم من ان ابن غنام قد عاش ثلاثة عشر عاماً بعد ذلك التاريخ .

---

(١) — للاطلاع على عنوان الكتاب راجع الفهرست . ان هذا الكتاب يوجد في شكل مخطوط وكتاب مطبوع في نفس الوقت وتوجد نسختان خطيتان منه في مكتبة المتحف البريطاني اما البطريق في « الحكم التركي والمصري للجزيرة العربية » (١٨١٠ — ١٨٤٠) (على هيئة رسالة قدمت بجامعة لندن ١٩٤٧ فقد استعان في نسخة خطية كتبها « فوزان » الوزير السعودي السابق في مصر »

أما عثمان بن عبد الله البشر (١٨٧١ — ١٢٨٨) فيسجل في كتابه « عنوان المجد في تاريخ نجد » الحركة الوهابية منذ مراحلها الاولى حتى سنة ١٢٦٨ الموافق ١٨٥١ والمخطوط المؤرخ ١٨٥٣ — ١٢٧٠ لهذا المؤلف والمنشور في نهاية هذا الكتاب موجود في المتحف البريطاني وهو من اقدم النسخ الخطية الباقية من هذا الكتاب . وكان ابن بشر ينوي ان يجمع تاريخ نجد في ظل الحكم الوهابي السعودي (ص ١ — ٤) . وكتابه بمثابة سجل تاريخي عن احوال الأسرة السعودية الحاكمة في جميع مراحلها وقد سجل فيه هزائمها وانتصاراتها على حد سواء ولما كان ابن بشر من المؤرخين المؤيدين للوهابيين ، فقد افاض في هذا الحديث عن انتصاراتهم بينما اوجز فيما يتعلق بهزائمهم ونكساتهم . على ان الدراسة الدقيقة للنصين تكشف لنا ان ابن بشر قد حذا حذو ابن غنام في كتابه « الغزوات » . واذا كان ابن بشر قد استشهد في مؤلفه ببعض المؤرخين (ص ٤ — ٥) فانه لم يشر بشيء إلى ابن غنام وان كان قد استشهد ببعض شعره (فصل ١ ص ٩٥) إلا أن الاحداث في هذا الكتاب تكاد ان تكون نفس الاحداث في الكتاب الآخر وكذلك اسلوب الصياغة ، ومن ثم فان الفرق الاساسي بين المؤرخين هو ان ابن بشر لم ينجرف إلى المسائل الدينية كما فعل ابن غنام كما ان طريقة وصفه للصراع الذي كان يدور بين بني خالد وشيوخ الحسا يكاد ان يكون وصفاً على غاية من الابداع . فهو يقدم معلومات وافية عن حكم بني خالد فيما يطلق عليه « بالحادثة او الواقعة » وكتابه يضم الحوادث المؤرخة الوحيدة التي يمكن ان تكوّن سجلا تاريخياً لحكام بني خالد .

في بداية القرن التاسع عشر كانت القرصنة تشكل خطراً واسعاً على المنطقة ولهذا يعتبر ابن بشر مؤرخاً له اهميته كحجة في هذا الموضوع من حيث انه يعبر عن موقف الوهابيين من القرصنة . فلقد كان القراصنة القواسم مـــن اخلص اتباع المذهب الوهابي (فصل ١ ص ١٤٦) ولما كان هذا المؤرخ من

بين المسلمين بهذا الموضوع فقد سجل احتلالهم للبحرين ثم تهديدهم لعمان ومسقط حيث كان البوسعيد يقاومون نفوذ كل من الوهابيين والقواسم في الخليج العربي (فصل ١ ص ١٤٢ – ١٤٦) .

ان كلا من ابن غنام وابن بشر يعتبر مرجعاً من أهم المراجع في تاريخ الدول التي انشأها العتوب . وقد سجلا تاريخ العلاقات بين العتوب وبني خالد الذين كانوا لفترة من الزمن القوة التي يحتمى بها العتوب والسياج الذي يحول بينهم وبين الوهابيين – كذلك سجل المؤرخان الغارات التي كان يقوم بها الوهابيون ضد العتوب ، ثم الغارات المضاده التي كان يرد بها العتوب على الوهابيين خلال التسعينات من القرن الثامن عشر . وكان الاثنان من المؤمنين بالعقيدة الوهابية وقد عاصرا شخصياً الاحداث التي تناولاها في مؤلفيهما . وعلى حين كان كل من ابن غنام وابن بشر مؤرخين عاشا في فترة تاريخية واحدة وكانا يمثلان وجهة نظر الوهابيين ، فان المؤرخين العراقيين حيث ان هؤلاء على عكسهم كانوا يمثلون وجهة النظر العثمانية . وكان ابرز مؤرخي العراق ياسين خيرالله الخاطب العمري الذي الف « الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون » وقد ولد العمري في سنة ١١٥٨ – ١٧٤٥ في مدينة الموصل وكان قد بلغ من الكبر عتياً عندما غزا الوهابيون العراق في بداية القرن التاسع عشر . وقد الف عدداً من الكتب التاريخية .

يبدأ كتابه « الدر المكنون » بالتأريخ للفترة الواقعة بين العام الاول للهجرة حتى ١٢٢٦ – ١٨١١ ونظراً لطول الفترة التي يؤرخ لها الكتاب ، فقد جاء تسجيل الاحداث فيه على درجة كبيرة من الايجاز . وعلى الرغم من ان المعلومات الواردة في الكتاب لا تضاهي كتابي ابن غنام وابن بشر في اهميتها وغزارة مادتهما ، إلا أن للكتاب اهمية خاصة من حيث انه يشرح موقف العثمانيين من الوهابيين كما يتعرض لرأى الشيعة في الاعمال البربرية التي اقترفها الوهابيون في غاراتهم المتكررة على العتوب . فالمؤلف يدمغ الوهابيين

بالخيانة كما يسمى زعيمهم سعود نذلا ومما يدعو إلى الاسف ان العمري لم يشر بالتفصيل إلى ردود فعل العثمانيين على تلك الاعتداءات .

أما فيما يتعلق بردود الفعل التي اشرنا اليها فيمكن الرجوع إلى كتاب مطالع السعود باطاييب اخبار آل داود [1] ، تـأليف عثمان بن سنـد البصري وقد كتبه المؤلـف بتكليف من داود باشا وإلى بغداد سنـة ١٢٤١ هجريـة الموافق ١٨٢٥ ميلاديـة ولم يفرد المؤلف في الكتاب مكاناً خاصاً لحياة داوود باشا ، وانما يتناول تاريخ العراق العثماني وعلاقاته بالاقطار المجاورة بداية من ١٨٨ هجرية الموافق ١٧٧٤ ميلادية وهي السنة التي ولد فيها داوود باشا حتى ١٢٤٢ هجرية الموافق ١٨٢٦ ميلادية وهي تاريخ وفاة المؤلف وفي الكتاب اشارات إلى الولاة العثمانيين السابقين وتسجيل للاحداث الهامة . ويعتبر الكتاب عملا قيماً من حيث تناوله لحصار البصرة واحتلالها من جانب الفرس (١٧٧٥ حتى ١٧٧٩) ولما يتضمنه من معلومات عن قبيلة لمنتفك العربية وغيرها من عشائر العراق ، كما يتناول ايضاً علاقات هذه القبائل بالمنطقة الشرقية من شبه جزيرة العرب . وعرضاً للحملات التي شنها ثُويني حاكم بغداد ضدهم ايضاً فيما بين عام ١٧٩٨ وعام ١٧٩٩ وينكشف موقف المؤلف العدائي من الوهابيين في القصيدة العصماء التي رثي بها ثويني زعيم المنتفك الذي اغتالـه الوهابيون في ١٧٩٧ كمـا تتجلى اهمية الكتاب في انه يضم اولى الرسائل التي تبادلها علي باشا مع سعود فيما يتعلق بانسحاب

(١) قام امين بن حسن الحلواني باعداد مختصر لهذا الكتاب طبع في بومباي ١٣٠٤ الموافق ١٨٨٦ بعنوان مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند البصري « المسمى بمطالع السعود باطايب اخبار الوالي داود » وقد استعان المؤلف بنسخة خطية غير كاملة من مكتبة برلين لأنها تنتهي ، باحداث سنة ١٢٣١ الموافق ١٨١٥ . ويشير الدحيلي في مؤلفه « لغات العرب » المجلد الثالث ص ١٨٤ الى نسخ خطية اخرى في مكتبة المرجانية وفي مكتبة الآباء الكرمليين في بغداد اما العزاوي فعلى سليقته الخاصة في النقل الحرفي للاحداث فيستشهد في مؤلفه التاريخي عن العراق بنسخة خطية كانت في حوزته انظر « تاريخ العراق » المجلد ٦ ص ٦٣ .

الأول من الحساء في عام ١٧٩٩ ولقد رتبت الاحداث في الكتاب على اساس السبق التاريخي كذلك يتناول المؤلف في كتابه سير عدد كبير من ادباء وزعماء القبائل العربية ممن كانت تعيش في تلك الفترة وفي عام ١٢٤١ الموافق ١٨٢٥ غادر المؤلف مدينة البصرة ، ليعكف على كتابة مؤلفه بتكليف من داود باشا .

وكذلك فيما يختص بكتاب « سوابق المجد في اخبار احمد نجل رزق الاسعد » فهو ذو اهمية خاصة بالنسبة للمهتمين بتاريخ شرقي شبه الجزيرة العربية خلال القرن الثامن عشر . وقد كتبه المؤلف كمقال تناول فيه حياة احمد بن رزق ، احد تجار العتوب واثريائهم . ويقول ابن سندان هذا الثري هو الذي اسس بالاشتراك مع خليفة بن محمد جد اسرة آل خليفة التي تحكم البحرين ، مدينة الزبارة ، وقد نشر الكتاب في مدينة بومبي سنة ١٣١٥ الموافق ١٨٩٧ ميلادية [١] . وفيه يقدم المؤلف دراسات قيمة لسير ٤٢ شخصية ممن كانت لهم علاقة بابن رزق . وهم يمثلون قطاعاً من سكان البصرة ومدن العتوب ويتضمن المقال اشارة قصيرة إلى الشيخ عبد الله آل صباح الحاكم الثاني للكويت وخليفة بن محمد ، اول حاكم يتولى السلطة في الزبارة . وقد استخدم المؤلف اسلوب السجع والتعبير — الشعري في كتابه .

ويعتبر هذا اول كتاب يشير إلى العتوب باعتبارهم المؤسسيين لمدينة الزبارة ورغم افتقار الكتاب [٢] إلى البيانات الاحصائية عن تجارة العتوب وموقف خليفة بن محمد تجاه اعفاء التجار من دفع الرسوم [٣] فانه يعتبر المرجع العربي الوحيد في الموضوع وفي معرض حديث المؤلف عن التجارة والعلماء فانه يبدو انه كان على صلة بمعظمهم وقد تتلمذ المؤلف على يد ابن فيروز ، الذي

---

(١) — توجد نسخة خطية في هذا الكتاب بمكتبة المتحف البريطاني .

(٢) — « السبائك ص ١٩ » .

(٣) — لعل المؤلف هنا يحاول ان يقارن بين وضع التجارة في الزبارة والموانيء « المجاورة كالقطيف والعقير كانت تستوفي ضريبة على الواردات .

كتب سيرته . وعلى الرغم من ان المؤلف لا يقدم الاسباب التي حملته على كتابه مؤلفه ، إلا أننا نستطيع ان نلمس من سير ابناء ابن رزق الخمسة في نهاية الكتاب ان المؤلف قد حقق بكتابة رغبة الابن الاكبر لابن رزق .

وكان محمد الابن الاخير احد تجار العتوب نزح مع ابيه من الزبارة إلى البصرة في اعقاب سقوط هذه المدينة في ايدى الوهابيين سنة ١٧٩٨ ، وقد ظل ابن رزق من الشخصيات اللامعة في العراق . وقد [١] الـّف كتابه بعد وفاة احمد بن رزق [٢] والكتاب معروف لدى كل المهتمين بتاريخ الكويت والبحرين . وقد استشهد به كل من القناعي والرشيد [٣] اللذين ارخا لظهور آل صباح وآل خليفة . اما الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة ، كممثل لوجهة نظر آل خليفة فلا يتفق مع ابن سند الذي يقول ان الذين اسسوا مدينة الزبارة هم اسلاف احمد ابن رزق وخليفةبن محمد.وقد علم المؤلف من الشيخ عبدالله ن ابن سند كان امام جامع آل خليفة خلال حكم احمد بن خليفة للبلاد ومع ان المعلومات عن حياة عثمان ابن سند ليست متوفرة ، إلا ان معرفته الواسعة بالشخصيات الهامة في الحساء ودويلات العتوب ، واضحة من كتابه « سبائك العسجد » الذي يتناول فيه سيرة الاثنين والاربعين زعيماً ، كما ومن تعليقاته في مؤرخه « مطالع السعود » وتعزى اهمية اعمال ابن سند إلى صلته الشخصية بالعتوب .

على ان جانباً هاماً من المعلومات الخاصة بتاريخ شرقي الجزيرة العربية خلال الفترة التي يتناولها هذا الكتاب ، وقد جاء ضمن مؤلفات كاتب آخر إلا أن

(١) – كوارنس في كتابه « تاريخ الوهابية (طبعة باريس ١٨١٠) ص ٥٧ – ٥٩ ، ص ١٩٠ وفي الاشارة رقم ٢٣ يتحدث المؤلف عن ثروة احمد بن زرق وكيف انه في عام ١٨٠٤ تدخل في النزاع الذي وقع بين متسلم البصرة وسلطان حول بعض المشاكل المالية .

(٢) – توفي هذا المؤلف في عام ١٨٠٩/١٢٢٤ راجع السبائك ص ١٠٣ .

(٣) – اثنان من المؤرخين الكويتيين ص ٤٨ .

شخصية هذا المؤلف ظلت غير معروفة [١] ، إلى ان ورد إلى مكتبة المتحف البريطاني مخطوط كتابه المسمى «لمع الشهاب» في سيرة محمد بن عبد الوهاب [٢]

وقد يبدو ضرورياً ان نقدم هنا تحليلا قصيراً عن مضمون هذا الكتاب سيما وانه لم يحظ حتى الآن بالدراسة .

يتناول لمع الشهاب بالتفصيل تاريخ الوهابيين منذ بدء حركتهم حتى ٢٣٣ — ١١٨٧ [٣] — وهو مقسم إلى ثلاثة فصول تليها الخاتمة في النهاية .

الفصل الأول	:	يتناول سيرة محمد عبد الوهاب وظهوره على المسرح
الفصل الثـــاني	:	يشرح كيفية قبول محمد بن سعود للنظرية الجديدة
الفصل الثالث	:	يتناول التسلسل النسبي لمحمد بن سعود .
الفصل الرابع	:	يتناول بالتفصيل حكم الوهابيين ابتداء من محمد ابن سعود حتى نهاية حكم عبد الله بن سعود . وانتشار نفوذهم في عمـــان ، وقطر والعراق وسوريا ... الخ
وفي الفصل الخامس	:	يشرح فيه المؤلف كيفية استيلاء الوهابيون على اجزاء من الحجاز واليمن ، وتهامة ، ويقدم بيانات عن بعض القبائل المحلية والعربية وفي ختام الكتاب يشير المؤلف إلى تعاليم محمد بن عبد الوهاب ، ورفض غير الوهابيين من المسلمين لتلك التعاليم :

(١) — المحاولات التي بذلت لاكتشاف هوية المؤلف لم تؤد حتى الان الى اي نتيجة وليس ثمة بين المهتمين بدراسة التاريخ في كل من البحرين والكويت والمملكة العربية السعودية ، من يستطيع ان يدلي بمعلومات عن ذلك ، لان الكتاب لا يزال مجهولا . وربما كانت النسخة موجودة في مكتبة المتحف البريطاني هي النسخة الوحيدة من الكتاب .

(٢) — يشبه هذا المخطوط مخطوط آخر بعنوان «كتاب التوحيد» تأليف محمد بن عبد الوهاب

(٣) — من الطريف ان نلحظ ان هذا المخطوط قد كتب ، على حد قول ناسخه حسن بن جمال الربكي في نفس الفترة التي كتب المؤلف كتابه هذا اي في ١٢٣٣ الموافق ١٨١٧ م .

والمؤلف في هذا الكتاب لا يقوم بدور المؤرخ المسجل للاحداث فحسب كما فعل ابن غنام وابن بشر ، ولكنه يحلل الحقائق التاريخية ايضاً ، ويحاول استنباط الحقيقة من هذه الوقائع عن طريق اتصالاته الشخصية بشيوخ القبائل في الزبارة والكويت وعلى الرغم من ان المؤلف لم يكن وهابياً، الا انه لم يكن من المتعصبين ضد حركتهم فضلا عن انه كان يكن الاحترام لتعاليم محمد بن عبد الوهاب . وعلى الرغم من ذلك فانه لم يكن يغفر للوهابيين اياً من الجرائم التي اقترفوها [1] . كما انه يعد المؤرخ العربي الوحيد الذي يقدم شرحاً وافياً ومفصلا عن قبائل بني خالد[2] ، ويسجل فيه مآثرهم الحميدة . ص ٢٢٢-٢٢٦ ويضم الكتاب جدولا عن التسلسل النسبي لهذه القبائل وان كانت البيانات عنها تفتقر إلى التواريخ . كما ان تحليله لسقوط دولة بني خالد يعتبر من التحليلات القيمة . فمن رأيه انه كان في وسع بني خالد ان يقاوموا الوهابيين ، لو لم ينقسم زعماؤهم على انفسهم بفعل المؤامرات الوهابية التي كانت تحاك ضدهم (ص ٧٩ - ٨١) .

وحين يتحدث المؤلف عن الحملات التي جهزها الوهابيون والعثمانيون ضد الحسا فانه يضع تقديرات دقيقة للمسافات التي تفصل بين كل منطقة واخرى فهو يقدم عدة تقديرات ، ثم يختار التقدير الارجح . كما ان معلوماته التاريخية معلومات وفيرة . ويبلغ مجموع دخل الدولة الوهابية في ١٢٣٢ الموافق ١٨١٦ من جميع المناطق بشبه الجزيرة حسب تقديره (٢,٢١٠,٠٠٠ ريال) (ص ٢٣٦ - ٢٣٧) كما يقدر عدد سكان الدولة بنحو (٢,٣٠٠,٠٠٠ الف نسمة (ص ٢٣٧ - ٢٣٨) .

---

(١) يضرب المؤلف مثلا على ذلك كما جاء في « لمع الشهاب » موقف الوهابيين من علي بن احمد احد زعماء بني خالد الذي قتل غيلة بعد ان اعطاه سعود الامان .

(٢) للاطلاع على اسماء مشايخ بني خالد يمكن الرجوع الى كتاب ابن بشر (عنوان المجد) مجلد ١ الذي يفتقر الى التنسيق - وميزة هذا المؤرخ انه يتناول تاريخ شيوخ هذه القبيلة على اختلافهم .

يقول المؤلف عن الشيخ علي بن محمد عبد الوهاب ، انه كان شخصية دينية مرموقة إلا انه كان يرى في القرصنة فريضة دينية كبرى (ص ٢٣٧ — ٢٤٨) كما يقول بأن الوهابيين اخذوا يحرضون القواسم على ممارسة القرصنة (ص ٩٦ — ١٠٩) كما ان بحثه عن حملة علي باشا ضد الوهابيين في سنة ١٢١٣ هـ الموافق ١٧٩٨ م لا نظير له بين ابحاث المؤرخين العرب [١] . حيث انه عرض اسباباً لفشل الحملة لم يرد مثلها في مؤلفات غيره من المؤرخين فلقد كان المؤلف شاهد عيان لهذه الحملة بينما كان في طريقه بالقرب من البصرة .

ولعل عيب هذا المؤرخ في نظر المؤلف انه يعرض الاحداث دون ان يشير إلى تاريخ وقوعها ، مما يستوجب مقارنتها بالمؤلفات الاخرى . وعلى اي حال فان الكتاب يعتبر من المراجع الغنية بالمعلومات ، وهو مرجع معتدل وأمين لتاريخ القوى المتصارعة في المنطقة بما لا يتوفر في المؤلفات العربية المعاصرة الاخرى [٢] .

أما الكتاب الآخر : الذي يعتبر نسخة طبق الاصل من كتاب « لمع الشهاب » في اعتداله فهو كتاب « عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد [٣] » تأليف ابراهيم بن فصيح الحيدري البغدادي . يقول ابن فيصّح في مقدمة الكتاب ، انه تنقل بين سوريا ، ومصر ، وتركيا ليدرس عن كثب الاقطار

(١) — يشير ابن سند في كتابه مطالع السعود « الى هذه الحملة من غير ان يقدم معلومات تفصيلية وذلك على غرار مؤلف « لمع الشهاب » كما يفتقر الكتاب الى الحيثيات الصحيحة عن فشل الحملة كالتي يتضمنها « لمع الشهاب » اما ابن بشر فانه يشرح الحملة من وجهة النظر الوهابية ، ولكن اراء تفتقر بدورها الى التعليل الصحيح وعلى ما يعتقده ابن بشر ان انتصار الوهابيين على خصومهم يرجع الى انهم كانوا اقوى واكثر مراساً على القتال .

(٢) — تاريخ ١٢٣٣ — ١٨١٧ هو التاريخ الذي وضعه ناسخو الكتاب واثبتناه في نهاية هذا الكتاب .

(٣) — مكتبة المتحف البريطاني .

التي كُتب عنها اما جده اسعد الحنفي فقد كان مفتي الخليفة في بغداد ، اما مطيح فقد كان مسلماً سنياً .

وقد الف كتابه وهو في البصرة ١٢٨٦ — ١٨٦٩ حيث كان يعمل موظفاً في الحكومة . ويشرح المؤلف في مقدمة كتابه طريقة تأليفه للكتاب وكيف انه قسمه إلى ثلاثة فصول ، وانهاه بالخاتمة . في الفصل الأول يتطرق المؤلف إلى تاريخ مدينة بغداد بينما يتناول في الفصل الثاني تاريخ البصرة وفي الفصل الثالث تاريخ نجد .

والفصل الذي افرده المؤلف لتاريخ البصرة له اهميته ، لأنه يتنازل فيه علاقة البصرة باقطار ساحل الخليج العربي . واسماء بعض العائلات التجارية وبعض افرادها ممن كانوا يقيمون في ثلاث او اكثر من تلك المدن (ص ٩١— ٩٢)[١] اما في الفصل الخاص بنجد فيورد المؤلف نصوص بعض الخطابات التي كان يبعث بها الحكام الوهابيون إلى رعاياهم . وفي موضع آخر من الكتاب ينتقد المؤلف الوهابيين (ص ٢٢٣) . وقد اشار المؤرخ العراقي محمد شكرى الالوسي إلى هذه الخطابات وإلى بعض المقتطفات التي اقتبسها من المؤلف الاصلي واوردها في مؤلفه تاريخ نجد دون ان يشير إلى المصدر الذي استقاها منه . وقد أثار هذا ثائرة الشيخ سليمان النجدي الذي رأى بأن الالوسي قد ناقض نفسه بنفسه لانه قد سبق له ان اشاد بالوهابيين في مستهل الكتاب ، والواقع ان الالوسي وخاصة في الجزء الاخير من الكتاب انما كان ينقل حرفياً عن ابن فصيح غير أنه على الرغم من حملات الشيخ سليمان وغيره من الوهابيين قد حاول ان يكون محايداً في آرائه . ولا يزال كتابه حتى اليوم مرجعاً موثوقاً عن تاريخ نجد واقطار ساحل الخليج خلال بداية القرن التاسع عشر[٢] .

---

(١) — يضرب المؤلف على ذلك مثلا عائلتي القنيمات والبدر اللتين كان افرادهما يقطنون الكويت ، والبصرة ، والبحرين .

(٢) — لا يزال مؤلف ابن فصيح في صورة مخطوط بمكتبة المتحف البريطاني اما عن النسخ الاخرى من هذا المخطوط فيمكن الرجوع اليها ضمن اعمال بروكلمان ملحق ٢ ص ٧٩١.

وهناك مخطوط آخر وان كان قصيراً يلقي ضوءاً هاماً على تاريخ هذه المنطقة خلال نفس الحقبة . وهو كتاب الشيخ محمد البسام المسمى « الدر المعاصر في اخبار العرب الاواخر » (بمكتبة المتحف البريطاني) وقد كتبه البسام بتكليف من المستر سي . جي . ريش (*C. J. Rich*) [١] المقيم السياسي البريطاني في بغداد.

وكان البسام جندياً في جيش الوهابيين الذي قاتل طوسون باشا ابن محمد علي باشا والي مصر يومئذ . واهمية هذا الكتاب تتركز فيما حواه من معلومات مفصلة عن القبائل القاطنة شبه الجزيرة العربية والعراق وسوريا خلال نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر . والمؤلف يذكر عدد المقاتلين من كل قبيلة[٢] وتعرض المؤلف إلى القواسم، الذين اصبحت منطقتهم تعرف « بعمان المتصالحة » وهو في بحثه عن القواسم يصل إلى مستوى غيره من المؤرخين الذين عاصروه (٣٨ – ٣٩) ويعتبر الفصل الذي عقده عن مدينة الحسا دراسة جغرافية هامة إلى جانب ما تضمنه من اسماء للبلدان والمناطق ، في وقت كانت الخرائط عن تلك المنطقة نادرة الوجود [٣] .

أما عن علاقة عمان بالعتوب وبمنطقة شرقي شبه الجزيرة العربية أبان حكم البوسعيد فقد وردت في كتاب « الفتح المبين المبرهن سيرة السادة البوسعديين [٤] تأليف حامد بن محمد بن زريق ، احد المؤلفين العمانيين الذي عرفته الاوساط

---

(١) – ولد المستر ريش في عام ١٧٨٧ ، وتوفي في مدينة شيراز عام ١٨٢١ وكان يشغل منصب المقيم السياسي لشركة الهند الشرقية من ١٨٠٨ حتى ١٨٢١ ويضم مكتبة المتحف البريطاني مجموعة الميداليات والتحف الخاصة بهذا السياسي وهي مودعة بمكتبة وزارة الهند في الحكومة البريطانية .

(٢) – هذه المعلومات وردت في كثير من صفحات الكتاب مع ذكر ارقام الخيالة والمشاة الذين بلغ عددهم ١,٠٧٩,٤٨٨ جندياً .

(٣) – الف البسام كتابه ١٨٢٣ وفقاً لرأي المستر ريش .

(٤) – هذه الاسرة هي التي خلفت اليعاربة في عمان ١١٥٤ الموافق ١٧٤١ وكان احمد بن سعيد اول امام في اسرة آل بوسعيد ودام حكمه من (١١٥٤ – ١٧٤١) حتى (١١٨٨ – ١٧٧٥

العلمية في الغرب عن طريق ترجمة بارجر لكتابه في ١٨٧١ [1] . وقد اعتمد المؤلف في بحثه على مخطوطين من أعمال بن زُريق . مما يؤكد بأن المعلومات التي اوردها عن العلاقة بين عمان واقطار الخليج العربي تتفق والمعلومات الواردة في كتاب « الفتح المبين » بينما لم يرجع إلى هذه المصادر المؤرخون الذين تناولوا تاريخ الخليج ومنطقة شرقي شبه الجزيرة العربية وعمان. اما النسخة المودعة بمكتبة جامعة كامبردج (ملحق رقم ٢٨٩٣) فهي بعنوان « السيرة الجلية » المسماة سعد السعود البوسعيدية وهي عبارة عن مدون قصير اعتمد فيه المؤلف على كتاب « الفتح المبين » ويرجع تاريخه إلى ١٢٧١ الموافق ١٨٥٤ ؛ بينما تاريخ « الفتح المبين » هو ١٢٧٣ الموافق ١٨٥٦ ويتضمن الثاني عرضاً لتاريخ آل بو سعيد ابتداء من احمد بن سعيد ويستغرق مائة صفحة من الكتاب ، بينما يتألف الجزء الاول منه من ١٥٦ صفحة اما السيرة الجلية فتتألف من ٣٠ صفحة فقط .

أما الكتاب الثاني فبعنوان « الصحيفة القحطانية [2] » .

وتتركز اهمية هذا الكتاب في انه يعرض وجهة النظر العمانية فيما يتصل بالخليج وبمنطقة شرقي شبه الجزيرة العربية . كما انه كتب في فترة لا تبعد كثيراً عن الفترة التي شهدت الاحداث التي تناولها الكتاب .

---

(١) – ظهر هذا الكتاب تحت اسم « تاريخ أئمة وسلاطين عمان » وهو يتناول أئمة عمان الاباضية – الخوارج . للاطلاع على حكم الاباضية في عمان راجع نفس المصدر (ص ٣٨٥ – ٣٩٠) ابتداء من الامام الجلنده ابن مسعود ١٣٥/٧٥١ الامام الاول حتى تويني بن سعيد ١٢٧٣ – ١٨٥٦ وينبغي ان نشير هنا الى أن الاول المؤلف ليس سليل، كما يسميه بادجر ولكنه حامد بن محمد وان لفظة سليل كما استخدمها المؤلف تعني «ابن» انظر كتاب « الانشقاق » لابن دريد طبعة القاهرة ١٩٥٨ (ص ٣٥٩ – ٣٦٠) وعلى اي حال فقد ذكر المؤلف اسمه الاول واسمه العائلي في اكثر من موضع من الكتاب .

(٢) – قدم نسخة هذا الكتاب سلطان زنجبار الى جامعة « اكسفورد » قسم رودس وذلك في شهر نوفمبر ١٩٢٩ وقد وقع المؤلف على النص باسم ابن رزيق في نهاية الكتاب وذكر بان كتب الكتاب بخطه وانه انتهى منه في سنة ١٢٦٩ – ١٨٥٢ .

وثمة مراجع عربية اخرى تدور حول تاريخ شرقي شبه الجزيرة العربية ولسوف نشير اليها في هذا الكتاب عند الحاجة . وباستثناء مؤلفات ابن غنام ، وابن بشر « والفتح » التي ترجمت فعلا ، فلا توجد على حد علم المؤلف ترجمات لتلك المراجع استعملت قبل الآن في أي دراسة لتاريخ العتوب من سكان الكويت والبحرين وحتى المراجع الثلاثة التي اشرنا اليها آنفاً لم ترد في الكتاب المذكور .

ب – التراث الشعبي ..

ان هذه هي اول دراسة لتاريخ العتوب . ولئن كانت هذه الدراسة تتناول فترة المأتين والخمسين عاماً الماضية فحسب فقد كان لا بد من الاهتمام بدور الاساطير والحكايات الشعبية في كل من مشيختي الكويت والبحرين وفي سبيل التحري عن اوجه هذا التراث ، رأى المؤلف ان يستطلع رأى السلطات المحلية في البلدين ، والرجوع إلى كافة المؤلفات التي تتناول تاريخ العتوب . اوان البحوث التي قام بها المؤلف في الكويت هي حصيلة اقامته فيهاخمس سنوات (من ١٩٥٣ حتى ١٩٥٨) وقد انكشفت للمؤلف خلال هذه الفترة كثير من المعلومات عن العائلة الحاكمة الحالية ، التي يعيش كثير من افرادها في الكويت منذ نشأتها ومما يؤسف له بالغ الأسف ان بعض افراد هذه الاسرة ممن توجد في حوزتهم بعض الوثائق الخاصة بالموضوع ولكنهم لا يسمحون لاحد بالاطلاع عليها .

ومن حسن الحظ ان التراث الشعبي في الكويت مدون في كتابين ظهرا في ١٩٢٦ و ١٩٥٤ لمؤلفين من فئة الشيوخ او الفقهاء وقد بذل المؤلفان اقصى ما في وسعهما لتسجيل تاريخ الكويت نقلا عن الروايات والاخبار المتداولة .

الاول هو عبد العزيز الرشيد الذي صدر كتابه باسم « تاريخ الكويت »[1]

---

(١) – نشر هذا الكتاب في بغداد في مجلدين وذلك في سنة ١٩٢٦ .

ويصور المؤلف في المجلد الأول من الكتاب الحياة الاجتماعية في الكويت في اوائل القرن التاسع عشر . وعلى اية حال فان الحياة الاجتماعية في الكويت لم تمر بتغييرات هامة إلا بعد اكتشاف النقط في ١٩٤٦ . ومهما يكن فان الكتاب تحدث عن الكويت وسكانها في القرن الثامن عشر ، كما يتناول بالوصف صيد اللؤلؤ ، وعلى نفس المنوال نهج المؤلفون من الرحالة الاوربيين الذين كتبوا عن الكويت في القرن الثامن عشر .

في الفصل الثاني من الكتاب يتناول المؤلف تاريخ الكويت ، معتمداً في معلوماته على مصادر التراث الشعبي ، الذي كان له الفضل في نشوء دولة الكويت وحكامها آل صباح [1] . وقد كان لنشر هذا الكتاب في ١٩٢٦ رد فعل لدى الطبقة العربية المستنيرة . وقد اعرب الاب انستاس ماري الكرملي عن خيبة امله في ان المجلد الاول من الكتاب جاء خلواً من الدراسات السياسية المفصلة لمشيخة الكويت وشيوخها . وعلى كل فقد اشار الاب إلى ان المجلد الثاني من الكتاب يضم معلومات تاريخية اوفى . واخيراً يعرب الكرملي عن أمله في أن يتمكن المؤلف من كتابة تاريخ الاقطار العربية الأخرى للخليج [2]. وبسبب القرار الذي اصدره شيخ الكويت يومئذ بمنع تداول هذا الكتاب لأن المؤلف اشار فيه إلى حادث اغتيال الشيخين محمد وجراح الصباح ، على يد اخيهما غير الشقيق ، الشيخ مبارك .

أما المؤرخ الكويتي الشيخ عيسى يوسف القناعي فقد عبر هو الآخر عن وجهة نظره فيما يختص بنشأة الكويت وظهور حكامها من اسرة آل صباح ويلخص كتابه « صفحات من تاريخ الكويت » الذي ظهر في ١٩٥٤ تاريخ

---

(١) — للاطلاع على وجهة نظر المؤلف في نشأة الكويت وآل صباح راجع الفصل الثاني .

(٢) — انظر مقالة « لغات العرب » الفصل الرابع — ١٩١٤ ص ٨٩ ، كما والتعليقات التي كتبها يوسف اسعد داغر في مجلة الاديب العدد السابع يوليو ١٩٦٨ ص ١٩ — ٢٠ .

الكويت بدءا من حاكمها آل صباح الاول[1] نهاية بالشيخ مبارك آل صباح الذي قضى نحبه في ١٩١٥ . ويعتبر الكويتيون هذا المؤلف الحجة البارزة المعاصرة في تاريخ بلادهم . وهو الآن يناهز التسعين من عمره ولكنه يتمتع باحترام وتقدير كل من الكويتين وامراء الكويت [2] ايضاً وقد قامت الحكومة الكويتية باعداد ملخص لكتابه وعممت تدريسه في المدارس الكويتية بعد ان اضافت اليه بعض المعلومات الهامة عن نشأة الكويت واسرها الحاكمة وحياتها الاجتماعية وتجارتها . وقد سبق ان منع هذا الكتاب ايضاً من التداول لنفس الاسباب التي منع بها كتاب سلفه . وعلى كل فان مؤلفي هذين الكتابين كويتيان ، وملمان الماماً وافياً بتاريخ بلدهما ولذا فان لكتابيهما اهمية بالغة وقد اعتمد عليهما مؤلف هذا الكتاب كمرجعين هامين في كل ما له علاقة بموضوع [3] هذا الكتاب .

أما تاريخ أسرة آل خليفة في البحرين ، فقد تضمنه كتاب « تاريخ البحرين» تأليف الشيخ محمد النبهاني ، كجزء اول من مؤلفه « التحفة النبهانية في تاريخ» الجزيرة العربية » وقد كتب المؤلف هذا الكتاب بعد ان امضى بعض الوقت في ضيافة حاكم البحرين وتناول فيه تاريخ البحرين منذ العصور القديمة حتى وقتنا هذا .

على ان اهتمامنا بالنسبة لهذا الكتاب انما يقتصر على الجوانب المتعلقة بالتراث الشعبي للبحرين تحت حكم آل خليفة .

ويتفق ما كتبه النبهاني عن آل خليفة مع المعلومات التي ادلى بها عبد الله

(١) — في النسخة التي يحتفظ بها المؤلف من كتاب الرشيد كتب الشيخ عيسى ملاحظاته عن هذا التاريخ على الهامش . ولكن المؤلف لا يتذكر تاريخ تلك الملاحظات .

(٢) — للاطلاع على تفصيل اسرته انظر ص ٥١ .

(٣) — اعتمدت مؤلفات الرشيد والقناعي من جانب عدد من المؤلفين الذين كتبوا عن تاريخ الكويت فيما بعد عام ١٩٥٠ ولكن ليس لهذه المؤلفات اهمية تاريخية بالنسبة الى هذا الكتاب ، وان كانت تضم معلومات عن القرنين التاسع عشر والعشرين مما يفيد الاجيال القادمة .

بن خالد آل خليفة للمؤلف خلال المقابلات العديدة التي عقدها معه في لندن في شهر اغسطس من عام ١٩٥٩ فقد تفضل الشيخ عبد الله ، الذي يحتل منصب قاضي قضاة محاكم المنامة ، فأطلع المؤلف على مخطوط عن تاريخ البحرين كان يقوم باعداده وسوف ينشر في المستقبل . وقد ضمنت كتابي هذا ملاحظات عديدة يرجع الفضل فيها إلى الشيخ عبد الله بن خليفة .

وللشيخ عبد الله وجهة نظر خاصة بآل خليفة فيما يتعلق ببعض الاحداث المتصلة بتاريخ العتوب . أما بالنسبة للخلاف الذي كان بين آل صباح وآل خليفة فقد نعثر على بعض الادلة من خلال تعرضنا لهجرة الفئة الاخيرة من الكويت في نحو ١٧٦٦ واستقرارها فيما بعد بمنطقة الزبارة .

وقد اضطرنا إلى الاعتماد على التراث الشعبي في تناول تاريخ العتوب لعدم وجود مراجع اخرى في هذا الشأن وهكذا استحال علينا ، لعدم وجود تاريخ مدون للعتوب أن نحدد تاريخاً من عندنا لأول حاكم عتبي يتسنم السلطة في الكويت .

ج ـ سجلات وزارة الهند :

يمكن مقارنة بعض هذه التواريخ بسجلات لشركة الهند الشرقية البريطانية المودعة بوزارة الكومنولث في لندن . وقد استعان المؤلف في هذا الخصوص بكل المراجع الخطية والمطبوعة .

١ ـ الوثائق الخطية :

وفيما يختص بالمراجع الخطية فقد رجعنا إلى سجلات ممثليات شركة الهند الشرقية بايران والخليج عن الفترة الواقعة في النصف الثاني من القرن العشرين ، وهي تضم مجلدات عن الفترة الممتدة من ١٧٣٠ ـ ١٨٠١ [1] .

---

(١) ـ هذه المجلدات لم تنشر وليس بها فهارس وقد اشرنا اليها في هذا الكتاب من خلال تواريخ الرسائل وارقامها فحسب ، لان الترقيم يسهل عملية تحديد الوثيقة المعنية .

ففي هذه الفترة كان لشركة الهند الشرقية مراكز تجارية في كل من بندر عباس وابو شهر ، والبصرة . وكانت تقارير وكلاء الشركة في هذه المناطق تخرج على هيئة خطابات إلى رؤسائهم في لندن وبومبي ، تتضمن اراءهم عن الاحوال في منطقة الخليج . وحتى قبل انشاء فرع المركز التجاري في الكويت سنة ١٧٩٣ ، كانت هذه التقارير تضم معلومات عن شرقي شبه الجزيرة العربية الا أنهـا تعتبر تقارير محدودة الاهميـة إذا قورنت بالمعلومات الخاصة بايران والعراق . ولعل هذا يرجع إلى ان علاقات الشركة التجارية بالمنطقة الوسطى والشرقية من الجزيرة العربية كانت محدودة هي الاخرى . اما النشاط التجاري الذي اشرنا اليه في الفصل السادس من هذا الكتاب فهو خاص بتجار مسقط والعتوب .

ونظراً للصلات التي كانت تربط القبائل العربية القاطنة جنوب العراق والسهل الايراني من الخليج بسكان المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، فقد تم العثور على بعض المعلومات في سجلات الشركة فيما يتعلق بعتوب شرقي الجزيرة العربية [١] . ولعل ما يميز هذه السجلات هو انها لا تتضمن معلومات عن البحرين وهذا يعني انه لم تكن للشركة مصالح تجارية في هذه المنطقة .

وعلى كل فان هذا الرأى بالنسبة إلى ظهور الكويت على مسرح السلطة بعيد السبعينيات من القرن الثامن عشر انما يعتمد إلى حد كبير على المعلومات المتفرقة الواردة في تلك التقارير . ولعل موقع الكويت الجغرافي بقربه من ابو شهر والبصرة حيث كان يتركز نشاط شركة الهند الشرقية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، قد اجتذب انظار وكلاء الشركة المذكورة .

---

(١) — على الرغم من ان الوهابيين قد بدأوا في انشاء سلطتهم منذ ١٧٤٠ ، فان اول اشارة عنهم من جانب الشركة قد وردت في تقارير ١٧٨٧ والمعلومات الوحيدة التي عثر عليها المؤلف عن تاريخ الوهابيين هي التي وردت فيما كتب هارفورد جنز بردجر بتاريخ اول ديسمبر ١٧٩٨ .

٢ – الوثائق والمؤلفات:

يمكن تحديد موقف الحكومة البريطانية من احوال المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية بشكل اوضح من مرجعين :

الاول : مقتطفات من سجلات حكومة بومبي رقم ٢٤ من السلسلة الجديدة. في هذه المجموعة نعثر على « معلومات تاريخية وغير تاريخية » عن عرب الخليج مستقاة من تقارير ارباب السلطة في حكومة بومباي ، ويعود تاريخها إلى النصف الاول من القرن التاسع عشر واهمية هذه التقارير انها كانت تصدر من رجال السلك الحكومي الذين كانوا يبعثون بها إلى حكومتهم بصفتهم الرسمية . وكانوا يستقون معلوماتهم من مصادرها الاصلية عن طريق زياراتهم للمناطق التي كانوا مكلفين بالكتابة عنها . وعلى الرغم من وقوع بعض الاخطاء في تحديد تواريخ الحوادث الاولى في شبه الجزيرة العربية ، إلا أن التقارير المذكورة بوجه عام تكشف عن وجهة النظر البريطانية فيما يتعلق بشئون الخليج خلال الفترة المشار اليها آنفاً . كما تتضمن تواريخ الاحداث ومعلومات عن القبائل العربية [١] .

أما المجموعة الثانية من المعلومات عن الخليج فهي بمثابة مقتطفات من وثائق حكومة بومباي تتناول علاقة شركة الهند الشرقية بالخليج ١٦٠٠ – ١٨٠٠ وفي هذه المجموعة عدد من الرسائل التي تتناول مشايخ الخليج منذ سنة ١٦٠٠ حتى ١٨٠٠ .

وقد علم باعدادها المستر سلدانا . الذي استقى اغلب معلوماته عن فترة القرن الثامن عشر من سجلات وكلاء الشركة في كل من البصرة وابو شهر وقد لحق بهذه المجموعة تقريران على غاية من الاهمية حول الاوضاع التجارية

(١) – سنشير الى هذه التقارير واسماء اصحابها عند اللزوم .

في الخليج ، اعد احدهما مدير المركز في البصرة عام ١٧٨٩ ، واعد الثاني جون مالكولم ١٨٠٠ .

وهذان التقريران ابلغ دليل معاصر عن التطور والازدهار الذي بلغتها االتجارة في دة العتب ب نم نهاية القرن .

د ــ كتابات الرحالة الأوروبيين :

يمكن تقسيم الرحالة الاوربيين الذين يمكن الاعتماد على معلوماتهم الاصلية عن شرقي الجزيرة العربية إلى فئات ثلاث :

١ ــ موظفو شركة الهند الشرقية .

٢ ــ الرحالة غير الرسميين .

٣ ــ الاوائل من رحالة القرن التاسع عشر .

١ ــ موظفو شركة الهند الشرقية :

ليس ثمة حاجة بنا إلى الاشارة إلى مؤلفات هؤلاء الموظفين فلقد سبق ان اشرنا اليها في الفصل السادس وعلى أي حال فان معلوماتهم عن الرحلات التي قاموا بها من والى اقطار الخليج عبر الصحراء الكبرى ، انما يمثل المصادر لاولى للمعلومات عن طرق المواصلات التجارية خلال الفترة التي يتناولها هذا البحث .

٢ ــ رحالة آخرون :

ينتمي سي . ينبور واي . بارسونز إلى هذه الفئة من الرحالة .

أما الرحالة سي نيبور (١٧٣٣ ــ ١٨١٥) الذي اضحى أكبر حجة اوربية في شئون الجزيرة العربية خلال القرن الثامن عشر فغني عن التعريف . لقد كان عضو الرياضيات ضمن البعثة العلمية التي اوفدها ملك الدانمارك ١٧٦٠

إلى الجزيرة العربية والاقطار المجاورة لها كما انه الاوربي الوحيد الذي بقي من افراد تلك البعثة الحماسية [1] . وفي طريق عودته من بومباي إلى اوروبا اختار نيبور طريق الخليج العربي . وقد بقي في منطقة الخليج من ديسمبر ١٧٦٤ حتى يونيو ١٧٦٥ وخلال اقامته هذه درس بالتفصيل القبائل العربية التي تقطن سواحل الخليج وجنوب العراق [2] ولكتابه اهمية خاصة بالنسبة إلى هذه الدراسة وذلك للأواصر التي كانت تربط بين عرب جانبي الساحل ولان المؤلفات الاخرى لا تشير إلى شيء ما في هذا الخصوص . ويضم كتابه (*Description De*)وصف للجزيرةالعربية (*L'Arabie et Yoyage en Arabie.*) . معلومات قيمة عن قبائل بني خالد وبني كعب والمنتفك وعرب الدورق وابو شهر كما يضم معلومات عن الكويت ايضاً (ص ٢٩٦) ومع انه لم يزر البلاد ، إلا أن طريقته في جمع المعلومات حيث حيل بينه وبين الزيارة الفعلية للمناطق التي تحدث عنها تزودنا بمعلومات قيمة .

أما بالنسبة إلى الكويت فيعتبر نيبور اول مؤلف يشير إلى التسميتين اللتين تعرف بها البلاد وهما الكويت والقرين [3] .

كما ان الخريطة التي رسمها المؤلف عن الخليج تعد افضل ما وضع من خرائط عن المنطقة قبل نهاية القرن . إلا أن نيبور لم يحالفه الحظ على جمع معلومات ذات اهمية تاريخية عن الوهابية . غير ان الوهابيين لم يكونوا معروفين يومئذ في أبو شهر والبصرة في ذلك الوقت رغم ان نيبور قد زار

---

(١) – للاطلاع على تاريخ سيرة نيبور واصل البعثة راجع كتاب «كارسون نيبور» تأليف ج ن . نيوبر وقد قام بترجمته الى الانخليزية البروفسور روبنسون (طبعة ادنبره) ص ١١ – ١٤ عام ١٨٣٨ .

(٢) – ظهرت مؤلفات نيوبر اول ما ظهرت باللغة الالمانية ١٧٧٢ ثم ظهرت بعدها بسنوات قليلة الترجمة الفرنسية لها وذلك ١٧٧٤ و١٧٧٨ أو ١٧٨٠ .

(٣) – انظر ص ٤٧ – ٤٨ الخريطة لا تحوي منطقة الزبارة التي لم تظهر الى الوجود الا بعد مضي عام و الحد من اعداد الخريطة في ١٧٦٥ .

كلا من المدينتين خلال رحلته إلى الخليج . وقد كان ولا يزال مرجعاً لا غنى عنه لكل المهمتين بتاريخ الجزيرة العربية خلال القرن الثامن عشر [١] .

أما الرحالة الثاني الذي يعتبر عمله في غاية الاهمية فهو ابراهام بارسونز[٢]. الذي بدأ رحلته من حلب إلى البصرة بالطريق البري سنة ١٧٧٤ وكان في البصرة عندما حاصرها الفرس ١٧٧٥ وتعتبر معالجة بارسونز للاحداث وما تعاقب عليها هامة لسببين : الأول انه شاهد تلك الاحداث وشارك فيهـا بنفسه . وقد تحيز المركز التجاري البريطاني في البصرة إلى جانب العثمانيين ايام الحصار وقد لعب بارسونز بحكم تواجده في المنطقة وقتئذ دوراً في الحرب المذكورة . وقد تناولنا في الفصل الرابع من الكتاب طبيعة هذا الحصار وما كان له من اثر على موقف العتوب ، ومسلكهم حسبما جاء على لسان بارسونز .

٣ – رحالة اوائل القرن التاسع عشر :

من بين رحالة اوائل القرن التاسع عشر الدكتور ستيتزن(*Dr. Steetzen*) وبرخهارت و(*Burckhardt*) وباكنجهام(*Bnckinghgm*) وستوكلر(*Stocueler*) وولستد (*Wellsted*) وتتضمن كتاباتهم معلومات قيمة وان كانت محدودة عن دويلات العتوب ، وقد استشهد المؤلف بهؤلاء الكتاب في اكثر من موضع من هذا الكتاب ، حيثما لزم الامر .

ويعتبر كتاب «الوهابي» ، تأليف السير هارفورد بردجز(*Sir Harford Brydges*) من المراجع الهامة في هذا الشأن ففيه يسجل بريدجز احداثاً رآها رأي العين

---

(١) – يكاد جميع الذين كتبوا عن الجزيرة العربية بعد نشر مؤلفات نيبور حتى وقتنا هذا قد اعتمدوا على ارائه في هذا الشأن .

(٢) – عين بارسونز في سنة ١٧٦٧ من قبل احدى الشركات التركية بمنصب قنصل ومدير الورشة البحرية في الاسكندرية بتركيا الاسيوية ، ولكنه اضطر بعد اقامة امتدت ست سنوات الى الاستقالة من عمله لاسباب صحية وبدأ رحلته التجارية الاستطلاعية راجع مقدمة كتاب رحلته ص ٣ .

او شارك فيها شخصياً . كذلك يشير في كتابه إلى احداث لم يشاهدها ، كما ان مقدرته كمؤرخ في تقبل الآراء او رفضها لا نظير لها فهو من ذلك الطراز من المؤرخين الذي يغربل الموضوعات التي يتناولها بطريقة واعية كما أنه لا لا يتردد عن الاستشهاد بأراء من يفوقونه في الحجة والرأى اذا رأى ذلك أمراً لا مفر منه .

انضم هارفورد جونز إلى مركز البصرة التجاري في ١٧٨٤ ، وبقي هنالك حتى ١٧٩٤ وخلال هذه الفترة زار الكويت لفترة قصيرة في ١٧٩٠ ، لتغيير المناخ بعد ان توعكت صحته في البصرة وفي عام ١٧٩٨ عين جونز ممثلا للحكومة البريطانية في بلاط والي بغداد . وشغل جونز لهذا المنصب يضفي على كتابه عن هذه المنطقة اهمية خاصة وبالتالي فان كتابه « الوهابي » انما هو تعبير عن تجربة المؤلف الخاصة وعن المامه بالمنطقة وبسكانها . والمؤلف في مناقشته للعقيدة الوهابية يذكر القارىء بما ورد في كتاب « ملاحظات عن البدو والوهابية » لبرنهارت . وعلى الرغم من كون المؤلف اكبر حجة في هذا الميدان ، إلا أنه يستشهد برأى برنهارت ولا يعتمد كل الاعتماد على رأيــه الخاص [١] .

ليس تاريخ الوهابية هو الموضوع الذي يسترعي اهتمامنا في كتاب بريدجز وانما ملاحظات المؤلف وتعليقاته القيمة عن عهد الشيخ عبد الله الصباح ، ثاني حاكم عين للكويت .

كما ان ملاحظاته وانتقاداته لحملة علي باشا والي بغداد ضد الوهابيين في ١٧٩٨ لا يضارعها في الاهمية الا كتاب « لمع الشهاب » .

وثمة لغز واحد يحيط بموضوع حملة الوهابيين خلال وجود المركز التجاري هناك لم يوفق المؤلف إلى اماطة اللثام عنه . فهو يعزو فشل الحملة إلى البطولة

(١) – انظر الوهابي « تأليف بريدجز » ص ١١٠ – ١١٤ .

التي ابداها اهل الكويت وحكامها في صد الهجوم فلا يشير إلى الدور الذي قام به عساكر المركز التجاري وطرادات الشركة . ومن ناحية اخرى ابلغ جون لويس رينو ، احد موظفي الشركة الدكتور ستيزن عندما قابله في حلب سنة ١٨٠٥ بأن [١] المركزي التجاري قد لعب دوراً حاسماً في احباط الحملة مما أدى إلى تصدع العلاقة بين الوهابيين والشركة وبأن الشركة قد كلفت هارفورد جوز بالسفر إلى الدرعية ، عاصمة الوهابيين للعمل على اعادة العلاقات بين الطرفين . ومن المحتمل ان بريدجز قد حاول الحفاظ على سياسة الحياد التي كانت تتبعها الشركة من الصراعات التي تنشب بين سكان عرب الخليج ، والحرص على عدم التدخل طالما أنها لم تكن تشكل خطراً على بريد الشركة او نشاطها في المنطقة [٢] .

وكتاب بريدجز هو المصدر الوحيد الذي يتحدث عن الطريقة التي عرف بها المركز التجاري في البصرة عن وصول المبعوث الفرنسي الكابتن بوريل دي بورج إلى الكويت في سنة ١٧٧٨ بينما لا تتحدث سجلات المركز الا عن قصة اعتقاله [٣] .

المؤلفات الأوروبية الأخيرة :

ثمة مرجعان هامان عن تاريخ الخليج استعنا بهما في هذه الدراسة احدهما كتاب ارنولد ويلسون « الخليج الفارسي » الذي نشر للمرة الأولى في لندن ١٩٢٨ . وهو دراسة عامة للمنطقة منذ العصور القديمة . والثاني « التقويم الجغرافي للخليج » تأليف جي . جي . لويمر (*J. G. Lorimer*) وقد صدر

(١) – للوقوف على معلومات تفصيلية عن هذا الحادث راجع ص ١٦٢ – ١٦٣ ادناه .

(٢) – للاطلاع على سياسة الحياد هذه راجع « مقتطفات م.ن. » ملاحظات عن نشأة وتطور القبائل العربية في الخليج تأليف المستر فرانسيس واردن من مختارات ارشيف حكومة بومباي المجلد ٢٤ ص ٥٧ وص ٤٣٣ .

(٣) – راجع الملحق ص ١٠١ – ١٠٤ .

عن حكومة الهند (وظهرت طبعته في مدينة كلكتا سنة ١٩١٥) ولكنها لم تصل إلى ايدي الجمهور الا منذ وقت قريب .

وكتاب لوريمر (الذي استشهدنا به في الكتاب) [١] يعتبر من الاعمال القيمة . وقد اعتمد المؤلف في كتابه على سجلات الحكومة الهندية . اما فيما يختص بالاوضاع في الجزيرة العربية خلال القرن الثامن عشر فقد استقى المؤلف معلوماته من كتاب « الرحالة العربيون » وكتاب « الوهابي » تأليف بريدجز . وبما ان المؤلف لم يرجع إلى المصادر العربية فقد وقع في استنتاجات خاطئة اسفرت عن نقص في المعلومات الخاصة ببعض مراحل تاريخ الجزيرة العربية . ففي حديث المؤلف عن الحسا يقول : « انه لم تتوفر أي معلومات عن الحسا قبل عام ١٧٩٥ » وهذا غير صحيح فلو انه رجع إلى مؤلفات ابن غنام وابن بشر ولمع الشهاب او غيرها من المؤلفات العربية في هذا الشأن لعرف الشيء الكثير عن الحسا .

وعلى أي حال فلا يزال كتاب لوريمر كمصدر غني بالمعلومات عن الخليج مرجعاً على جانب عظيم من الاهمية خصوصاً بالنسبة للاوضاع في القرن التاسع عشر وباستثناء هذه المؤلفات ، فان عيب المراجع العربية هو انها لا تشير إلى التواريخ التي وقعت فيها الاحداث ، على عكس المصادر الاوربية ، التي استعان بها المؤلف في رصد تواريخ تلك الاحداث . والشركة في سجلاتها لا تكتفي بايراد السنوات التي وقعت فيها الحوادث فحسب وانما تضيف اليها الايام والشهور التي وقعت فيها .

أما المؤرخون العرب فان مؤلفاتهم تتميز بالدقة ، وتاريخهم للاحداث يتفق مع ما ورد في سجلات الشركة [٢] :

(١) – يقع هذا الكتاب في مجلدين ، ويضم كل منهما قسمين .

(٢) – يمكننا ان نضرب مثلا على ذلك الصراع المستمر بين بني خالد والوهابيين على امتداد الفترة كلها وهجوم الوهابيين على الزبارة .

وتساعدنا سجلات الشركة على تكوين صورة عن نمو تجارة العتوب وقوتهم البحرية . كما ان المعلومات التي تتناول العلاقات الداخلية بين عرب المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، قد استقيت من المصادر العربية .

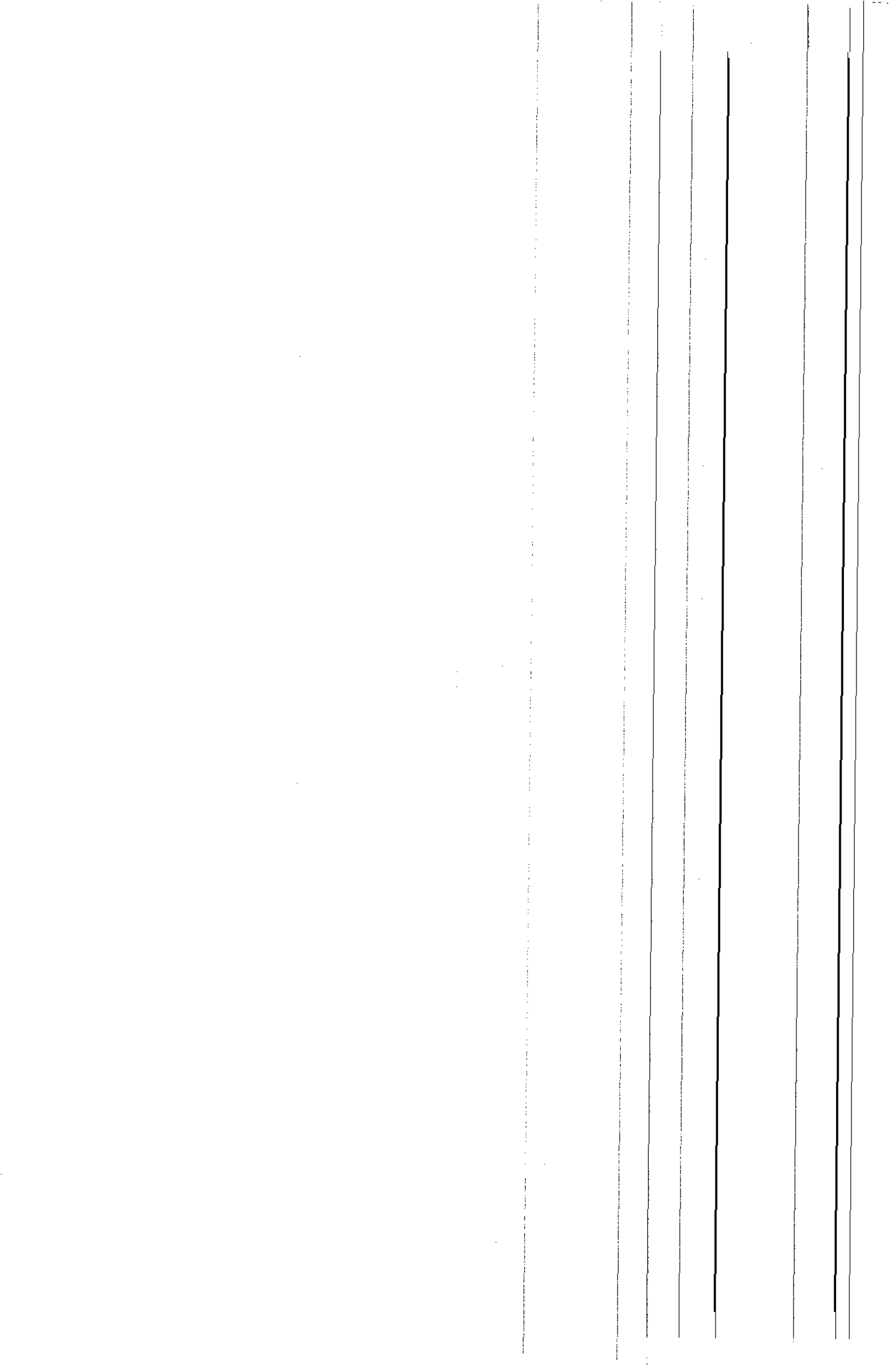
ويمدنا التراث الشعبي بالمعلومات عن نشأة العتوب في الكويت ، وعن أصلهم وهجرتهم ، واستقرارهم النهائي هناك وفقاً لرغبة شيخ مشايخ بني خالـــد .

* * *

الفَصْلُ الأوّل

الاوضاع في الخليج العربي

في النصف الأول من القرن الثامن عشر



ان التعرف على نشأة وتطور دولة العتوب على الجانب الشرقي من شبه الجزيرة العربية [1] خلال النصف الاخير من القرن يستوجب دراسة فترة النصف الاول من القرن الثامن عشر . ان هجرة العتوب واستقرارهم قد تم في بداية القرن الثامن عشر [2] .

---

(١) – ان المراجع التاريخية عن المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية خلال القرن الثامن عشر قليلة . والحدث البارز خلال تلك المرحلة من التاريخ هو ظهور الحركة الوهابية ، التي وصلت الى ذروتها في العشر الاخير من القرن الثامن عشر والعشر الاول من القرن التاسع عشر وثمة مرجعان رئيسيان عن الحركة الوهابية هما « روضة الافكار والافهام لمرتدي حلل الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام » في مجلدين (طبعة بومباي ١٩١٩) تأليف حسين بن غنام وكتاب « عنوان المجد في تاريخ نجد » في مجلدين (طبعة مكة١٩٣٠/١٣٤٩)تأليف عثمان بن عبدالله بن بشر غير ان هذين المرجعين لا يزودوننا الا بالنزر اليسير من المعلومات عن اوضاع شرقي الجزيرة العربية في النصف الاول من القرن الثامن عشر ويرجع ذلك في المقام الاول الى ان المؤلفين ينتميان الى الحركة الوهابية ومن مؤرخيها ، وكان اهتمامهم مقصوراً على المرحلة التي انتشرت فيها الوهابية . فان بشر يشير صراحة بأن فترة ما قبل ظهور الحركة الوهابية لم يكن لها شأن يذكر بالمقارنة الى المرحلة التي اعقبت بداية الدعوة للمذهب الوهابي (راجع كتاب ابن بشر مجلد ١ ص ٥ و ٦) .

كما ان الدراسات الاخيرة عن الوهابية اعتمدت في معلوماتها عن شرقي الجزيرة العربية على هذين المؤلفين ولعلنا نشير بصفة خاصة الى كتاب الحكم التركي والمصري في شبه الجزيرة العربية « ١٨١٠ – ١٨٤٠ » تأليف عبد الحميد البطريق وكتاب « التاريخ الاسلامي الحديث » جامعة لندن ، وكتاب « محمد عبد الوهاب » تأليف ج. س. رنتز (١٧٠٣ / ١٧٩٢) وكتاب « بداية امبراطورية الموحدين في شبه الجزيرة العربية ، الذي قدم كاطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ من جامعة كليفورنيا (١٩٤٨) (النسخة العلمية) ورسالة صلاح العقاد « الدولة السعودية الكبرى » التي تقدم بها المؤلف لنيل درجة الادب من جامعة باريس ١٩٥٦ كذلك راجع الفصل الخامس عن علاقات الوهابيين في شرقي الجزيرة العربية .

(٢) راجع « الجدول التاريخي للاحداث» الخاص بحكومة مسقط ١٧٣٠ – ١٨٤٣ . =

ويرجع هذا التداخل إلى عوامل كثيرة . فلقد كانت القبائل التي تقطن سواحل الخليج ذات نفوذ كبير وكان يتزعم هذه القبائل شيوخ لا يعترفون بسلطان أي حكومة عليهم . كما يؤكد هذا التداخل موقف الشركات الاوربية التي كانت تمول المراكز والعمليات التجارية في الاقطار الواقعة على الخليج . وعلى كل فان الدول المحلية الثلاث الرئيسية في الخليج خلال القرن الثامن عشر هي الفرس في الشمال الشرقي من شاطىء الخليج ، والعثمانيين في ما وراء النهرين ، والعرب على الجانبين الغربي والجنوبي . وقد هيأت هذه الاسباب للعتوب الفرصة لبناء دولتهم المستقلة أولا في الكويت في نحو سنة ١٧١٦ ثم في الزبارة بقطر في سنة ١٧٦٦ وأخيراً الاستيلاء على جزر البحرين [1] سنة ١٧٨٢ .

وجدير بالذكر ان العتوب في تركزهم في المناطق التي اشرنا اليها آنفاً من الساحل الشرقي للجزيرة العربية قد إستفادوا من ثلاثة عوامل : اولها خطوط المواصلات البحرية للشركات التجارية الاوربية عبر الخليج واليه . والثاني عدم وجود قوة اخرى في الخليج العربي تستطيع ان تقف موقف المنافسة لهم . أما العامل الثالث فهو وقوع الكويت ضمن اراضي بني خالد . فقد كان اسلوب الحكم عند هؤلاء من العوامل الرئيسية التي ساعدت على نمو التجارة وتوفير الحماية اللازمة للمدن التي قامت وازدهرت في هذه المنطقة [2] .

= تحت عنوان مقتطفات من سجلات حكومة بومباي مجلد ٢٤ السلسلة الجديدة (بومباي ١٨٥٦) ص١٤٠ – ١٤١ وصور تاريخية لقبيلة العتوب العربية (البحرين) من سنة ١٧١٦الى١٨١٧ ، اعداد المستر فرنسيس واردن عضو مجلس الحكم في بومباي الخ ص ٣٦٢ – ٣٩٣ للاطلاع على التراث الشعبي لنشأة الكويت راجع الفصل الثاني .

(١) – للاطلاع على نشأة الزبارة راجع الفصل الثالث . اما عن استيلاء العتوب البحرين يمكن الرجوع الى الفصل الرابع .

(٢) – لا يزال افراد اسرة آل صباح يتذكرون كيف كان اجدادهم يحتفون بشيخ بني خالد كلما جاء لزيارة الكويت . وقد علم المؤلف بهذا من الشيخ صباح الاحمد الصباح . وكان مبلغ الخراج اللذي يدفعه شيوخ آل صباح يتراوح وفقاً لحجم ممتلكات الحاكم . وعلى كل فلا توجد ادلة عن نوع الخراج او كميته .

وسنحاول هنا الكشف عن الظروف والعوامل التي مكنت العتوب من اقامة دولتهم في شرقي شبه الجزيرة العربية .

١ - الشركات التجارية الأوروبية في الخليج :

يمكن البحث في الصلات التجارية بين شركة الهند الشرقية الانجليزية ، واقطار الخليج من زاويتين . الأولى هي التنافس بين الدول الاوربية على التجارة مع اقطار الخليج وهو السبب الرئيسي لنمو تلك العلاقات وازدهارها والمعروف ان الانجليز لم يكونوا اول الدول الاوربية التي اقامت لها علاقات مع هذه البلدان . أما الثانية فهي علاقة شركة الهند الشرقية بدول المنطقة .

أما الدول الاوربية التي كانت لها معاملات تجارية مع الخليج فهي البرتغال وهولندا ، وانجلترا ، وفرنسا ، وقد سبقت البرتغال الدول الاخرى في فرض وجودها في المنطقة ، الا أن نفوذ البرتغال سرعان ما دب فيه الضعف ، وفي ١٦٠٢ تخلصت البحرين من نفوذهم ، ثم تلتها هرمز سنة ١٦٢٢ [٢] . وقد ترتب على هذا التدهور السياسي والعسكري تقلص في التجارة وعلى أي حال فان سفن البرتغاليين ومنتجاتهم ظلت تصل إلى موانيء الخليج . حتى عام ١٧٢١ وكان المركز التجاري للبرتغال في كنج يستقبل السفن التجارية القادمة من الهند سواء كانت تابعة للمسلمين ، او للهنود [٣] .

ومنذ اوائل النصف الاول من القرن الرابع عشر تعاون الانجليز والهولنديون الذين كانت تمثلهم شركات الهند الشرقية على طرد البرتغاليين من المنطقة وخاضوا في سبيل ذلك معارك مشتركة مع البرتغاليين حتى تمكنوا في النهاية من القضاء على نفوذهم في المنطقة [٤] .

---

(١) - تقرير عن سجلات وزارة الهند عن ايران والخليج العربي (لندن) ص ١٢ كذلك راجع التقويم الجغرافي للخليج (بومباي ١٩١٥) مجلد ١ جزء ١ ص ٨٣٦ .

(٢) - نفس المصدر مجلد ١ جزء ١ ص ٦٨ .

(٣) - الخليج الفارسي « تأليف ارنولد ولسون » .

(٤) - نفس المرجع .

وفي سنة ١٩٦٤ مع بداية تأسيس شركة الهند الشرقية دخلت فرنسا إلى حلبة المنافسة [1] . غير ان مركزها التجاري في بندر عباس كان قد اغلق في اوائل القرن الثامن عشر . ولم يتمكن الفرنسيون من اقامة مفوضية لهم إلا في سنة ١٧٥٥ عندما نجحوا في انشاء هذه المفوضية في مدينة البصرة . وذلك على الرغم من أن السفن الفرنسية كانت ترتاد ميناء البصرة وغيرها من موانيء الخليج خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر [2] .

وكانت هولندا وانجلترا الدولتين الاوربيتين التجاريتين الرئيسيتين خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر . وكان لكل منهما مراكز تجارية في أكثر من قطر او ميناء من الاقطار الواقعة على ساحل الخليج .

ويبدو ان العلاقات بين الدولتين الاوربيتين كانت على خير ما يرام في ذلك الوقت وتتحدث سجلات الشركة الانجليزية عن قيام البواخر الهولندية بنقل البريد والطرود من المركز التجاري في جامبرون إلى البصرة إلا ان هذا التحالف انقلب إلى عداء في اوائل النصف الثاني من القرن العشرين ، عندما اصبحت انجلترا اكبر دول اوروبا التجارية في الخليج .

ومن خلال مناقشتنا للمصالح البريطانية في الخليج خلال النصف الاول من القرن الثاني عشر نستطيع تحديد صورة العلاقات بين الحكومة البريطانية ودول العتوب وتطور هذه الدول وقد ورد ذكر هذه العلاقات في تقارير وكلاء المراكز التجارية البريطانية في كل من جامبرون واصفهان والبصرة وغيرها من مناطق فارس والعراق . وكان وراء انشاء تلك المراكز التجارية

---

(١) — نفس المصدر .

(٢) — كان لكل من الدولتين مراكز تجارية في البصرة وبندر عباس .

(٣) — تقرير مركز جامبرون بتاريخ ٧ مايو ١٧٣٧ راجع ايضاً «رحلة انجلترا الى الهند عام ١٧٥٤» و «رحلة من فارس الى انجلترا عن طريق غير مطروق ١٧٨٥ و ١٧٥٩ (طبعة لندن ١٧٧٣) ص ٢٠٦ .

غرضان الاول توزيع السلع والمواد التي تقوم بنقلها السفن البريطانية من والى اقطار الخليج . اما المهمة الثانية وعلى الأخص بالنسبة إلى مركز البصرة ، فهي ضمان وجود مراكز لتوزيع بريد الشركة الانجليزية وهو في طريقه إلى الشرق او الغرب [1] وكان ثمة طريقان سريعان ومأمونان لنقل بريد الشركة وطرودها ١ - بطريق الهند عبر البحر الاحمر إلى اوروبا، والطريق العملي عبر الصحراء من البصرة إلى حلب . اما الطريق البري فكان اضمن الطرق فقد كان الخطر الوحيد على البريد يأتي من القبائل العربية زالتي يمكن كسب صداقتها عن طريق تقديم الهدايا والسلع اليها [2] .

وقد اتضح ان الطريق الكبرى لم يكن اكثر الطرق اهمية بالنسبة إلى تجارة الشركة مع منطقة الخليج فحسب بل كان أسرعها ايضاً فيما يتعلق بالاتصال بين كل من بومباي وسورت ، وغيرهما من مدن الهند من جهة ، وبين مجلس ادارة الشركة في لندن من جهة أخرى . وقد ازدادت اهمية الطريق البري خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، قبل نشوب حرب السنوات السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣) وفي اعقابها [3] .

وكانت مهمة وكلاء الشركات التجارية تتركز في العمل على توسيع حجم

---

(١) - يضم هذا الكشف قائمتين للسلع التي كانت تنقل الى مراكز الخليج العربي راجع المجلد ١٤ من (سجلات المركز التجاري) خطاب من جامبرون بتاريخ ٢٥ مارس ١٧٢٧ وفيه قائمة بالسلع المستوردة من بومباي (الفلفل والسكر والارز ، والفول والانسجة القطنية ومن الهند اي من البنغال ومنتجاتها وهو الرز والسكر والزنجبيل والفلفل والبضائع القطنية - ومن جامبرون الفواكه وماء الورد وكان الصوف والحرير الفارسي يتصدر القائمة .

(٢) - رغم ان الغرض من أنشاء المراكز هذه وارد في تقارير فترة النصف الاول من القرن الثامن عشر ، فهناك اشارة صريحة الى الموضوع ضمن خطاب بعث به المستر لا توش (*Latoche*) عند تسليمه عهدةادارة مركز البصرة الى خلفه المستر مانستي(*manesty*) راجع خطابلاتوش الى مانستي ، تقرير رقم ١٢٩٩ مجلد بتاريخ ٦ / ١١ / ١٧٨٤ البصرة .

(٣) - عن التهديد لبريد وطرود شركة الهند الشرقية الذي وردت الاشارة عنه في كثير من التقارير خلال فترة النصف الاول من القرن الثامن عشر .

التجارة ، وبالتالي لم يستطيعوا ان يبقوا بمعزل عن سير الاحداث المحلية في المنطقة . والواقع ان شركة الهند الشرقية البريطانية قد اكتسبت « في أقل من نصف قرن بعد انشائها بموجب مرسوم ملكي صدر في ٣١ ديسمبر ١٦٠٠ طابعاً سياسياً [١] وهكذا سارت السياسة جنباً إلى جنب مع التجارة حتى نهاية القرن الثامن عشر على الاقل عندما قامت فرنسا بمحاولة لاحتلال مصر .

في سنة ١٧٠٨ اندمجت الشركتان الانجليزيتان القديمة والحديثة في شركة واحدة تحت اسم (The United Company of the the Merchants of Englaud Trading to the last Indies) مؤسسة اتحاد تجار انجلترا المتعاملين مع بلدان الهند الشرقية [٢] . وخوّل العاملون [٣] في هذه الشركة صلاحيات قنصليـة وعسكرية تبعاً لذلك .

وتجسدت هذه الصلاحية في شخص مندوب يمثل الشركة ايضاً ويوظف رؤوس امواله في اعمالها في الوقت نفسه وبذلك اندمجت مصالحه الخاصة في مصالح الشركة التي يمثلها وكانت الخلافات بين حين وآخر تنشب بين ممثلي الشركة والحكومات المحلية في المنطقة وكانت تحل عن طريق المحاكم المحلية في بومباي وسفارة حكومة صاحب الجلالة في اسطنبول [٤] . ولما كانت المراكز التجارية المذكورة تقع ضمن حدود اراضي كل من الحكومة العثمانية والفارسية فقد كان حكام البلدين يستخدمون السفن الحربية التابعة للشركة في الازمات التي كانت تنشب بين بعضهم البعض . كما كان الفرس والعثمانيون

---

(١) – عن الطريق البري راجع الفصل ٦ ص ١٦٨ – ١٧٣ – ١٧٤ وافضلية الخليج العربي عن البحر الاحمر .

(٢) – راجع كتاب ولسون ص ١٦٩ .

(٣) – راجع كتاب ولسون ص ١٧٠ .

(٤) – لقد ادى الخلاف الذي نشب بين المستر ساموئل ومفوضي البصرة وباشا بغداد في ١٧٩٢ الى نقل الممثلية من البصرة ١٧٩٣ الى الكويت حيث بقي فيها حتى ١٧٩٥ على ان الكويت لم تكن مقرا ملائماً لاعمال الشركة كالبصرة .

يستعينون بالشركة في دعم قوتهم البحرية في الخليج [1] امر الشركة فكانت توزع نشاطها بين الطرفين . وفي مستهل عام ١٨٢٠ ظهر للشركة ان البصرة وهي منطقة تابعة للاتراك ، اصلح بكثير بالنسبة لمصالحها الاقتصادية من ميناء جامبرون الذي قررت اخلائه بسبب الفوضى التي كانت تسوده نتيجة للغزو الافغاني للميناء . الا ان حكومة فارس فسرت نقل النشاط التجاري من بلادها إلى مناطق النفوذ التركية كاجراء عدائي ضدها ، وعلى الرغم من ان العملية قد املتها على ما يبدو ، الضرورة وحدها فقد ارادت الشركة بعملها هذا ان تدخل في روع كل حكومة من حكومات المنطقة بأن المركز يمكن ان يستمر في القيام بأعماله مهما تكن الظروف كما كان ذلك محاولة منها لوضع حد لاضطهاد حكام هذه المناطق للشركة .

وايا كان الامر ، فان المحاولة لم تحقق اهدافها المنشودة ، لأن مفوض البصرة لم يكن اقل تعسفاً من شيخي أبو شهر وجامبرون – ولهذا استحال ارضاء أي من الدولتين . وعلى أي حال فقد بذل المشرفون على الشركة اقصى ما وسعهم ، حتى نجحوا في تحقيق الازدهار لتجارة الشركة في الخليج [2] بالرغم من الحروب والقلاقل الداخلية وهي كلها عوامل كانت تعمل ضد مصلحة الشركة وفي ١٧٣٢ كتب المستر دي مارتن فرنس المشرف على مركز البصرة إلى مجلس ادارة الشركة خطاباً يقول فيه :

« بأن الحرب مع فارس قد أدت إلى وقف الأعمال التجارية في هذه المنطقة حتى اننا لم نتمكن من تصريف بالة واحدة من

---

(١) – انظر ادناه سياسة نادر باشا في الخليج ص ٣٥ – ٣٦ .

(٢) – في اوائل عام ١٧٢٦ ، تأزم الوضع مع والي البصرة الذي حاول ان يضع العراقيل في طريق نشاط المركز . وفي خطاب بعث به المستر هوس ، مدير اعمال الشركة في الخليج الى مجلس ادارة الشركة في لندن ذكر المدير بأن الوالي طالبه بدفع ضرائب جمركية على البضائع التي ترد للشركة وذلك قبل تصريفها . وتتكرر الاشارة الى هذا الموضوع في المجلد ١٤ من تقرير بتاريخ ١٥ ابريل .

البضائع خلال عدة أشهر ولست أرى ان من الحكمة ان نقوم بتفريغ السفن الحالية حتّى نرى كيف تتطور الامور [1] . »

وقد حصلت الشركات الاوربية على شروط مناسبة من الامتيازات الاجنبية العثمانية من ناحية ومن ملوك الفرس من ناحية أخرى . أما في البصرة وجامبرون فقد كانت شركة الهند الشرقية الانجليزية تتقاضى رسوماً خاصة من السفن الانجليزية [2] . وكانت هذه العمليات تدر في زمن السلم ارباحاً طائلة للشركة . غير ان الوضع كان يختلف في اوقات الحروب فقد كان يتعذر على الشركة بسبب تدخل السلطات المحلية فقد تعذر على الشركة تحصيل مثل هذه الرسوم . فبالاضافة إلى التهديدات التي كانت توجه إلى الشركة من الحكام المحليين فقد كان هناك تهديد آخر من المنطقة الساحلية يتمثل فيما كانت تصفه التقارير بأعمال القرصنة . ولهذا حرصت الشركة على تحصين مراكزهــا التجارية ووضعها تحت الحراسة المسلحة . وكانت الشركة لا تنفك تطالب بتزويدها بسفن حربية لاستخدامها في حالة الطوارىء [3] .

وهكذا نجحت الشركة في الابقاء على النشاط التجاري حياً في المنطقة ، مما

---

(١) – من المستر مارتن فرنش الى مجلس الادارة بتاريخ ١٧٣٢/١٩ / ٢٣ مجلد ١٥ واشير الى الموضوع نفسه في خطاب مؤرخ ٢٥ / ٦ / ١٧٣٢ بعث به المستر مارتن فرنش مـــن البصرة .

(٢) – كانت هذه الرسوم تستوفي بواقع ٢ ٪ وقد بلغ مجموع الرسوم القنصلية التي استوفيت في البصرة ١٧٣٢ مبلغ ١٩٥و١٧ شاهي (عملة ايرانية) مجلد ١٤ تقرير رقم ٥٥٩ وكانت الرسوم تستوفي من جانب المراكز التجارة الهندسية والعملات الفارسية وهي الشاهي والمحمودي وعلى الرغم من ان سعر العملتين العثمانية والايرانية كانتا تختلفان الا انه يمكن تقييم ذلك من كشوف حسابات المراكز التجارية . وكانت الروبية الهندية تعادل ٥ محمودي (تقرير ٦٤٩) بتاريخ ١٧٣٦ صادر من البصرة مجلد ١٥ كما كان الجنيه الاسترليني يعادل ٨٠ محمودياً (تقرير رقم ٢٥٧٨ مجلد ١٥) .

(٣) – راجع تقرير المركز المرسل من المجلس في جامبرون الى مجلس ادارة الشركة في لندن بتاريخ ٢٥ مارس ١٧٢٧ – مجلد ١٤ تقرير رقم ٢٣٨٤ .

ساعد على تحقيق الازدهار لكثير من اقطارها .

ولا تشير تقارير شركة الهند الشرقية الانجليزية عن فترة النصف الاول من القرن الثامن بشيء إلى الكويت والبحرين . إلا أنه من المؤكد ان السفن الاوربية والاسلامية كانت تصل من الهند ومسقط خلال ١٧٥ وكانت تساهم بدورها في تنمية القوة البحرية للعتوب كما [1] سنرى في الفصل التالي .

ب – الحالة في فارس والعراق في ظل العثمانيين (١٧٠٠ – ١٧٥٠)

في هذه الفترة التي خلت من وجود قوة مركزية في المنطقة تمكنت دولة العتوب من مواصلة نموها بالاضافة إلى ما كان لها من نشاط تجاري . والدولتان الوحيدتان اللتان كان في وسعهما ان يمارسا شيئاً من النفوذ في المنطقة وهما الفرس والعثمانيين كانتا عاجزتين عن القيام بأي عمل من هذا القبيل في ذلك الوقت .

١ – الوضع في فارس :

شهد النصف الأول من القرن الثامن عشر مرحلة من التغيير وعدم الاستقرار في فارس . فقد استهدفت البلاد لغزوات متتالية من الافغان ، والاتـــراك والروس [2] . وبالتالي كان طبيعياً ان لا يكون الخليج العربي خاضعاً لنفوذ أي دولة . ولم يبدأ الخليج العربي في ممارسة دوره في مجال السياسة إلا بعد ١٧٢٦ عندما تسلم نادر شاه سلطة الحكم في فارس .

ومن الانصاف ان نعترف لنادر شاه بالموهبة وسعة الطموح فيما يتعلق بمصالحه في الخليج . كما ارتفعت فارس في عهده إلى مصاف الدولة البحرية

(١) – كتاب ايفز ص ٢٠٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢) – للاطلاع على الوضع المتأزم في فارس راجع كتاب نادر شاه – دراسة نقدية تعتمد على المصادر الرئيسية الحديثة تأليف ال.لوكهارت (*L. Lockhart*) (طبعة لندن ١٩٣٨) « ص ١ – ١٧ » .

الاولى في آسيا فكان يطمح في بناء قوة بحرية ، يسيطر بها على الممتلكـات الفارسية في كل من البحرين الشمالي والجنوبي أي بحر قزوين وبحر الخليـج العربي [١] . ولقد ادرك نادر شاه ان افتقار فارس إلى قوة بحرية منيعة في منطقة الخليج يحول دون ممارسة حكامها لاي شكل من اشكال النفوذ عـلى عرب الخليج المتمردين [٢] . وعلى الرغم من ان نادر شاه ، والحق يقال ، اول من ادرك من الحكام الفرس اهمية القوة البحرية ، فقد ظل يكافح ضد عوامل الطبيعة التي كانت قد ولدت في الفرس نفوراً شديداً مـن البحر [٣] . ولعل اوضح مثل لهذا النفور اميرال البحر الفارسي ، الذي لم يحدث ان شاهد سفينة في حياته [٤] فقد كان الهنود والبرتغاليون [٥] هم الذيـن يشرفون على الاسطول . وقد شن اول هجوم بحري فارسي على البصرة سنة ١٧٣٥ « غير ان الحاكم العثماني ارغم سفينتين من السفن التابعة لشركة الهند الشرقية التصدي للفرس وقد تمكنتا من صد الهجوم [٦] . ويقـال ان الاسطول الفارسي في ١٧٣٩ كان يتألف من « ثلاث قطع » سفينة من طراز بريجانتين وسفينة ذات ٣ سواري واخرى ذات ساريتين ؛ وعددٍ من القطع المساعدة [٧]

---

(١) — « فارس والمسألة الفارسية » جي كرزن (G. N. Q. Curzon) طبعة لندن ١٨٩٢ مجلدين ص ٣٩٠ من المجلد الثاني .

(٢) — راجع خطاب مؤرخ ٢٠ / ٥ / ١٧٣٢ من المستر مارتن فرنشر وكيل مركز البصرة الى مجلس ادارة الشركة مجلد ١٥ .

(٣) — تاريخ فارس تأليف مستر بي . مكايس (طبعة لندن ١٩٢١ في مجلدين مجلد ٢ ص ٢٧١ .

(٤) — نفس المرجع وكتاب كرزن مجلد ٢ ص ٣٩٢ حيث يستشهد في معرض تعليقه على هذا الاختيار بهاينو « وليس ادل على جهل الفرس للشؤون البحرية من تعيينهم لميرزا مهدي اميرالا على القوة الساحلية وهو شخص لم يشاهد اي سفينة في حياته .

(٥) راجع كارستين نيبور *Descrptions de l'arabie sur des observations propres et des avis recuellis sur les lieux mémes*. طبعة امستردام ١٧٧٤ في ٥ /٦/ ١٧٣٥

(٦) — خطاب بتاريخ ٥/ ٦ / ١٧٣٥ من مارت فرش الى مجلس الادارة .

(٧) — خطاب من وكالة جامبرون الى مجلس الادارة بتاريخ ٣١ / ٣ / ١٧٣٩ .

وفي اوائل ١٧٣٤ اتخذت ابو شهر قاعدة لهذا الاسطول ثم بعد فترة وجيزة أعيد تسميتها ببندر النادرية [١] .

كان احتلال الفرس للبحرين ١٧٣٦ نقطة هامة في سياسة نادر شاه للتوسع البحري في الخليج . ويبدو ان البحرين ظلت خلال القرن الثامن عشر تنتقل بين سلطان مسقط وعرب الهولة القاطنين على ساحل الخليج العربي [٢] وفي ١٧٨٢ أصبحت ضمن ممتلكات العتوب . وفي بداية القرن الثامن عشر سيطر الشيخ جبارة زعيم عرب الهولة على البحرين وبذلك خرجت من نفوذ ملك الفرس بسبب اضطراب الاحوال في فارس يومئذ .

في ١٧١٨ قام العرب سكان مسقط في عهد سلطان بن سيف الامام اليعربي الثاني لعمان بانزال قواتهم في البحرين [٣] في محاولة للاستيلاء عليها وعلى اي حال فقد واجه هؤلاء مقاومة من عرب الهولة الذين ارغموا القوات المهاجمة على الانسحاب من الجزيرة ، بعد إجلاء السكان الاصليين من الجزيرة والانتقال إلى جهات أخرى فراراً من « الاضطهاد [٤] العماني » .

ويبدو ان حملة الفرس ١٧٣٦ لقيت تأييداً قوياً من عرب الهولة سكان الساحل الفارسي والمحمرة . وقد عين نادر شاه كلا من الشيخ غيث واخيه الشيخ ناصر المذكور من قبيلة المطاريش العربية حاكمين على البحرين . واستمر حكمهما للجزيرة حتى ١٧٨٢ عندما استولى العتوب على هذه [٥] الجزر

---

(١) – لوكهارت ص ٩٢ .

(٢) – كارستين نيبور ص ٢٨٤ – ٢٨٦ .

(٣) – التحفة النبهانية في الجزيرة العربية « تاريخ البحرين (القاهرة ١٣٤٢ / ١٩٢٣) ص ١١٢ .

(٤) – لوريمر مجلد ١ ص ٨٣٦ – ٧ اما ولسون فيقدم هذا التاريخ سنة واحدة ١٨١٧ في (الخليج الفارسي) .

(٥) – عن استيلاء العتوب على البحرين راجع خطاب لوكهارت الى مجلس الادارة بتاريخ ٤ / ١١ / ١٧٨٢ كذلك راجع كتاب البحرين للبنهاني ص ١٣ / ١١٥ .

ويبدو ان الذي دفع الفرس إلى الاستيلاء على البحرين هو مغاصات اللؤلؤ التي تشتهر بها الجزر وكانت سبب اطماع الدول الاخرى سيما وانها لم تكن اغنى مغاصات اللؤلؤ في الخليج فحسب ، بل وفي العالم كله . وكانت تدر دخلا سنوياً يقدر بنصف مليون روبيه هندية [١] . اما في النصف الاول من القرن الثامن عشر فان البحرين لم تعد مركزاً تجارياً هاماً ، وبالتالي لم يكن للشركة أي مراكز تجارية فيها .

ان الطريقة التي إتبعهـا نادر شاه في انشاء اسطولـه البحري طريقة جديرة بالدراسة فقد قدمت كل من شركتي الهند الشرقية الانجليزية والهولندية مساعدتهما في هذا المجال ، اما عن طريق بيع سفن للحكومة الايرانية ، او بتقديم التسهيلات اللازمة لبناء تلك السفن في الهند او في غيرها من البلدان . ولقد كان لبحرية فارس تأثيرها على العرب المقيمين على جانبي ساحل الخليج وقد طلب إلى العرب المقيمين على الساحل الفارسي تسليم بعض سفنهم إلى الحكومة الايرانية . وكان هؤلاء ، ومعظمهم من قبيلة الهولة يتعاملون مع سكان الساحل العربي . وكان من عادة هؤلاء العرب إذا تعرضوا لاي خطر ان يستقلوا قواربهم ويرحلوا فيها بعائلاتهم [٢] ، ويتركون مواطنهـم ويلجأون إلى أبناء جلدتهم انتظاراً ليوم يستطيعون فيه الانتقام من عدوهم . وهكذا لم يتمكن عرب الهولة من الاستيلاء على الاسطول قبل سنة ١٧٤١ أي في عهد نادر شاه ، الامر الذي جعل الفرس في حاجة ماسة إلى السفن . غير ان شركة الهند الانجليزية لبت كل طلبات الفرس من السفن التي صدرت الاوامر ببنائها في الهند .

وقد اقتنع نادر شاه بأن عرب الخليج هم العناصر الوحيدة الملمة بشئون الملاحة ، ولهذا قرر تعيين عدد منهم في منطقة بحر قزوين للاشراف على بناء

---

(١) – تقرير عن الوضع التجاري في الجزيرة العربية ... الخ في مختارات سلدهانا من الوثائق الحكومية ص ٤٠٧ .

(٢) – راجع الفصل اعلاه .

قوة بحرية فارسية هنالك [1] . وقد انشىء حوض لبناء السفن في المحمرة كلف الشاه ثمناً باهظاً في الارواح ، فقد كانت الواح الصنوبر تنقل عبر فارس من مازداران لاستخدامها في بناء السفن الفارسية غير ان النتيجة الوحيدة التي تمخض عنها هذا المشروع هي عبارة عن هياكل سفن غير كاملة ، عثر عليها في ميناء أبو شهر بعد وفاة نادر شاه مباشرة [2] . ومع ذلك فقد استمرت محاولات ملوك الفرس في اواخر القرن الثامن عشر في الاستفادة من القوة البحرية . ففي عام ١٧٧٥ سيّر كريم خان زند قوة بحرية بقيادة صادق خان ضد البصرة وقد استعان في شن الحملة بالشيوخ العرب من قبيلة المطاريش سكان بندر رق ، ومن بني كعب وهم اقوى القبائل العربية إلى الخليج [3] .

٢ — الوضع في العراق العثماني : —

ان ثاني دولة مجاورة للخليج والتي كان من الممكن أن يكون لها تأثير على سير الاحداث في المنطقة هي العراق [4] العثماني ولكن فيما يختص بهذه الدولة فقد كانت سلطة الولاة في بغداد سلطة محدودة ، لا يتجاوز نطاقها جنوباً حدود البصرة . وبالتالي كان هؤلاء وغيرهم ، في حروب مستمرة مع الفرس منذ ان احتل العثمانيون العراق سنة ١٥٣٠ . وعلى كل فالولاة في البصرة [5] . كانوا يعملون مستقلين عن باشا بغداد ، الذي كان يعتمد على العرب في الدفاع عن ولايته وفي نقل السلع ايضاً .

---

(١) — مؤلفات كارستن نيبور ص ٢٧٠ وكرزن ايضاً مجلد ٢ ص ٣٩٢ .

(٢) — كرزن مجلد ٢ ص ٣٩٢ ويكايز مجلد ٢ ص ٣٧٢ وقد وردت نفس الاشارة في مؤلفات نيبور عن هذه المخلفات في بداية عام ١٧٦٥ عندما كان يزور المحمرة .

(٣) — راجع الفصل الرابع ص ٩٣ .

(٤) — والي بغداد .

(٥) — سقطت البصرة في ايدي العثمانيين سنة ١٥٤٦ راجع اربع قرون في تاريخ العراق الحديث » تأليف اج لونجرج (طبعة اكسفورد ١٩٢٥ ص ٣١) .

أما سلطة الوالي فقد كانت تمتد إلى ما وراء مواطن القبائل العربية . وكانت قبيلة المنتفك تحتل الجزء العربي من الولاية ، بينما كانت قبائل بني كعب تحتل جنوب وجنوب شرق المنطقة . وعلى حين كان عرب المنتفك في القرن الثامن عشر موالين عادة لولاة البصرة ، فان قبائل بني كعب غالباً ما كانت تغير ولاءها من العثمانيين إلى الفرس . ومن الفرس إلى العثمانيين — واحياناً كانت تمنح ولاءها إلى الدولتين معاً [1] . وإلى جانب القبائل المجاورة للبصرة يمكننا ان نضيف قبيلة الظوافر التي كانت عادة موالية لباشا بغداد ولممثله في البصرة [2] .

أما علاقة القبائل العربية في العراق بالقبائل الاخرى على الجانب الشرقي من شبه الجزيرة العربية خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر علاقة سلمية ولكن الخلاف نشب بينهم وبين هذه القبائل خلال النصف الثاني من القرن [3] . وكانت سياسة باشا بغداد تقوم اما على التودد إلى اولئك العرب أو اخضاعهم إخضاعاً مباشراً لحكمه . وكان الوضع التجاري في البصرة يتأثر بتلك السياسة . كذلك بغداد كانت تتأثر هي الأخرى من موقف التجارة التي كانت تعبر البصرة إلى بغداد سواء عن طريق القوافل [4] او السفن النهرية .

---

(١) — كارستن نبيور في كتابه (*Voyage eu arabie et en d'autres pays cercorivoisins,* طبعة امستردام ١٧٨٠) مجلد ٢ ص ١٧٨ — ١٨٦ اما القبائل العربية فقد تناولها في الفصل الثالث من الكتاب .

(٢) — قبيلة الظوافر من اصل نجدي هاجرت من نجد الى العراق حيث استقر بها القرار بالمنطقة القريبة من البصرة راجع كتاب « عشائر العراق » تأليف عباس العزاوي (طبعة بغداد ١٣٦٥ — ١٩٣٧ » مجلد ١ ص ٢٩٥ — ٣٠٤ اما قبيلة المتفك فقد جاءت من نجد . واستقرت في المنطقة الواقعة بين البصرة وبغداد راجع « عنوان المجد في احوال بغداد والبصرة ونجد » تأليف ابراهيم صبغة الله الحيدري وكتاب « الدرر المفاخر في اخبار العرب الاواخر » تأليف محمد البسام .

(٣) — راجع الفصل الرابع ص ٩٣ .

(٤) — كانت التجارة عبر نهري دجلة والفرات نشيطة جداً (انظر رحلات في اسيا وافريقيا تأليف بارسونز (طبعة لندن ١٨٠٨ ص ٥٤ كذلك ولسون ص ٦٧ / ٦٨) .

أما العثمانيون فقد ركزوا اهتمامهم على البصرة خلال القرن السادس في محاولة لاتخاذها قاعدة للهجوم على البرتغاليين . وقد ظلت نفس الاعتبارات تحكم الوضع حتى بعد زوال التهديد البرتغالي خلال القرنين التاليين . فلقد كان باشوات بغداد ايضاً يحبذون ازدهار تجارة شركة الهند الشرقية الانجليزية ويعتبرونها من اهم عوامل الاستقرار في السنوات الأولى من القرن السابع عشر [1] .

وعلى اي حال فقد كان مستوى وحجم وازدهار تجارة البصرة يخضع لعوامل كثيرة . فلقد كانت اطماع ومواقف ولاة العراق إزاء المجموعات التجارية في المنطقة عاملا بالغ الاهمية [2] . ومن ناحية اخرى فقد كانت التجارة تحتاج إلى السلم وهو ما لم يكن متوفراً حتى في الفترات التي لم يكن هناك عدوان فارسي على البلاد . وكان في وسع القبائل العربية متى شاءت ان تعكر صفو التجارة داخل البصرة باعتبارها خط الترانسيت إلى سورية ، بل والتجارة الداخلية مع بغداد وغيرها من مدن العراق [3] .

ومنذ فجر التاريخ ، كانت هذه القبائل وغيرها من سكان المنطقة الجنوبية للبصرة تعتمد في تنقلاتها من اواسط شبه الجزيرة العربية وشرقها إلى العراق على الجمال . وكان الطريق البري يمر بالقرب من قرية الجهرة ، كمحطة للتزويد بالماء وكان لبلدة الكويت التي انشأها العتوب على هذا الطريق البري فائدة بالغة وكانت قرية الجهرة وغيرها من القرى الواقعة جنوبي العراق تخضع لسلطان قبيلة بني خالد .

---

(١) – انشيء المركز التجاري لشركة الهند الشرقية في البصرة سنة ١٧٤٣ راجع كتاب لونبرج ص ١٠٨ وكتاب ولسون ص ١٦٣ .

(٢) – في ١٠ ابريل ١٧٢٦ كتب المستر فرنش الى مجلس ادارة الشركة في لندن يقول ان علاقات الشركة بباشا بغداد لم تكن على مايرام بسبب اصرار الاول على استيفاء رسوم على تلك البضائع قبل تصريفها . مجلد ١٤ تقرير ٥٦١ .

(٣) – تقع الجهرة بين الكويت والبصرة .

ج — اواسط الجزيرة العربية وشرقها : —

وخلال النصف الاول من القرن الثامن عشر كانت قبيلة بني خالد أقوى دولة في الخليج تقع على الجانب الشرقي من الجزيرة العربية ، وقد أخذ نفوذها يمتد من الكويت شمالاً حتى قطر جنوباً ، وقد استوطن بعض افراد هذه القبيلة « عمان السر » [١] . أما عن مدى انتشار نفوذ هذه القبيلة في نجد فتأتي إليه مؤخراً [٢] .

وبالرغم من ان حكم بني خالد في الحسا قد بدأ منذ وقت مبكر ، إلا أنهم لم يتمكنوا من فرض وجودهم كقوة إلا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وحتى ١٥٨١ استطاع بنو خالد الصمود لشرفاء مكة ، عندما حاول حكام مكة غزو المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، ومحاصرة بني خالد في الحسا [٣] . ولعل بني خالد قد تمكنوا خلال القرن السادس عشر من اكتساح الجزيرة العربية من قطر جنوباً حتى البصرة شمالاً . أما علاقاتهم بالعثمانيين فقد كانت تتسم بالعداء وقد امدتهم قبائل المنتفك بالمساعدة في احتلالهم للحسا [٤] ، التي كانت خاضعة يومئذ لحكم الجابري احد زعماء قبائل قيس العربية . وقد بقيت تحت حكم العثمانيين حتى احتلها البراك بن غرير آل حمد من قبيلة بني خالد في ١٠٨٠ — ١٦٧٠ [٥] . وكان براك

(١) — « تحفة الاعيان في سيرة اهل عمان » تأليف نور الدين عبد الله بن حميد السالمي في مجلدين . الاشارة ترد في المجلد الاول من الطبعة الثانية (القاهرة ١٣٥٠ / ١٩٣١ (وفي المجلد الثاني (طبعة القاهرة ١٣٤٧ / ١٩٢٨ ص ١١ و ١٢) .

(٢) — للاطلاع على تفاصيل اصل بني خالد ودولتهم ، ومناطق نفوذهم راجع كتاب ابن بشر « السوابق » مجلد ١ ص ٨٠ / ١٥٤ / ١٨٣ / ٢١١ / ٢١٨ اما كتاب « لمع الشهاب » فلا يقدم معلومات عن هذا الموضوع ويكتفي بسرد التاريخ .

(٣) — كتاب ابن بشر مجلد ١ ص ٢٤ / ٢٥ .

(٤) — نفس المصدر .

(٥) — يرد اسم براك في كتاب لونجرج في البند الخاص بحملة باشا بغداد على الحسا عام ١٦٣٢ — ١٦٣٤ ، من المحتمل ان يكون براك هذا من اجداد براك الحالي .

هو أول من أسس حكم بني خالد في الحسا ، بعد طرد العثمانيين منها ، وبذلك وضع نهاية لأول احتلال قام به العثمانيون لتلك البلاد . وقد تعاقب على حكم الحسا اربعة من الولاة العثمانيين هم : فاتح باشا اول الحكام العثمانيين ، ثم علي باشا ، ثم محمد باشا وأخيراً عمر باشا ، الذي استسلم للبراك [1] . وقد حكم براك الحسا حتى وفاته في سنة ١٠٩٣ — ١٦٨٢ وخلفه على الحكم اخوه محمد بن غرير .

يعتبر حكم بني خالد للحسا موضوعاً ذا أهمية خاصة بالنسبة لمؤرخي شرقي الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر . فقد امتدت سلطة هؤلاء الحكام إلى البصرة شمالا وإلى بعض اجزاء نجد شرقاً ، بحيث اتصلت منطقة نفوذهم بمنطقة نفوذ العثمانيين في العراق والمقاطعات الصغرى في اواسط الجزيرة العربية وكان هناك بعض أفراد يملكون مزارع في المناطق الخصبة من الحسا، الامر الذي جر عليهم مشاكل مع حكام تلك المنطقة . ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال ، عثمان بن معمر شيخ العوينة بمقاطعة العارض ، الذي كان يمتلك مزرعة نخيل في الحسا تدر عليه ربحاً سنوياً يقدر بـ ٦٠,٠٠٠ ريالا ذهبياً . ولهذا عندما لجأ محمد بن عبد الوهاب إلى عثمان . هدد زعيم الخوالد بمصادرة ارباح عثمان إذا استمر في حماية لعبد الوهاب . وقد تمخض هذا التهديد عن طرد محمد عبد الوهاب من الحسا ولجوئه إلى محمد بن سعود شيخ الدريعية [2] ، مما أدى إلى سلسلة من الغزوات والمعارك العنيفة انتهت باحتلال الحسا سنة١٧٩٥

على ان بني خالد لم يسيطروا على الواحات الخصبة في الحسا فحسب بل على

---

(١) — كان حكم العثمانيين للحسا حكما شكليا فقط « اذ لم تكن لهم اقطاعيات هناك وكان الولاة يحكمون بدون صلاحيات تذكر » وباختصار ظل العثمانيون يطالبون بالحسا باسلوبهم الخاص الا ان مطالبهم هذه لم تكن تقوم على اسس حقيقية كما ان التاريخ ووجود الحكومة الحاضرة لا تؤيدان هذه المطالب من اقوال لونجرج ص ٣٨ .

(٢) — « لمع الشهاب» ص ٣٢ / ٣٣ وابن غنام مجلد ١ ص ٣ / ٤ .

التجارة بين الخليج وأواسط الجزيرة العربية [1] . وكانت القطيف والعقير ميناءي اواسط الجزيرة العربية الميناءين اللذين تمر عن طريقهما البضائع القادمة من الهند واليمن كالسكر والبن ، والتوابل وغيرها من الحاصلات [2] الزراعية . وعلى الرغم من ان الكويت تعد من الاقطار التي ساهمت في هذه التجارة ، إلا أنها لم تكتسب أهميتها التجارية إلا في النصف الثاني من القرن العشرين .

وقد انقسم بنو خالد إلى فئتين فئة الحضر وفئة البدو ، اما ما كان يميز قبيلة بني خالد عن غيرها من القبائل هو ان الأولى كانت تعتمد على نفسها في حماية نفسها . وكان مركز حاكم القبيلة في واحة الاحساء نفسها وقد اغار بنو خالد على اواسط الجزيرة العربية [3] ، وزحفوا منها شمالاً حتى مشارف البصرة ، حيث اشتبكوا مع قبيلة الظوافر [4] .

ان لبني خالد أهمية خاصة بالنسبة إلى هذا البحث ، ففي اراضيهم اقام العتوب دولتهم . ولقد اكتسبت الكويت اهميتها ، كما سنرى فيما بعد ، من كونها قد اتخذت المقر الصيفي لبراك ، شيخ بني خالد . ويعزى تسمية الكويت إلى هذا الحاكم وقد اشتقت التسمية من لفظة كوت ــ ومعناها القلعة التي انشأها الحاكم المذكور ومنها اتخذت هذه التسمية [5] . . . ولم تكن الكويت وحدها التي نشأت وازدهرت في ظــل حكم بني خالد بل هناك

---

(١) ــ ان خصوبة الارض محدودة ولا شك في منطقة الواحات ، او منابع المياه حيث يمكن سحب الماء من الآبار . لان معظم اراضي الحسا صحراوية .

(٢) ــ «تقرير عن الاوضاع التجارية في الجزيرة العربية» اعداد سلدهانا مختارات من الوثائق الحكومية ص.٤٠٥ / ٤٠٩ ويتضمن معلومات وافية عن الدور الذي قامت به هذه الموانيء كمراكز لتوزيع السلع في اواسط الجزيرة العربية .

(٣) ــ كتاب ابن بشر مجلد ج (طبعة دمشق ١٩٥٤) ص ٥ .

(٤) ــ نفس المصدر .

(٥) ــ صفحات من تاريخ يوسف بن عيسى القناعي (طبعة دمشق ١٩٥٤) ص ٥ .

مستعمرتهم الثانية وهي الزبارة في قطر [١] كما ان تطور الكويت والزبارة وغيرهما من المستعمرات الواقعة على الشاطىء الشرقي من شبه الجزيرة العربية ليدل على ان حكم بني خالد يسوده السلم والتوسع التجاري [٢] وعلى الرغم من ان بني خالد كانوا يسيطرون على التجارة المتجهة إلى اواسط الجزيرة العربية وإلى معظم موانئها الشرقية فقد كانوا ، على ما يبدو من رواد البحر المشهورين مثلهم مثل القواسم سكان رأس الخيمة او العتوب [٣] سكان الكويت أو عرب مسقط [٤] إلا أن حكمهم السلمي للمنطقة الشرقية من شبه الجزيرة

---

(١) — هاجر اهل خليفة وغيرهم من عائلات العتوب الى الزيارة ١١٨٠ / ١٧٦٦ راجع سبائك السجد تأليف عثمان بند سند (طبعة بومباي ١٣١٥ / ١٨٩٧) ص ١٨ — ١٩ كذلك راجع « صور عن قبائل العتوب وغيرها » مختارات بومباي ص ٣٦٣ .

(٢) — انظر « تقرير عن تحر الجزيرة العربية الخ » اعداد سلدهانا من مجموعة الوثائق الحكومية ص ٤٠٨ .

(٣) — في الطبعة الا نجليزية للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر يرد اسم القواسم راجع لمع الشهاب وكتاب « صور تاريخية لقبيلة العرب الجواسم » كما ورد في مجموعة وثائق حكومة بومباي من ١٧٤٧ الى ١٨١٩ ص ٣٠٠ — ٣٥٩ .

(٤) — يرجع تاريخ ظهور عرب مسقط على مسرح الاحداث في الخليج عام ١٦٩٤ — ١٦٩٦ عندما بلغوا من القوة بحيث كانوا يهددون بالسيطرة على الخليج كله ولقد تصعبت حركة الملاحة في الخليج خلال العام التالي نتيجة لقوة هؤلاء العرب مما جعل وكيل الشركة في جامبرون يتوقع لهم ان يكونوا خطراً على الهند كما كان المغاربة على اوروبا « نبذة تاريخية لنشأة وتطور حكومة مسقط » الخ (السلسلة البريطانية ص ١٦٨) .

واسفرت هذه القوة عن احتلال مناطق اخرى على ساحل الخليج والى عدد من عمليات القرصنة (راجع نفس المصدر) ولم يكن لا في مقدور الشركة الانجليزية ولا البرتغاليين ايضاً الوقوف في وجه القوة المتعاظمة لمسقط كما لم يكن في مقدور فارس ايضاً خلال العقود الثلاثة او الاولى من القرن الثامن عشر ان يوقفوا غارات عرب مسقط (عمان) عليهم ولقد وجه نادر شاه أسطوله وقواته ضد اهل مسقط وتمكن من احتلالها واجتياح مناطق اخرى من عمان. ومع ذلك فقد طرد الفرس من عمان على عهد الامام احمد بن سعيد ، الذي نصب اماماً عام ١٧٤٤ (نفس المصدر ص ١٦٩) والفتح المبين المبرهن بسيرة السادة البوسعيديين تأليف حميد بن محمد بن زريق (الناشر مكتبة جامعة كامبردج) وعلى اي حال فقد كان الاسطول العماني خلال القرن الثامن عشر اكبر القوى البحرية في المنطقة ، من حيث انه لم يكن يشكل خطراً كبيراً على الا ساطيل المحلية الاخرى فحسب ، وانما على الاساطيل الاجنبية ايضاً . ولقد بلغ من احساس عمان بقوتها البحرية ان حاولت فرض رسوم على السفن المحلية لقاء عبورها مضيق هرمز .

العربية ، كان من العوامل الحتمية التي هيأت الفرصة للكويت خلال السنوات الأولى من نشأتها لكي تنمو وتزدهر في جو لا تعكر صفوه القبائل العربية الاخرى .

نجـــد : —

على ان هذا العامل لم يتوفر بالنسبة لنجد ، حيث كان شيوخها الصغار يمارسون نفوذاً غير محدود على تشكيلاتها القبلية — كما لم يتسن لهذه التشكيلات ولا لزعمائها أن يدركوا ما كان للعائلة السعودية من نفوذ في منطقة الدريعية ، قبل عام ١٧٤٥ [١] . ومنذ فجر التاريخ كانت سنوات القحط التي تجتاح بعض المناطق الصحراوية في الجزيرة ، ترغم اقساماً كبيرة من السكان على النزوح إلى الضواحي الخصبة في سورية والعراق [٢] ويشير التاريخ الحديث إلى ان مثل هذه الهجرات كانت تتم في العهود القريبة ايضاً . فقد كان من عادة البدو الرحل ان تهاجر بقطعانها إلى الواحات الخصبة القريبة كلما داهمها القحط . اما الحسا بواحاتها الخصبة فكانت مأوى لاهل نجد . ويشير ابن بشر إلى عدد الهجرات التي قام بها أهل نجد إلى الحسا في اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر بعد ان تعرضت مناطقهم إلى موجة حادة من الجفاف. وكان عام ١١٣٥ — ١٧٢٢ من اشد اعوام الجفاف [٣] التي تعرضت لها نجد حيث لم يجد المهاجرون إلى الحسا متسعاً للاقامة هناك فاضطروا إلى مواصلة الرحلة إلى البصرة وغيرها من المناطق الخصبة في العراق . وكانت العلاقة بين سكان الحسا والمهاجرين إليها على ما يبدو ودية ويرجع ذلك كما يبدو إلى ان كلا من نجد والحسا كان يسكنها العرب العدنانيون كما كان بنو خالد حكام الحسا ينتمون إلى قبيلة ربيعة ، وهي احدى قبائل عدنان . وعلى كل فقد يكون

---

(١) — ترمز هذه السنة الى بداية نشاط الوهابيين في نجد — ابن غنام مجلد ٢ ص ٤ وابن بشر مجلد ١ ص ١٥ .

(٢) — راجع الفصل الثامن ص ٤٩ / ٥٠ .

(٣) — ابن بشر مجلد ١ ص ٦٢ ، ٧٥ ، ١٦٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ .

سبب هذه المجاملة ما جبل عليه العرب من كرم الضيافة . وكما سوف نرى مؤخراً فان رابطة الدم بين بني خالد والعدنانيين لم تمنع بني خالد من مهاجمة القوة السعودية النامية ، التي استقرت اولا في قرية الدريعية في اواسط نجد [1] . وقد ظل الوهابيون في موقف الدفاع فترة امتدت نحو ٢٠ عاماً (من ١٧٤٥ – حتى ١٧٦٥) ولكنهم تحولوا إلى الهجوم حتى تمكنوا في النهاية من ايقاع الهزيمة بخصومهم في سنة ١٢٠٨ – ١٧٩٣ وسنة ١٢١٠ – ١٧٩٥ [2] .

الحصيلة

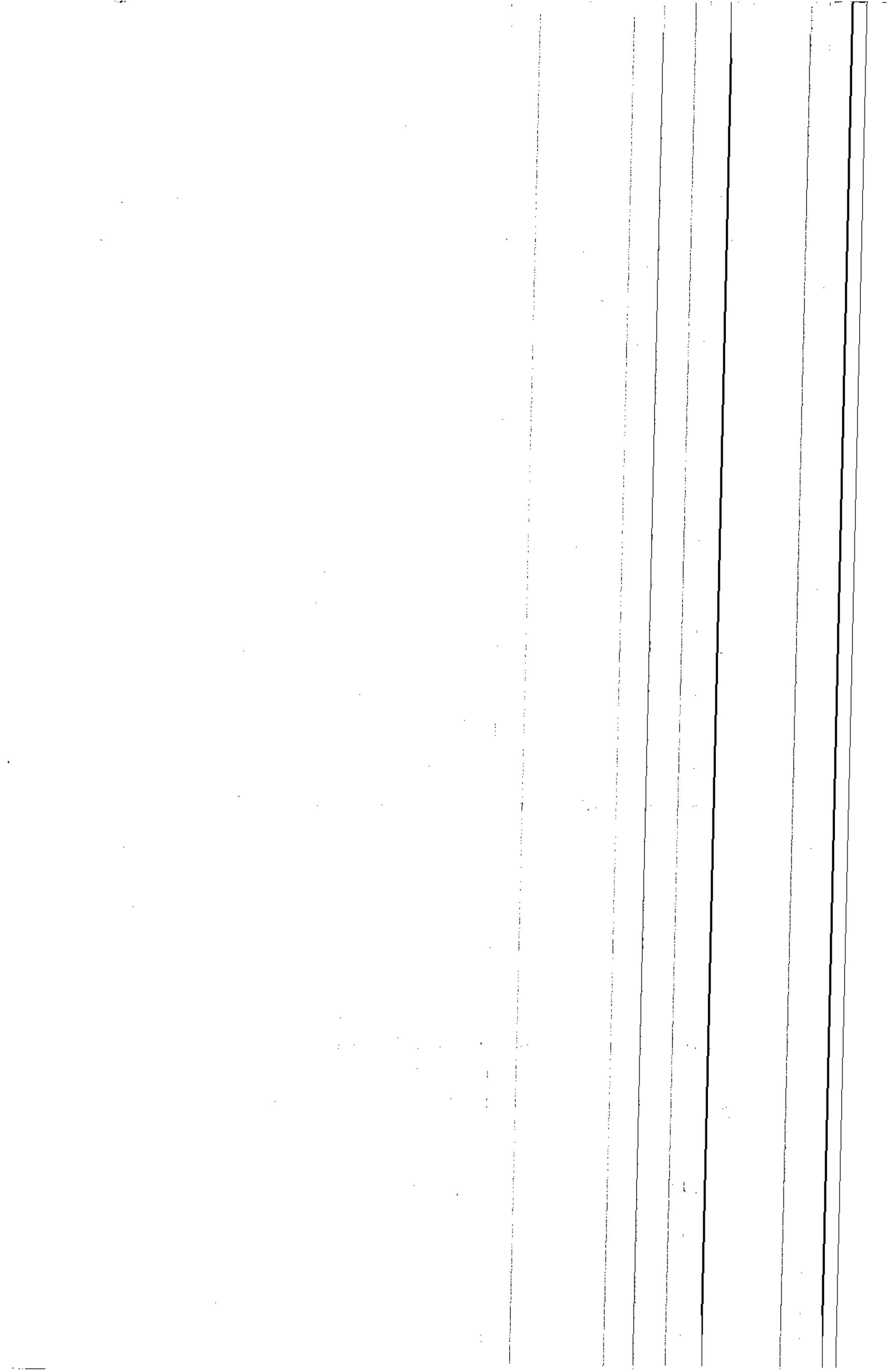
وهكذا تضافرت عوامل ثلاثة لتمكين العتوب من إثبات وجودهم في الكويت خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر . ومن هذه العوامل موقع الكويت على طريق التجارة بين الخليج العربي وطريق الصحراء . ويبدو ان العتوب قد استفادوا بدورهم من هذا العامل . وأنهم على ما يبدو ، قد مهدوا لهذا النشاط التجاري عبر الطريق البري والبحري . اما العامل الثاني فهو موجة القلاقل والاضطرابات التي اجتاحت فارس ، وافتقارها إلى سلطة مركزية موحدة تقبض على زمام الامور ، وهكذا ادت هذه القلاقل والاضطرابات والتغييرات المستمرة في المنطقة إلى ظهور مجتمعات صغيرة استطاعت ان تبني نفسها متحررة نسبياً من اي تدخل خارجي .

أما العامل الثالث فهو موقع الكويت ضمن اراضي بني خالد ، الذين كانوا يشجعون التجارة ، تلك التجارة التي كانت عاملا مساعداً في تحقيق النمو والازدهار لدولة العتوب .

---

(١) – نفس المصدر ص ٢٢٣ وربما يكون عبد الوهاب احد اللذين توجلوا الى البصرة في نفس المدة – لم الشهاب في معرض حديثه عن رحلات محمد عبد الوهاب .

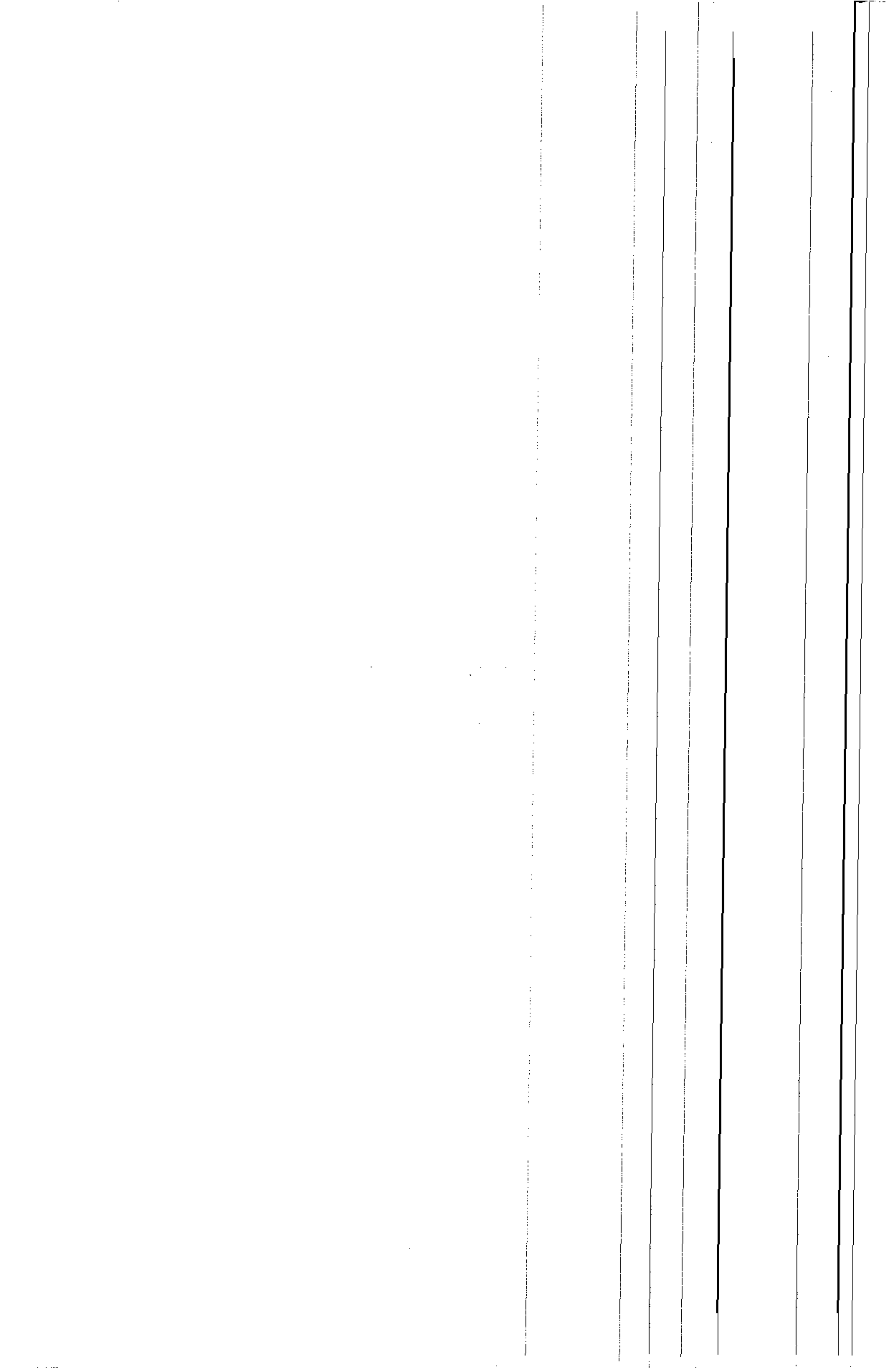
(٢) – ابن غنام مجلد ٢ ص ١٨٥ – ١٩٢ وابن بشر مجلد ١ ص ١٠٠ – ١٠٢ لمسع الشهاب .



الفصل الثاني

نشأة الكويت

١٧٠٠ – ١٧٦٢



تعتبر هجرة بعض القبائل العربية من فصيلة عنزة ، بما فيها قبيلة العتوب واستقرارها في الكويت [1] خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر بداية قيام دولة العتوب على الجانب الشرقي من شبه جزيرة العرب .

كانت الكويت تؤلف جزءاً من اراضي دولة بني خالد ، الذين كان العتوب يتمتعون بحمايتهم سابقاً . ولقد ساعدت الحركة التجارية في الخليج واستقرار الاحوال في المناطق التي اشرنا اليها آنفاً على تطور البلاد ونموها ومن ناحية أخرى فقد كان موقع الكويت الجغرافي بمينائه الطبيعي عاملا بالغ الاهمية في نشأتها وتطورها .

هذه الجوانب لنشأة الكويت واختيار آل صباح لزعامتها ، فضلا عمـــا توفر لها من ادارة مبكرة ، هي موضوع هذا الفصل من الكتاب .

أما بلدة الكويت نفسها فتقع على بعد حوالي ٨٠ ميلا إلى الجنوب وعلى منطقة لا تبعد كثيراً عن الساحل الشرقي للبصرة ، وعلى بعد نحو ١٨٠ ميلا غرباً إلى الشمال من ابو شهر كما تبعد نحو ١٨٠ ميلا من الشمال الغربي عن البحرين. وتجاه الشمال الغربي منه أي على الساحل الجنوبي لخليج الكويت ممتدة إلى ثلث الطريق من مدخلها على رأس الارض حتى قاعدتها عند قرية الجهزة [2] .

أما الخور فيشكل مدخلا واسعاً يمتاز بروعة الشكل ، يتفرع من داخل

---

(١) — مدينة الكويت عاصمة الدولة الحاضرة . وقد تم تخطيط دولة الكويت بموجب مؤتمر العقير ١٩٢١ راجع «جزيره العرب في القرن العشرين» طبعة القاهرة ١٩٣٥ ص ٨٨ تأليف حافظ وهبه اما عن السلطة الخاصة لسلطة الشيخ في القرن العشرين فسوف نشير اليها مؤخرا .

(٢) — (كلكتا ١٨١٥) مجلد ٢ ص ١٠٤٨ .

الزاوية الشمالية الغربية للخليج ، على امتداد نحو ٢٠ ميلا في الاتجاهين الشرقي والغربي ويصل عرضه في الحد الاقصى إلى نحو عشرة اميال . وهو هلالي الشكل يتجه رأسه المحدودب إلى الشمال ، بينما تتجه اطرافه إلى الجنوب الغربي . والخليج في اساسه يشكل تضريساً للساحل العربي الاصلي الذي يمتد من الجهة الشمالية لخور الصبية العربي ، ومن الجنوب في الساحل الذي يلي منطقة رأس الارض . أما مدخل الخور ، بين السهل ورأس الارض ، فتبلغ سعته نحو ٤ أميال وينتفح على كل من الناحيتين الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية وفي الخليج ثلاثة خيران صغيرة . أما المنطقة الواقعة على الناحية الجنوبية من الخليج ، في اقصى الجنوب بين رأس الارض ورأس عجوزة فهي ضحلة يتعذر على السفن ارتيادها . اما الخور الاوسط منها ، بين رأس عجوزه ورأس عشيرج على الناحية الشرقية من الخليج ، فيحتضن مدينة الكويت . وعند اقصى تجويف للخليج توجد شعب مرجانية خامدة تغطيها طبقة من الطين والرمال وينقسم الخليج إلى ثلاثة مناطق لكل واحدة منها اسمها الخاص فالطبقة الوسطى منه تسمى عكاظ بينما تقع الفرين او الشيوخ على الضفة الجنوبية من عكاظ ، وجزيرة ام النمل قريباً من رأس عشيرج ورأس كاظمة . وعلى قاعدة الخليج تربض قرية الجهرة .

الارض المحيطة بالخليج منخفضة ، فيما عدا الناحية الشمالية منه ، حيث ترتفع تلال الزور بموازاة الشاطىء إلى علو يتراوح ما بين ١٥٠ و ٤٠٠ قدم . وعلى الناحية الشمالية من الخليج تمتد منطقة طينية إلى مسافة بعيدة من الشاطىء بحيث تجعل المواصلات بين البحر والشاطىء خلال فترة الجزر على درجة كبيرة من الصعوبة وتسمع مياه الخور في معظم اوقات النهار برسو السفن كما أن به مرسى صالحاً لهذا الغرض [1] .

---

(١) — في تقرير كتبه احد الرسميين في حكومة بومباي ١٨٤٥ جاء ان ميناء الكويت كان يتسع لرسو الاسطول البريطاني باسره . انظر « مذكرات عن مصادر ومقاطعات وعلاقات القبائل القاطنة السواحل العربية للخليج » بقلم اللفتنانت اي بي كامبل ، المقيم المساعد في ابو شهر .

وتفتقر الكويت وضواحيها إلى المصادر الزراعية فلا توجد بها مزارع نخيل او حقول زراعية ، كما لا توجد بها حتى حدائق منزلية . وهي تستورد الخضار والعلف في الغالب من قرية الجهرة أو من الخارج[1]. اما ماء الشرب فيأتي عادة من آبار تقع خارج المدينة وعلى حد وصف السير هارفورد جونز بر يدجز (*Harford Jones Brydges*) فان الماء في الكويت يجمع بين العذوبة والملوحة والمرارة في نفس الوقت [2] وماء هذه الآبار عادة يكون عذباً بعد نزول الامطار مباشرة ، ولكنه يتحول إلى الملوحة بعد ذلك [3] أما مناخ الكويت فبارد في الغالب عند هبوب رياح الشمال . وفي فصل الصيف تهب على الكويت ريح باردة من الغرب طوال الليل . وتمتاز الكويت على سائر المدن الساحلية في الخليج بجمال مناخها في الصيف وقد اصاب شيوخ بني خالد في اختيارهم الكويت بعد انشائها [4] . مباشرة كمصيف لهم .

وتسمية الكويت هي تصغيرة لكلمة كوت إي القلعة . وهذا لا يعطي للتسمية أي أهمية ، ولكن الكويت اصبحت فيما بعد عاصمة دولة الكويت الحالية [5]

---

(١) – تقع قرية الجهرة على حافة خور الكويت ، على بعد عشرين ميلا الى الغرب من مدينة الكويت وهي المنطقة الزراعية الرئيسية في البلاد ، كما ان القوافل المتجهة الى البصرة والبريد عن طريق مر حفار تمر منها . اما بقية سكانها ومعظمهم من الفلا حين فانهم من اصل نجدي . جاء هذا في دليل « الجزيرة العربية » في البند الخاص بقسم الا ستعلامات التابع للاميرالية البريطانية (لندن ١٩١٦) مجلد ١ ص ٢٩٦ – ٢٩٧ .

(٢) – بيان عن اعمال بعثة صاحب الجلالة الى بلاط ملك الفرس خلال ١٨٠٧ – ١٨١١ . وملحق به مختصر لتاريخ الوهابيين . تأليف هارفورد جونز بردجز في مجلدين (طبعة لندن ١٨٣٤) مجلد ٢ ص ١٢ .

(٣) – صفحات من تاريخ الكويت / تاليف القناعي ص ٧ – ٨ .

(٤) – نفس المصدر ص ٥ .

(٥) – في معرض تعليق الاب انستاس الكرملي على اصل تسمية الكويت يقول «إسم الكويت هو تصغير لكلمة كوت . وكلمة كوت كما هي دارجة في لهجة سكان جنوب العراق والبلدان المجاورة لها في شبه الجزيرة العربية وبعض اجزاء من بلاد فارس تعني البيت الذي يشبه القلعة في شكله ، بحيث يمكن الدفاع عنه اذا تعرض لهجوم.وهذا البيت تحيط به عدة بيوت في العادة ولا =

كذلك سميت الكويت بالقرين ، تصغيراً لكلمة قرن ، او تل [1] .

ومن العسير ان نحدد متى تأسست الكويت ، لأن المعلومات التاريخية عن هذا الموضوع ليست في متناول ايدينا . وعلى كل فان المؤرخين الكويتين الذين يعتمدون في أقوالهم على المصادر الشعبية ، يحددون هذا التاريخ بأواخر القرن السابع عشر أما القناعي فيعتقد بأن الذي أسس الكويت هو براك ، احد امراء شيوخ بني خالد وذلك عام ١١١٠ – ١٦٨٨ . اما الرشيد وهو مؤرخ كويتي أيضاً ، فكل ما يقوله في هذا الصدد هو ان الكويت انشئت في اواخر القرن السابع عشر [2] . ويروى النبهاني نقلا عن الروايات الشفوية ان الكويت قد ظهرت إلى الوجود في نحو ١٠١٩ – ١٦١١ [3] . وقد جاء فيما كتبه عثمان بن سند عام ١٨٠٠ ، أن الكويت اكتسبت شهرتها في اوائل القرن الثامن عشر [4] .

كل هذه المصادر تجمع ان الكويت تأسست قبل القرن الثامن عشر ويرى

= تطلق هذه التسمية على المكان الا اذا قريباً من الماء، سواء كان بحراً او نهرا او بحيرة او حتى مستنقعا كما يطلق على اي بيت ينشيء فوق ذلك الموضع ويضرب على ذلك امثلا كثيرة مثل كوت الافرنجي ، كوت الزين ، كوت العمارة وكوت البندر « انظر مقال بعنوان « في تسمية الكويت » مجلة الشرق العدد ١٠ (بيروت ١٩٠٤) ص ٤٤٩ – ٤٥٨ .

(١) جزيرة صغيرة تقع على مسافة قصيرة إلى الغرب من الكويت تسمى القرين . على حد علم المؤلف من الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة أن لفظة القرين أو التل الصغير عرفت في قطر والحسا ومن الجدير بالذكر أن عادة تصغير الأسماء في شرقي الجزيرة العربية لا تتناول اسماء المناطق فحسب ، بل وأسماء الحكام أيضاً ولعل أبرز مثل على هذا الاصطلاح هو التسميات المألوفة في أوساط بني خالد مثل الدجين والعرير والسعدون .

(٢) في القرن السابع عشر امتدت سلطة بني خالد حتى تخوم البصرة ، راجع الفصل الاول ص ٣٨ تاريخ الكويت الجلد ١ ص ١٠/١١ .

(٣) النبهاني في كتابه " التحفة النبهانية " ، الكويت ص ١٢٦ .

(٤) سبائك المسجد ص ١٨ . يتحدث ابن سند هنا عن وصول رزق الاسعد إلى احد اثرياء الكويت المشهورين في القرن الثامن عشر إلى الكويت وقد قال في هذا المعنى بالنص " أن الكويت لم يكن يسكنها أحد قبل وصول احمد الجد الاكبر ، الا لفترة قصيرة .

القناعي ان الكويت انشئت عام ١١٠٠ – ١٦٨٢ ، هذا اذا سلمنا بأن البراك هو الذي أنشأها. الا أن الكويت لابد وان تكون قد نشأت قبل هذا التاريخ لاسيما إذا علمنا ان حكم البراك امتد من ١٠٨٠ – ١٦٦٩ حتى وفاته ١٠٩٣ – ١٦٨٢ [١].

ومن المحتمل ان تكون الكويت في الاصل مركزاً من المراكز الصغيرة لصيد الاسماك في القرن السابع عشر ، عندما اقام بعض البدو بالقرب من الكوت ، الذي بناه أمير بني خالد .

كذلك يحيط الخلاف بمقدم العوب إلى الكويت وهم مجموعة من الاسر العربية ، كما يحيط الشك باسم العتوب والطريق التي سلكوها في هجرتهم إلى الكويت . إن هذه القبائل العربية الموحدة ، كانت في الغالب [٢] تسمى العتوب أو بني عتبة [٣] . وجميع هذه التسميات مشتقة من اللفظة العربية عتبة ومعناها المتنقل او الرحالة [٤] . اما المؤرخون العرب ممن عاشوا ينتمون إلى النصف الاول من القرن الثامن عشر بداية القرن التاسع عشر فكانوا يسمونهم بالعتوب [٥] ، وهو الاسم الذي اطلقناه عليهم في هذا البحث . كذلك فان اللفتنانت كولونيل ديكسون يعتقد ان لفظة عتوب مشتقة من لفظة عتبة [٦] ، ويضيف ديكسون انه عالم من الحاكم الحالي الشيخ عبد الله السالم الصباح بأن اجداده عرفوا بهذا الاسم بعد ان اتجهوا شمالا أي « عبوا إلى

(١) ابن بشر مجلد ١ ص ٦٥ – ٨٠ .
(٢) سبائك المسجد الجد الأكبر ص ١٨ .
(٣) لمع الشهاب ص ١٠١ – ١٠٧ .
(٤) صورة تاريخية لقبائل العتوب العربية فرانسيس واردن .
(٥) لمع الشهاب ص ١٠١ ، ١٠٧ ، ابن رزق في كتابه ؛ السيرة الجلية " ص ١٨٦ و " الفتح المبين " ص ١٩٣ – ١٩٧ .
(٦) الكويت وجاراتها تأليف اج . آر . بي . ديكسون (طبعة لندن ١٩٥٦) ص ٢١٦ – ٢٧ .

الشمال [١] » ومهما يكن من اصل هذه التسمية فان المؤرخين الذين تناولوا تاريخ الكويت على اختلافهم متفقون على ان العتوب ينتمون إلى عنزه وهي قبيلة عربية عدنانية كانت تسكن نجد وشمال الجزيرة العربية . وان آل الصباح وغيرهم من عائلات العتوب معروفون بانهم فصيلة من قبيلة عنزة اما الروايات التي يتناقلها آل الصباح وآل خليفة [٢] فتقول بأنهم ينتمون إلى جميلة ، وهي فصيلة من قبيلة عنزه وكانوا في السابق يقيمون في الهدار بمنطقة الافلاج في نجد قبيل نزوحهم إلى قطر ثم الابحار منها إلى الكويت واذا كانت هذه الروايات ليست قاطعة بالنسبة للفترة التي هاجر فيها هؤلاء إلى قطر ، إلا انها قد تكون جزءاً من الهجرة الجماعية لقبائل عنزة خلال القرن السابع عشر [٣] ، وتتفق الهجرة الجماعية لقبائل عنزة في القرن الثامن عشر مع هجرة عرب الرولة إلى سوريا [٤] . وكانت القبيلتان في الاصل اسرة واحدة هاجرت من اواسط الجزيرة العربية جماعات وافراداً واستوطنت مؤقتاً بعض اجزاء من الساحل الشرقي للجزيرة العربية قبل ان يستقر بها القرار نهائياً في الكويت . ويصعب تحديد أي تاريخ لهجرة العتوب . وكما جاء في الفصل الاول من الكتاب شهدت اواسط الجزيرة العربية خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر سنوات عجاف . ومن هنا ربما كان العتوب احدى القبائل التي

---

(١) نفس المصدر .

(٢) للاطلاع على اصل عائلة آل الصباح راجع ما كتبه المؤرخ الرشيد ويدعى آل خليفة انهم من نفس السلالة . وقد علم المؤلف بهذا من الشيخ عبد اللهبنخالد آل خليفة وان العائلتين تنحدران من نفس قبيلة جميلة التي هي من فصيلة عنزة .

(٣) لم يستطع أوبنهايم تحديد تاريخ لهذه الهجرة ، ولكنه يقول بأن قبيلة جميلة لا تزال تقيم بمقاطعة الافلاج حتى الآن انظر كتاب البدو تأليف اوبنهايم (طبعة ليبزج) (مجلد ١ ص ٦٢ وجاء فيه / ان العتوب كانوا من بين هذه القبائل ولكنهم هاجروا إلى الكويت ، ولكن اوبنهايم لا يحدد تاريخاً لهجرتهم راجع نفس المصدر في نيو مكسيكو ١٩٤٨ ص ١٩٤٨ ص ٢٢٢ — ٢٣٩ .

(٤) قبيلة عنزة تنقسم عادة إلى مجموعتين : الشمالية والجنوبية وتنتمي قبيلة الرولة إلى الاولى منهما أما الجنوبية فمنها آل سعود وآل الصباح وغيرهم راجع (عادات وتقاليد بدو الرولة —طبعة نيويورك ١٩٢٦) .

شدت الرحال الى الشرق [١] . اما الأحاديث المتناقلة فتقول ان العتوب كانوا من سكان مقاطعة الافلاج في اواسط الجزيرة ، ولكن الجفاف اضطرهم إلى النزوح شرقاً إلى قطر التي كانت يؤمئذ خاضعة لحكم بني خالد . ولا تُعرف الكيفية التي بها تجمع هؤلاء اخيراً في الكويت حيث استقروا فيها نهائياً . ولكن هذا يؤيد رأي السلطات المحلية في انهم نزحوا منها شمالاً . والواقع ان الروايات في هذا الخصوص تؤكد بأن هذه القبائل قبل استيطانها في الكويت تبعثرت على مناطق واسعة من موانىء الخليج [٢] . وعلى كل ، ترجح الروايات الشعبية بان العتوب جاؤا إلى الكويت من مناطق ثلاث محتملة . ومن المحتمل ان يكون العتوب قد استوطنوا اولا المنطقة القريبة من جزر الصبية جنوبي البصرة ، إلا أن ولاة البصرة العثمانيين ارغموهم على الجلاء عن تلك المنطقة بسبب الغارات التي كانوا يشنونها على القوافل المتجهة إلى البصرة وعلى السفن التي كانت تعبر شط العرب [٣] . وثمة رأي آخر يقول انهم استوطنوا ساحل الخليج اولا ومنه ابحروا إلى الكويت هرباً من غارات القبائل العربية [٤] وثمة رأي يقول أن هذه الاسر ابحرت من قطر إلى الكويت تحت ضغط خلاف نشب بينهم وبين قبيلة آل مسلم العربية التي تسكن قطر [٥] .

ولكن المؤرخ القناعي يحسم هذا الموضوع حيث يقرر أن العتوب استوطنوا قطر بعد نزوحهم من مقاطعة الافلاج ، ومنها تفرقوا على أجزاء عديدة من ساحل الخليج العربي ، إلى ان استقر بهم القرار نهائياً في الكويت وتأييداً لرأيه

---

(١) راجع اعلاه ص ٤٢ .

(٢) صفحات من تاريخ الكويت ص ٩ والرشيد في كتابه " تاريخ الكويت " مجلد ١ ص ١٥ - ١٦ .

(٣) الرشيد مجلد ١ ص ١٦ والنبهاني في " التحفة " ص ١٢٨ .

(٤) يقال انهم استوطنوا قبل انتقالهم إلى الكويت " جزيرة قيس " وعبدان وغيرهما من المناطق " صفحات من تاريخ الكويت " ص ٩ .

(٥) هذه الرواية يتناقلها العامة وقد سمعها المؤلف من الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وهي تقول ان فرع آل خليفة من العتوب استوطن الكويت قبل آل الصباح النبهاني ص ١٢٨ .

هذا يستشهد القناعي بقبيلة القناعات [١] التي نزحت من ساحل الخليج والعراق والجنوب أي من قطر ، إلى الكويت منذ حوالي ٢٠٠ عام . وعليه فمن المرجح ان يكون العتوب قد مضوا ما لا يقل عن نصف قرن في المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة قبل انتقالهم إلى الكويت ، وقد هيأت هذه الظروف للعتوب ان يصبحوا من اشهر رواد البحر .

ليس هناك أي قاطع عن تاريخ وصول العتوب إلى الكويت فلا بد والحالة هذه من وضع خط فاصل بين آل صباح ، الذين تولى أكبرهم صباح بن جابر مشيخة الكويت سنة ١٧٥٠ ووصول عائلات العتوب الاخرى . فقد جاء في تقرير المستر واردن وغيره من المسؤولين في حكومة بومباي [٢] . ان آل صباح ومعهما فصيلتان بارزتان من قبيلة العتوب هما آل خليفة والجلاهمة احتلوا الكويت وتعهدوا بادارة شئونها المحلية وذلك في نحو ١٧١٦ ، وهو رأى يقوم على الافتراض ،لأن قبائل العتوب لم تفد إلى الكويت على دفعة واحدة [٣] كما ان هذا القول يعكس خطأ في تسلسل الاحداث التاريخية ، لأن صباح وخليفة كما ورد في تقرير المستر واردن المؤرخ ١٧١٦ لم يكونا زعيمي قبيلتيهما

---

(١) يتحدث القناعي في كتابه " صفحات " أن قبيلة القناعات سكنت الكويت ، والزبارة والبصرة ونجد أما من أي جهة نزحت القبيلة إلى الكويت فغير معروف وعلى حد رأي هذا المورخ (ص ١٠٠) ربما جاءت من شمال العراق ، حيث كانت تقيم هناك قبل ذلك بوقت طويل . اما من الناحية السلالية ، فان القبيلة تنتمي الى قبيلة السحول العربية ولعل بعضها نزح الى الزبارة ، خلال وفي اعقاب هجرة آل خليفة ١٧٦٦ وما ان ترك سكان الزبارة موطنهم ١٢١٣ – ١٧٩٨ ، حتى نزح قسم من قبيلة القناعات الى البحرين حتى يسمى باسمهم (نفس المصدر) .

(٢) راجع « صور تاريخية » من قبيلة العتوب العربية ... الخ « وثائق حكومة بومباي » ص ١٤٠ ان هذا المقال الذي كتبه الفتننانت كامبل ، يعتمد على ما جاء في تقرير المستر واردن عن الموضوع ١٨١٧ وقد كتب كامبل مقاله ١٨٤٤ .

(٣) صفحات من تاريخ الكويت » ص ٩ وكتاب « تاريخ الكويت » تأليف الرشيد » مجلد ١ ص ١٤ – ١٦ .

في ذلك الوقت [١] . غير ان هذا لا يتعارض مع القول بأن اسلاف الصباح وجابر لم يكونوا في الكويت في بداية القرن الثامن عشر [٢] .

لا نعثر في سجلات شركة الهند الشرقية الانجليزية او في أحاديث الرحالة أو التراث الشعبي ، على معلومات اكيدة عن حكام الكويت خلال النصف الاول من القرن والذي يبدو ان احد امراء بني خالد كان يحكم الكويت حتى ١٧٥٠ . اما سعدون بن محمد بن غرير الحمد فقد حكمها في بداية القرن الثامن عشر [٣] . وقد خلفه على الحكم اخوه علي بعد صراع خاضه ضد دجين ابن سعدون [٤] والمناعي [٥] بينما تولى سليمان الاخ الثالث لكل من سعدون وعلي فقد تولى حكم المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة في نفس ذلك العام .

ولعل الصراع الذي نشب بين افراد العائلة على الحكم بعد وفاة سعدون ١٧٢٢ ، قد تمخض عن استقلال القبائل الفرعية الاخرى من بني خالد في شئونهم الداخلية ، رغم انهم ظلوا في نفس الوقت محتفظين بولائهم لبني خالد . والواقع ان استقلال الكويت لم يتحقق الا بعد ١٧٥٠ . والمستر واردن في

---

(١) فيما يلي نص هذا البيان : « في اعقاب ١٧١٦ بعد الميلاد وبدافع من المصلحة المشتركة والطموح قررت ثلاث من القبائل العربية الكبرى هي بني صباح ، والجلاهمة وآل خليفة ، ان تنشيء اتحاداً فيما بينها ، فاستولت على منطقة من الارض على الساحل الشمالي من الخليج تسمى الكويت ، وكان بنو صباح يخضعون يومئذ لزعامة الشيخ سليمان بن احمد ، والجلاهمة للشيخ جابر بن عتوبي، وبنو خليفة للشيخ خليفة بن محمد من «كتاب صور تاريخية من حياة قبائل العتوب العربية » الخ ص ٣٦٢ .

(٢) حسب رواية الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة للمؤلف ، ان الحكايات التي يتناقلهما الناس تشير الى ان اسرته توجهت الى الكويت قبل وصول آل صباح اليها . وان زعيم العتوب يتولى الحكم في الكويت ، ولعل هذا هو الذي دعا آل خليفة الى النزوح الى الزيارة عام ١٧٦٦ . وذلك في نفس الفترة التي تولى فيها الشيخ عبدالله الصباح مشيخة الكويت راجع ادناه ص ٦٦ .

(٣) ابن بشر مجلد ١ ص ٢١٨ .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر ص ٢٧ مجلد ١ .

كتابه عن العتوب الصادر في ١٨١٧ يقول ان سليمان بن احمد هو الذي كان يتولى زعامة عائلة الصباح منذ ١٧١٦ [١] .

ولما كان المسترد واردن المرجع الوحيد الذي يتحدث عن سليمان كأول حاكم للعتوب من أسرة الصباح ، فان رواية آل خليفة بالنسبة لهذا الموضوع تبدو ذات مغزى ربما كان هذا الحاكم من بني خالد . أما رواية آل خليفة فتقول : أن أحد افرادها حكم الكويت قبل آل الصباح ، اما خليفة الذي تسمت الأسرة بأسمه ، والذي هاجر من الزبارة في قطر عام ١٧٦٦ فهو نجل فيصل . ويتلخص رأي آل خليفة عن حكمهم للكويت في ان اثنين من اسرتهما هما محمد وفيصل كانا يتزعمان القبيلة في الكويت قبل ان تهاجر منها إلى الزبارة . وبالتالي فلا يمكن ان يكون هذان الشخصان هما سليمان الذي يتحدث عنه واردن في تقريره .

ويرى المؤلف ، بإن سليمان بن احمد الذي يعتقد واردن انه كان يحكم آل صباح هو سليمان بن محمد او سليمان الحمد نفسه ، وقد تولى زعامة بني خالد منذ سنة ١٧٣٦ حتى ١٧٥٢ [٢] . وربما يرجع ذلك إلى التعارف على تسمية احمد بالحمد باعتباره الاسم العائلي للحاكم ، طالما كان اسمه الاول هو سليمان . ومن جهة أخرى ، يقول بعض الرواة ، ان العتوب انما دخلوا الكويت بموافقة حاكمها من بني خالد [٣] . وقد ظلت سلطة بني خالد قائمة حتى وفاة سليمان بن محمد سنة ١٧٥٢ مركزة في يد شيخ واحد — كماهيأت الخلافات العائلية التي نشبت في اعقاب وفاة سعدون سنة ١٧٢٢ الفرصة لقبائل العتوب بأن يستقلوا بالحكم .

وقد تعذر على العتوب ممارسة الاستقلال الكامل منذ سنة ١٧٥٢ فصاعداً

---

(١) « صور تاريخية » مختارات حكومة بومباي ص ٣٦٢ .

(٢) ابن بدر مجلد ١ ص ٢٧ .

(٣) نفحات من تاريخ الكويت « النبهاني ص ٩ والتحفة النبهانية » ص ١٢٢ — ١٢٩ .

لا بسبب الخلافات التي دبت بين افراد اسرة الحمد فحسب ، بل وبسبب تصاعد قوة الوهابيين في اواسط الجزيرة وانعكاساتها على منطقة نفوذ بني خالد.

وعليه يمكن القول بأن سليمان المشار اليه آنفاً لا بد وان يكون واحداً من امراء بني خالد الذين طردهم ابن سعدون من الحسا ، ثم توفي في منفاه . بخارج جنوب نجد وذلك في ١١٦٦ — ١٧٥٢ [١] .

وتقول روايات غير مؤكدة . ان صباح قد اختاره أهل الكويت أنفسهم وقد تمت مراسيم توليه السلطة على الطريقة القبلية التقليدية . وذلك لكي يحكم بين الناس بالعدل وليسوس امور البلاد التي اخذت تسير في طريق النمو والازدهار [٢] . ويلوح لنا ان اسرة صباح لم تكن معروفة قبل توليه الحكم، كما لم يكن اسمه معروفاً في الاوساط الشعبية التي لا تذكر في هذا المعنى شيئاً أكثر من ان الكويت كان يحكمها احد الشيوخ [٣] .

وحوالي ١٧٥٨ كانت سلطة صباح على ما يبدو قد توطدت في انحاء الكويت وما جاورها . ونظراً للانجازات التجارية التي حققتها الكويت فقد غدت من المحطات الهامة التي تقصدها القوافل القادمة من حلب لنقل السلع التي ترد من الهند على السفن الكويتية ، والمسافرين من الخليج عبر الصحراء إلى حلب في سوريا [٤] .

ومن الجدير بالذكر ان نستعيد إلى الاذهان قصة الدكتور ايفيز ورفاقه مع

---

(١) ابن بشر مجلد ١ ص ٢٧ .

(٢) تاريخ الكويت مجلد ٢ ص ١ تأليف « الرشيد » و « من تاريخ الكويت » لسيف مرزوق الشملان . (طبعة القاهرة ١٩٥٩) ص ١١٦ — ١١٧ .

(٣) عندما سأل الشملان الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة عن اسم والد الصباح الاول ، اجاب بأن اسمه كان جابرا وقد استشهد الشيخ محمد ببيت كان يردده آل بن علي عند نزوحهم من الكويت الى قطر عام ١٧٥٠ .

(٤) الدكتور ايفيز ص ٢٠٧ .

شيخ الكويت ، فهي المرة الاولى التي يرد فيها ذكر الكويت في تقارير الرحالة الاوربيين .

في شهر مارس ١٧٥٨ رست سفينة الرحالة الدكتور ايفيز ورفاقه في جزيرة خارج وكانوا في طريقهم من الهند إلى اوربا [١] . وكانوا قد سألوا البارون نفوسين (*Baron Kmiphausen*) عميد الجالية الهولندية في خارج عن اقصر الطرق إلى حلب نصحهم البارون بالنزول في الكويت . وكان شيخ الكويت « يدين بالجميل للعميد وكان إلى حد ما خاضعاً لنفوذه » كما كان في وسع الشيخ مساعدة الرحالة على الالتحاق بالقافلة المتجهة إلى حلب عبر الطريق الصحراوي . وتستغرق الرحلة بهذا الطريق من ٢٥ إلى ٣٠ يوماً أي اقل بنحو اسبوعين إلى ٤ اسابيع عن الرحلة بالسفن إلى البصرة وبغداد .

« كان البارون يعرف بأن الطريق البري هو الطريق الذي يرتاده التجار وبأن أحد الاوربيين قد قطع هذا الطريق ومعه خادمه ووصل إلى وجهته بسلام [٢] .

وهكذا تمت الترتيبات لارسال فلوكه (قارب) من خارج إلى الكويت لاحضار الشيخ وذلك يوم ٣١ مارس . وقد عاد القارب يوم ١٤ يقل « الشخصية العربية المنتظرة » [٣] وقد حدد كل من البارون والشيخ المبالغ التي يتعين على الرحالة الاوربيين دفعها نظير رحلتهم من الكويت إلى حلب ، فقد طلب الامير ٢٠٠٠ ريالا [٤] ، بينما لم يعرض البارون سوى ١٠٠٠ إلى ١١١٠

(١) للتعرف على جزيرة خارج راجع كتاب رحلات للدكتور ايفيز ص٢٠٧ – ٢١٦ ، وكتاب رحلات الى الجزيرة العربية « تأليف كارستون » نيبور مجلد ٢ ص ١٤٩ – ١٦٦ وبارسونز ص ١٩٠ – ١٩٨ .

(٢) الدكتور ايفيز ص ٢٠٧ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) ٨٠٠٠ ريال تعادل الف روبية او ١٢٥ جنيه استرليني راجع نفس المصدر ص ٢٢٤ .

ريالات . وهكذا فشلت المفاوضات وعاد الشيخ إلى داره بينما استأنف الرحالة سفرهم إلى البصرة عن طريق البحر [١] .

وقد كتب ايفيز معلقاً على هذا الحادث فقال : —

« بعد فشل المفاوضات اجتمع الشيخ بالبارون واحتج على هذه المعاملة ، ومما قاله للبارون : « انك لم تنصفني يا سيدي » قل لي بالله عليك ؟ ما علاقتك بهؤلاء المسافرين؟انني وقبيلتي اصدقاء لك منذ وقت طويل ولم أكن اتوقع منك ان تؤثر هؤلاء الغرباء علينا [٢] .

ويبدو ان لوريمر في محاولته التأكيد على الرأي الذي يقول بأن الشيخ كان خاضعاً لنفوذ البارون انما كان متأثراً بالاسلوب البريء الذي استخدمه الدكتور ايفيز في عرض روايته [٣] والحقيقة فقد كان كل من الشيخ والبارون نداً احدهما للآخر . أما الشيء الوحيد الذي كان يجمع بينهما فهو المصلحة المشتركة في الاستفادة من الطريق التجاري الذي لا يمر بالبصرة . البارون بسبب الخصومة القائمة بينه وبين والي البصرة ، والشيخ بحكم الفوائد المالية التي يحصل عليها مقابل سماحه بمرور البضائع عن طريق أراضيه .

وقد يكون هذان الطريقان التجاريان البري والبحري، من الاسباب التي حملت الشيخ على انشاء صلات مباشرة مع البلدان المجاورة له ، واذا كان من المتعذر تحديد المنطقة التي يمتد اليها نفوذ شيخ الكويت خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر فمن المؤكد ان نفوذه كان يتجاوز حدود منطقته . ويبدو من خلال تصرف الشيخ مع الدكتور ايفيز وبحكم التعهد الذي أخذه على نفسه بتأمين سلامة الرحالة في طريقهم إلى حلب ان الشيخ كانت تربطه علاقات متينة بالعرب المقيمين عبر الطريق الصحراوي الممتد من الكويت إلى حلب .

---

(١) نفس المصدر ٢٢٢ — ٢٢٤ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٢٤ .

(٣) التقويم الجغرافي للخليج مجلد ١١ ص ١٠٠ .

لا توجد أدلة ثابتة عن حدود سلطة العتوب شمالي الكويت ومن الجائز أن تكون هذه السلطة امتدت الى قرية الجهرة التي مياه آبارها تعتبر أحسن مياه آبار في الكويت كلها . فالجزر القريبة من اليابسة ، كالقرين وأم النمل وفيلكه كانت كلها تخضع لسلطة الشيخ ، وبالتالي يمكن الحكم على ثروة الشيخ وبالتالي على ثروة البلاد من رفض الشيخ [١] المبالغ التي عرضها عليه البارون وقدرها ١٠٠٠ ريالاً ، هذا على الرغم من أن الشيخ كان في وضع لا يسمح بالمساومة .

ويمكن أن يعزى ازدهار الكويت التجاري الى حجم التجارة التي كان يأتي بها التجار الكويتيون وغيرهم عن طريق موانئها وإلى القوافل التجارية التي كانت تعبرها من جنوب وشرق الجزيرة العربية الى سوريا [٢] . كذلك كان صيد اللؤلؤ مصدراً من مصادر ثروة الكويت بالإضافة الى اسطول الصيد الذي كان يتألف مما لا يقل عن ٨٠٠ مركب كما يقول كرستون نيبور [٣].

ومن الطريف أن نلاحظ أن العتوب كانوا يبحرون بمراكبهم جنوبا بحثاً عن اللؤلؤ وكانت البحرين من أغنى مناطق صيد اللؤلؤ التابعة لبني خالد [٤] وكان يشترك في هذه الثروة الى جانب أسرة آل صباح الحاكمة ، عائلات اخرى من العتوب . من بينها ، كما تقول الروايات الشعبية وسجلات حكومة بومباي الجلاهمة وآل خليفة ، وآل زايد ، وآل غانم، وآل بدر ، وآل الرومي ، والقناعات ، وآل سيف وغيرها [٥] . ويبدو ان هذه العائلات توزعت في

---

(١) نيبور في كتابه (*Description de l'Arabie*) ص ٢٨٦ – ٢٩٦ .

(٢) تتألف القافلة التي كان مقررا ان يسافر فيها الدكتور ايفيز من ٥٠٠٠ جمل و١٠٠٠ رجل . انظر كتاب رحلته ص ٢٢٢ .

(٣) كتاب كارستون نيبور ص ٢٩٦ .

(٤) راجع الفصل السادس ١٧٦ – ١٧٧ .

(٥) «صفحات من تاريخ الكويت» ص ٦٧ ومن «تاريخ الكويت» ص ١١٥ وصور تاريخية من حياة قبائل العتوب الخ ص ٣٦٢ . لا يزال بعض هذه العائلات يقيم في الكويت والبحرين الى اليوم . ومنهم الجلاهمة الذين يسمون في الكويت بالنصف . انظر تاريخ الرشيد مجلد ١ ص ١٨ .

الكويت بطريقة اتخذت كل منطقة من البلاد اسم عائلة منها او اخرى . ولهذا انقسمت الكويت الى حي الشرق (سكان الشرق) والقبلة او الجبلة (سكان الغرب) والوسط وقد اختار آل صباح المنطقة الوسطى من البلاد للاقامة بها[1].

وتقول بعض الحكايات التي يتناقلها اهل البلاد ، ان بناء السور حول مدينة الكويت لم يبدأ الا مؤخرا لأن القبائل الاخرى كانت تحترم سلطة بني خالد . ولهذا لم يبدأ بناء السور الا عند اضمحلال سلطة بني خالد بسبب المشاحنات الداخلية بين افراد الاسرة الحاكمة[2] ابان حكم صباح . وليس في وسع السلطات المحلية ان تحدد تاريخا معينا لبناء سور الكويت وربما بدىء في بنائه في نحو ١٧٦٠ ، اي بعد مرور ثمان سنوات على تقلص نفوذ بني خالد بالمقارنة الى القبائل العربية الاخرى . أما سجلات شركة الهند الشرقية فتشير بوضوح الى ان تسوير المدينة قد تم في نحو ١٧٧٠ ،[3] وعلى الرغم من استخدام الطين (الآجر) في بناء السور ، الا ان الامطار قد اتلفت جانبا كبيرا منه ، ومع ذلك فقد بقي حتى بداية هذا القرن يؤدي دوره كخط دفاعي ضد غارات البدو على المدينة .

ولعل انعدام وسائل الدفاع عن مدينة الكويت قد حتم على الشيخ صباح ان يفرض حكما صارما على البلاد . ويقول الرواة بأن صباح قد رشح للحكم من قبل كافة الاسر القبلية[4] ، حتى لا يصبح الحكم استبداديا . وهذا إن دل على شيء فانما يدل على ان العتوب كانوا من الجماعات المدنية ، وليسوا من البدو الرحل لان هذه المرحلة من تاريخهم قد انتهت منذ ان غادروا قطر في

---

(١) حافظ العتوب وغيرهم من القادمين الجدد على هذا التوزيع حتى السنوات العشر الاخيرة عندما بدأ تخطيط جديد للكويت اسفر عن انتقال السكان من مدينة الكويت الى ضواحيها وقد هدم السور عام ١٩٥٦ .

(٢) صفحات من تاريخ الكويت ص ١٣ .

(٣) تقارير وزارة الهند مجلد ١٧ تقرير رقم ١١٥٢ .

(٤) صفحات تاريخ الكويت تأليف القناعي ص ١١ .

اوائل القرن السابع عشر . وفي الوقت الذي كان معظم الشيوخ العرب يمارسون نفوذا هائلا في شبه الجزيرة . وكان شيخ الكويت يرجع بين الحين والآخر الى افراد شعبه خصوصا فيما يتعلق بالشؤون التجارية للبلاد [١] . واذا احتكمنا الى ما حدث في ١٧٧٥ فان النتيجة التي نخرج بها هي ان تجار الكويت كانوا يلعبون دورا هاما في سياسة البلاد [٢] . ولما كانت البصرة تخضع يومئذ للفرس فقد اضطر عدد كبير من تجارها الى ترك البلاد والنزوح الى المستعمرات التي قد اقامها العتوب في كل من الكويت والزبارة .

وكان من عادة الزعماء العرب ان يلتزموا بمبدأ المساواة و تحقيق العدالة لجميع المواطنين . ويلتزم الشيخ الزعيم في اصدار احكامه وقراراته دائما بشريعة القرآن ، او السنة. ويذكر المؤرخان الكويتيان القناعي والرشيد اللذان تناولا هذا الموضوع ، ان الكويت لم تلجأ الى القوانين الشرعية خلال القرن الثامن عشر او حتى بعد هذه الفترة [٣] لأن الامر لم يكن يتطلب تدخل الحاكم . وكان يكتفي بالعهدة الى اي شخص يتمتع بالكفاءة اللازمة ان يتولى فض المنازعات [٤] . اما فيما يتعلق بحكم العتوب في الكويت ، ثم في الزبارة فيمكن القول بأن حكمهم في الحسا كان يقوم على العرف . وبعبارة اوضح كان هؤلاء الشيوخ منذ البداية يعهدون بشؤون الحكم الى رجال القضاء. كما كان هنالك عدد كبير من العلماء في الحسا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ؛ ويروي عثمان بن سند في كتابه « سبائك العسجد » سيرة عشرين عالما عاصر معظمهم في اخريات القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر [٥]

(١) صفحات من تاريخ الكويت تأليف القناعي ص ١١ .

(٢) لا يزال افراد اسرة الحاكم يشاركون في تجارة البلاد حتى اليوم بحيث اخذ دورها في ذلك يتضاعف بتضاعف عددها .

(٣) الرشيد مجلد ١ ص ٧٥ – ٧٦ والقناعي ص ٣٣ – ٣٥ .

(٤) نفس المصدر .

(٥) توفي عثمان بن سند عام ١٢٤٢ – ١٨٢٦ راجع مقال كاظم الاجيلي بعنوان « الشيخ عثمان بن سند البصري » في كتاب « لغات العرب » (طبعة بغداد في ذي القعدة ١٣٣١ المطابق اكتوبر ١٩١٣) ص ١٨٠ – ١٨٦ .

وكان لهؤلاء العلماء نفوذ على رجال الحكم وجماهير الشعب ، وكان بكل بلدة من بلدان الحسا نجد مدرستها الخاصة بها تقريبا . وكان هناك محمد ابن عبد الوهاب المصلح الوهابي الكبير نجل الشيخ عبد الوهاب بن سليمان ، قاضي العينية ، وقد خاض محمد عبد الوهاب صراعا مريرا ضد غيره من العلماء في محاولة لاقناعهم بتعاليمه ، وفي سنة ١٧٢٠ زار مختلف مناطق نجد والحجاز ، حيث كان يرتاد مجالس العلم في مكة والمدينة وغيرهما من مدن الحجاز [١] .

ومن الشخصيات الدينية التي تناول سيرتها عثمان بن سند في مؤلفه المشار اليه الشيخ محمد بن فيروز [٢] ونجله الشيخ عبد الوهاب بن محمد بن فيروز [٣] . ويتناقل الناس في الكويت حكايات عنهما فيقولون عن الاول انه شغل منصب اول قاضي في الكويت[٤] ويذكر كل من الرشيد والقناعي ان محمد ابن فيروز توفي عام ١١٣٥ — ١٧٢٢ ويضيفان بأن صباح كان اول حاكم للكويت وان فيروز تولى شؤون القضاء في عهده [٥] . واذا سلمنا بأن صباح لم يتول الحكم قبل ١٧٥٢ ، يكون الرشيد والقناعي على خطأ فيما ذكراه عند وفاة الشيخ محمد بن فيروز التي تمت على حد قولهما في العام المذكور .

ولد ابن فيروز على حد قول عثمان بن سند عام ١١٤٦ — ١٧٣٣ وتوفي ١٢١٦ — ١٨٠١ [٦] ويضيف ابن سند ان المذكور ولد في قرية الحجر « الحسا » ودفن في الزبير ، وهي مدينة تقع بين البصرة والكويت [٧] .

---

(١) ابن غنام ص ٣٠ — ٣١ في لمع الشهاب ...
(٢) سبائك العسجد ص ٩٣ — ٩٤ .
(٣) نفس المصدر ص ٩٦ .
(٤) صفحات من تاريخ الكويت ص ٣٥ — ٣٦ وتاريخ الكويت للرشيد مجلد ١ ص ٧٥ — ٧٦ .
(٥) نفس المصدر .
(٦) سبائك العسجد ص ٩٦ .
(٧) نفس المصدر .

وكان من عادة رجال الدين هؤلاء ان يتنقلوا من مكان الى آخر . وعلى اي حال فمن الجائز ان يكون رأي ابن سند اقرب الى الصواب من الرأي الآخر[1]. وعلى كل فقد نستدل من الحقائق المتعلقة بابن فيروز ومن منصبه كقاضي في البلاد ، كما ومن التواريخ التي سجلها ابن سند بخصوص مولده ووفاته ، انه كان بالفعل يتولى شئون القضاء في الكويت في عهد الشيخ صباح.

ولا تتفق المصادر المحلية على التاريخ الذي اختير فيه صباح حاكما للكويت ، كما تختلف بدورها على تاريخ وفاته ، وثمة مصدر واحد لا سبيل الى الاعتماد عليه يقرر التاريخ بـ ١١٩٠ – ١٧٧٦ [2] ، وقد خلف صباح خمسة ابناء هم سليمان ، ومعلج ، ومبارك ، ومحمد ، وعبدالله اصغرهم . وتتفق كل المصادر التاريخية المحلية على ان الابن الاخير هو الذي تولى المشيخة خلفا لوالده ، وذلك لما كان يتحلى به المذكور من صفات الشجاعة ، والعدالة والكياسة والاريحية ، وهي كلها صفات تحظى باعجاب الفرد العربي[3] .

ويشير لوريمر ، اعتمادا على سجلات شركة الهند الشرقية ، ان عبد الله انتخب حاكما للكويت سنة ١٧٦٢ [4] . بينما يقول عثمان بن سند ، رغم

---

(١) فيما يلي قائمة بأسماء القضاة كما وردت في مؤلف القناعي .

١ – محمد بن فيروز .

٢ – محمد بن عبد الرحمن العدساني ١١٧٠ / ١٧٥٦ / ١٧٦٥ .

٣ – محمد بن محمد العدساني ١١٧٩ / ١٧٦٥ – ١٢٠٨ / ١٧٩٣ .

٤ – محمد صالح العدساني ١٢٠٨ / ١٧٩٣ / ١٢٢٥ / ١٨١٠ .

وكان جميع هؤلاء القضاة في مدينة الكويت خلال القرن الثامن عشر وجدير بالذكر ان ثلاثة منهم من عائلة العدساني التي نزحت من الحسا (انظر القناعي ص ٣٦ والرشيد ص ٧٦) وقد سجلت هذه التواريخ وفقاً لما ذكره القناعي .

(٢) تاريخ الكويت تأليف الرشيد مجلد ٢ ص ٢ الذي ورد فيه تحديد هذا التاريخ وقد دام حكم عبدالله خمسين عاماً ، وكانت وفاته سنة ١٨١٣ .

(٣) التقويم الجغرافي للخليج مجلد ٤ جدول ٩ .

(٤) سبائك العسجد ص ١٨ .

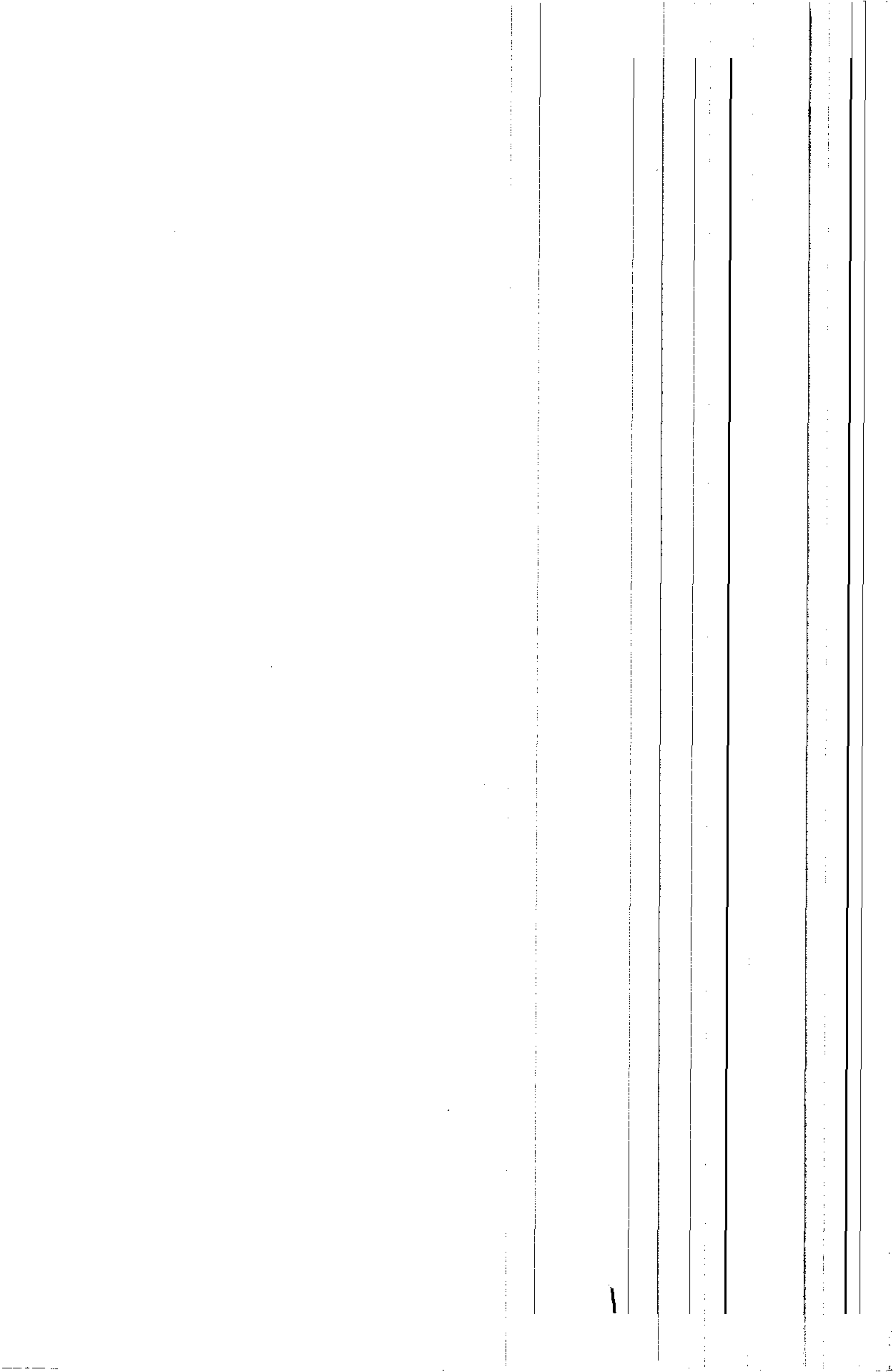
انه لا يحدد لذلك تاريخا قاطعا ، ان عبدالله كان في السلطة قبل سنة ١١٨٨ — ١٧٧٤ [١] . اما الرشيد[٢] والقناعي[٣] فيحددان تاريخ وفاة عبد الله في ١٢٢٩ — ١٨١٣ غير أن القناعي يضيف بأن حكم عبدالله دام سبعين عاما ، مما يعني انه تولى المشيخة عام ١١٥٩ — ١٧٤٦ ، ولما كان هذا التاريخ لا يتفق مع تاريخ تولي صباح الحكم في ١٧٥٢ ، فمن المرجح ان تكون ١٧٦٢ هي السنة التي تولى فيها صباح السلطة . وهذا التحديد يفسر السبب الرئيسي لنزوح آل خليفة من الكويت الى الزبارة في قطر بعد مضي ٤ اعوام على تولي صباح الحكم . اما الروايات فترجع الاسباب التي دفعت آل خليفة الى النزوح عن الكويت الى عبدالله الذي خلف أباه على الحكم وليس الى أحد من ابناء عمومته الذين كانوا من آل خليفة، الذين كانوا من شيوخ العتوب وكانوا يحكمون الكويت قبل مجيء صباح بن جابر [٤] . وقد هاجر آل خليفة عام ١١٨٠/ ١٧٦٦ ، مما يعني ان عبدالله قد تولى الحكم قبل ذلك التاريخ .

وهكذا ما ان حل النصف الاول من القرن الثامن عشر حتى كان العتوب قد وطدوا اقدامهم في الكويت . وفي عام ١٧٥٠ انتخبوا الشيخ صباح حاكما عليهم. وباسم هذا الحاكم تسمت العائلة الحاكمة في الكويت . وقد خلف صباح على الحكم نجله عبدالله ١٧٦٠ وحدث في اوائل عهده ان قررت قبيلة آل خليفة التي كانت جزءا من اتحاد قبائل العتوب الهجرة الى قطر والاستقرار في الزبارة ، وهي الدولة الثانية التي انشأها العتوب في شرقي الجزيرة العربية .

* * *

---

(١) صفحات تاريخ الكويت ص ١٠ .
(٢) تاريخ الكويت مجلد ٢ ص ٩ .
(٣) وفقاً لما رواه الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة للمؤلف .
(٤) انظر سبائك العسجد ص ١٨ ، و « صور تاريخية من حياة قبائل العتوب العربية »



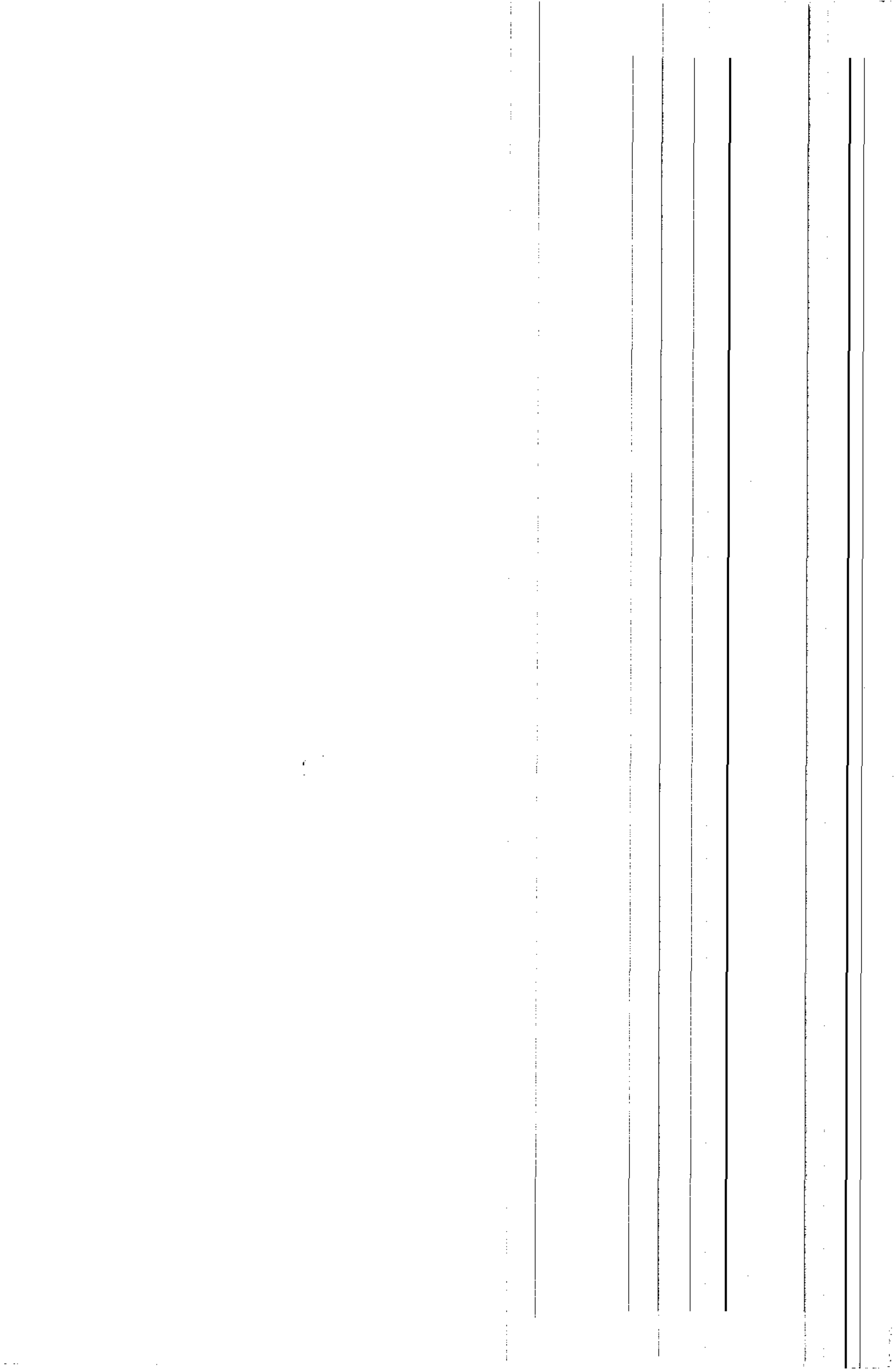
الفصل الثالث

تطور الكويت

نشأة مدينة الزبارة

بداية ظهور العتوب كقوة بحرية
(١٧٧٥ – ١٧٦٢)





نتناول في هذا الفصل نمو المستعمرات والمدن التي انشأها العتوب في كل من الكويت والزبارة حتى ١٧٧٥ . على ان التطورات التي مرت بها الكويت أدت الى نزوح آل خليفة الى الجنوب ، وفي اعقابهم خرجت مجموعات اخرى من عائلة العتوب كالجلاهمة ، كما سوف نتعرض مؤخرا الى حركة العتوب وعلاقاتهم بمختلف القوى صاحبة النفوذ في المنطقة .

حققت مستعمرات العتوب في الكويت ازدهارا سريعا بعد ١٧٥٠ . وبحلول عام ١٧٦٠ ، اجتذبت الكويت انظار الدول العربية الاخرى المناوئة في الخليج ولم يعرقل موقف القوى الاخرى ، كالفرس ، والعثمانيين وشركة الهند الشرقية ونمو الكويت وتطورها ، فالفرس لم يكونوا يفتقرون الى القوة البحرية فحسب ، انما الى الاستقرار الداخلي مما جعلهم عاجزين حتى عن السيطرة على حدودهم الساحلية ، كذلك كان وضع باشوات بغداد ، وولاة البصرة من حيث التفكك . وهكذا لم يكن في وسع أي قوة اخرى ان تتحدى سلطان بني خالد على السواحل الشرقية للخليج .

وحتى ذلك الحين ، لم تكن شركة الهند الشرقية قد تعرضت لأي قرصنة امن جانب العتوب لأنهم لم يكونوا قد بدأوا في مزاولتها حتى ذلك الوقت [١]. كان الوهابيون يمثلون القوة الوحيدة التي كان يمكن ان يكون لها تأثير مباشر على العتوب . غير أن قوتها لم تكن قد تبلورت تماما حتى ذلك الوقت . وحتى عام ١٧٦٦ لم يكن للعتوب اتصالات مباشرة بالدول البحرية في الخليج ، عندما ستقر بعض هذه القبائل في قطر على الناحية الجنوبية من الزبارة [٢] . أمـــا

---

(١) راجع « نبذة تاريخية عن القواسم » من ارشيف حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ٣٠٧ .

(٢) سبائك العسجد ص ١٨ لابن سند . وصور تاريخية ص ٣٦٢ .

اقوى المجموعات العربية الواقعة على الساحل الفارسي في ذلك الوقت فهي بنو كعب ، الذين كان مركز نفوذهم في الدورق [١] وعرب بندرق ، وعرب المحمرة [٢] .

اما عرب الشمال والشرق في الخليج فانهم لم يظهروا اي اهتمام بالكويت قبل ١٧٦٠ ، وقد أثرت عمليات القرصنة التي اخذ يمارسها بنو كعب بصورة متزايدة على حركة التجارة البحرية للعتوب [٣] . كما تعرضت تجارة شركة الهند الشرقية وهي في طريقها الى مستودعاتها في البصرة لتهديدهم ايضا ، كذلك حاول كريم خان زند في ١٧٥٩ اخضاع الشيخ سليمان ولكن دون جدوى كما منيت الحملة الانجليزية العثمانية للاستيلاء على العاصمة الدورق في عام ١٦٧٥ بالفشل التام [٤] .

وعلى الناحية الغربية من الخليج كان الوهابيون مشغولين بتوطيد سطانهم في اواسط شبه الجزيرة العربية وبدأوا يتوسعون شرقا على حساب بني خالد . ولقد ظهر من الاحداث التي وقعت في ١٧٥٠ و ١٧٦٠ ، ان الوهابيين لم يكونوا أنداداً لبني خالد . وقد اشار الى هذه الحقيقة يشير المؤرخان الوهابيان ابن غنام ، وابن بشر صراحة في استعراضهما للاحداث ١١٧١ ـ ١٧٥٧

---

(١) بنو كعب قبيلة أصلا من نجد في القرن السابع عشر واستقرت في المنطقة الواقعة الى الشرق من البصرة بين الحدود العثمانية ـ الفارسية .

(٢) القبيلتان الاخيرتان جاءتا في الاصل من عمان . وكان حاكم بندر رق المير مهنا من قبيلة بني صعب . اما حاكم المحمرة فكان الشيخ ناصر من قبيلة المطاريش ، وهي عمانية. والى جانب ذلك كانت هناك قبائل عربية اخرى في المنطقة خاضعة للشيخين المذكورين . نفس المصدر ص ٢٧٣ ـ ٢٨٠ .

(٣) تقول الروايات بأن العداء بين بني كعب وآل صباح بدأ عندما رفض الشيخ عبدالله الصباح ان يزوج كريمته (البعض يقول شقيقته) للشيخ سليمان رئيس قبيلة بني كعب. راجع تاريخ الكويت ص ٣ مجلد ٢ .

(٤) الخليج العربي ص ١٨٤ .

و ١١٧٢ – ١٧٥٨ [١] . وعلى أي حال فقد اغار عبد العزيز الامير الوهابي على الحسا في عام ١١٧٦ – ١٧٦٢ [٢] وبعد مضي عامين اي في سنة ١١٧٨ – ١٧٦٤ ، قام غرير بن دجين بن سعدون شيخ بني خالد بمحاولتين لاحتلال الدرعية ، عاصمة الوهابيين [٣] . ويذكر مؤلف « لمع الشهاب » ان الوهابيين انتهجوا سياسة سلمية ، ولذلك ظلت معاملة غرير لهم طوال سبع سنوات [٤] معاملة حسنة . وعلى اي حال ففي سنة ١٧٦٤ ، نقض غرير هذا الاتفاق بمهاجمة للوهابيين ، الذين كانوا مشتبكين في قتال ضد خصمين عنيدين هما دهام بن دواتن ، حاكم الرياض وقبائل عجمان اليمنية [٥] .

ولقد دفعت القلاقل في الجزيرة العربية ، وفارس والعراق العثمانيين بمجموعات كبيرة من العتوب الى الجلاء عن الكويت وانشاء مستقر جديد لهم في قرية الزبارة بقطر . ويرى مؤرخون كويتيون ان السبب الرئيسي لهجرة آل خليفة يعود الى نزاعهم مع بني كعب ذلك النزاع الذي أدى في النهاية الى هزيمة آل صباح وغيرهم من المستوطنين في الكويت . وثمة رأيان ، فإما أن يكون آل خليفة قد رفضوا التفاهم مع بني كعب ، او انهم لم يكونوا على وفاق مع سياسة آل صباح ، فهاجروا من الكويت الى الزبارة [٦] . وقد يبدو هذا رأيا مقنعا الا انه ليس التفسير الوحيد لهجرة آل خليفة المذكورة .

ويشير المستر فرنسيس واردن في كتابه « صور تاريخية » [٧] ، الى ان الكويت

---

(١) ابن غنام مجلد ٢ ص ٦٤ وابن بشر مجلد ١ ص ٤٢ .

(٢) ابن غنام مجلد ٢ ص ٧٢ وابن بشر مجلد ١٢ ص ٦٤ .

(٣) ابن غنام مجلد ٢ ص ٧٧ .

(٤) نفس المرجع ، و « شمال نجد » تأليف لويس موسل (طبعة نيويورك ١٩٢٨) ص ٢٥٩ .

(٥) يوسف بن عيسى القناعي ص ١١ والرشيد في « تاريخ الكويت » مجلد ١ ص ٥ .

(٦) يطلق على الجلاهمة حالياً نصف ، ويمثلهم في كل من البحرين والكويت مجموعة من اثرياء التجار .

(٧) نبذة تاريخية عن العتوب مقتطفات من حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ٣٦٢ – ٣٦٣ .

بلغت مستوى عاليا من التطور والازدهار ابان الخمسين عاما الاولى من وجوده (١٧١٦ — ١٧٦٦) ويضيف : «بأن تراكم الثروة قد شجع الفرع التجاري من آل خليفة على قطع صلته بالمجموعة الاصلية للانفراد بنفسه في جمع الثروة وتطويرها» ويقول ايضاً : — «بأن الوضع القائم قد اضطر آل خليفة، بزعامة شيخهم خليفة محمد، الى الانفصال عن جماعتهم لتحقيق الاهداف التي كانوا يسعون الى تحقيقها» ولقد ابلغ خليفة شيوخ آل صباح والجلاهمة الى ان يهاجروا الى شواطيء الخليج حيث تنتشر مصائد اللؤلؤ وحيث ينتظرهم الثراء هناك، وبأن يكرسوا جهودهم لهذه المهنة» وقد وافق آل صباح على هذه الدعوة. وهكذا غادر خليفة يصحبه رهط كبير من افراد عائلته متجهين نحو الجنوب .

وقد نضيف الى جملة الاسباب التي أدت الى هجرة آل خليفة ما يتناقله آل خليفة انفسهم عن هذه الهجرة حيث يقولون [١] : انه سبق لجد خليفة انه حكم الكويت او المنطقة التي كان يقيم فيها العتوب وذلك قبل استيطانهم الكويت . وقد قام فيصل بتزويج احدى كريماته من جابر، والده الشيخ صباح بعد انتخاب صباح حاكما على البلاد ، ولم يعترض احد من عمومته على الزواج المذكور املا في ان الحاكم الذي سيخلفه لا بد وان يكون من اسرة فيصل . وعلى كل حال فان اختيار عبدالله اصغر ابناء صباح للحكم آثار ثائرة خليفة الذي كان ينوي ان يحل محل صباح في الحكم ، وإزاء ذلك اضطر عبدالله الى مغادرة الكويت [٢] .

ومن المؤكد ان خليفة واتباعه قد سافروا بطريق البحر فقد كان العتوب يملكون قوة بحرية وكانوا ملمين بشئون الملاحة في الخليج . كما كانوا يشاركون

---

(١) يورد القناعي خطأ اسم محمد بن خليفة بدلا من خليفة في كتاب «صفحات» ص ١١ بنيما يورد ابن سند ، بحكم تضلعه اكثر في تاريخ المنطقة ولمعاصرته الاحداث المشار اليها آنفاً اسم خليفة باعتباره احد اكابر بني عتبة (سبائك العسجد ص ١٩) .

(٢) لعل في ذلك توضيح لاشارة ابن سند الى خليفة كاحد وجهاء بني عتبة «انظر اعلاه» ولقد علم المؤلف بهذه الرواية من الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة .

في عمليـــات صيد اللؤلؤ وذلك بارسال بعض مراكب الصيد الى شواطـــيء الخليج القريبة من البحرين وقطر [١] . وكان في وسع اي فرد من هؤلاء ان يزاول هذه المهنة اذا قام بدفع الرسوم المقررة لأي من حاكمي البحرين او قطر وقد تكونت للعتوب خبرة في الملاحة التجارية وذلك بحكم مزاولتهم لهذه المهنة في مختلف شواطيء الخليج . وفي أثناء رحلة العتوب الى الزبارة توقفوا في البحرين التي كانوا ينوون الاقامة بها ، وكانوا قد زاروها من قبل إلا أن حكام البحرين من قبيلة بني مذكور العربية لم تسمح للعتوب بالبقاء وكان يحكم البحرين يومئذ شيخ المحمرة الذي كان يدين بالولاء لملك الفرس ويدفع الجزية بانتظام عن اهل البحرين وابو شهر [٢] .

ان قرار العتوب باتخاذ الزبارة موطنا لهم لم يتخذ اعتباطا . فقد كانـــوا يعرفون هذه المنطقة بما فيها قطر التي سبق لهم ان زاروها قبل استقرارهم في الكويت . وذلك بحكم ما كان لهم من خبرة ونشاط تجاري فيما بين البحرين وقطر والحسا عبر الطريقين البحري والبري . تلكم هي الاسباب التي جعلت المهاجرين يختارون الزبارة مقرا لهم .

قبل ان نشرع في بحث هجرة العتوب الى هذه المنطقة ، يجدر بنا ان ندخل في اعتبارنا القوى الداخلية التي كان يمكن ان يكون لها تأثير على مجرى الاحداث ورغم ضآلة المعلومات المتوفرة عن الزبارة فثمة معلومات وفيرة عن المناطق المجاورة لها . لقد كان شبه جزيرة قطر يومها خاضعا ليسطرة قبيلة آل مسلم ، احدى القبائل العربية ذات النفوذ وكانت هذه القبيلة موجودة عندما غادر العتوب قطر الى الكويت في بداية القرن الثامن عشر . كانت هذه القبيلـــة

---

(١) يبدأ موسم صيد اللؤلؤ في شهور الصيف الحارة.راجع كتاب كارستون نيبور « وصف للجزيرة العربية » ص ٢٨٦ وبحث بعنوان (« تقرير عن تجارة الجزيرة العربية » بقلم سلدهانا : مقتطفات من ارشيف الحكومة ص ٤٠٧ – ٤٠٨ .

(٢) وصف للجزيرة العربية « كارستون نيبور ص ٢٨٤ – ٢٨٦ » .

(٣) وصف لاحوال الجزيرة العربية – كارستون نيبور ص ٢٨٤ – ٢٨٦ .

موجودة فيها وكان آل مسلم يدفعون الزكاة لبني خالد الذين كانوا يسيطرون على الحسا والساحل الشرقي من شبه الجزيرة العربية ابتداء من قطر حتى حدود البصرة . وكانت العلاقة بين العتوب وبني خالد حتى ذلك الوقت على خير ما يرام ، ولم يتعرض العتوب لدى نزولهم لأي مقاومة على الساحل الغربي من قطر ، في اراضي بني خالد . اما في الشمال من الزبارة فكانت تقع جـــزر البحرين ، التي كانت تسمى أوال عند العرب [١] ، وكان اهلهـــا يخضعون خضوعا مباشرا لعرب المحمرة . وكانوا خليطا من القبائل العربية التي تنحدر اساسا من قبيلة الهولة [٢] . وكانت البحرين محط الانظار لما فيها من مغاصات اللؤلؤ ومزارع النخيل الواسعة التي كانت تدر دخلا سنويا يقدر بمائة الف روبية [٣] ، ينفق معظمه على افراد حاميتها [٤] .

وإذ منع المهاجرون العتوب من النزول في اوال ، ابحروا شرقا الى الزبارة ومن العسير ان نقدم شرحا وافيا عن اوضاع الزبارة في ذلك الوقت لعدم ورود اي اشارة عنها قبل سنة ١٧٦٦ كما ان ازدهارها لم يدم اكثر من اربعين سنة وفي ١٨١٠ — ١٨١١ تعرضت لهجوم وتدمير من جانب سلطان مسقط يومئذ. وقد نستطيع تكوين صورة عن الزبارة من الابحاث والتقارير ، التي تركها موظفو شركة الهند الشرقية الانجليزية [٥] ومن المصادر المحلية ايضا .

تقع الزبارة وهي الآن في صورة انقاض وارض مهجورة على الجانب الغربي

---

(١) كارستوجن نيبور « وصف لاحوال الجزيرة العربية » ص ٢٨٤ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الجدول التاريخي المسلسل — من مقتطفات حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ١٤١ .

(٥) اثنان من هذه التقارير اعد أحدهما في ١٨١٨ الكابتن روبرت تايلور (*Captain Robert Taylor*) مساعد المعتمد السياسي في الجزء التابع لتركيا من الجزيرة العربية واعد الثاني الكابتن جورج باريتس بركس (*Captain G. B. Porucks*) من الاسطول الهندي وذلك في ١٨٢٢ — ١٨٢٩ وكان هذا الأخير ضمن طاقم من خمسة ضباط بحريين كانوا في الاسطول الهندي كانوا يقومون بمسح للمناطق الملاحية في الخليج ما بين ١٨٢١ حتى ١٨٢٦ .

العربي من رأس قطر ، على بعد نحو خمسة اميال جنوب خور حسن [١] . وهي تقوم على حافة خور عميق يسمى باسمها كما يسمى طرفه الشرقي برأس عشيرج ويضم جزيرة صغيرة تسمى ايضا الزبارة [٢] . ومن الاوصاف العديدة للزبارة قد نستطيع تكوين صورة عن البلدة خلال سنة ١٧٦٠ ومـا بعدها . وقد ذكر الكابتن روبرت تايلور (*Captain Robert Taylor*) في ١٨١٨ انه كان في الزبارة ٤٠٠ بيت وان سكانها يمتون بصلةلاهالي خعورى حسن ، والجلاهمة [٣] . اما الكابتن ج ا بروكس (*Gorges Barmes Brucks*) فقد كتب في عام ١٨٢٤ [٤] يقول : — تقع الزبارة على خط عرض ٢٦ درجة شمالا و ٨,٥١ درجة شرقا . وهي بلدة كبيرة متهدمة الآن . وتطل على احد الخيران ، وكانت قبل انهيارها مركزا تجاريا هاما . ويضيف الكابتن بركس بان عدد سكان الزبارة كان قليلا في الاصل وكانوا يشكلون القبيلة الرئيسية للعتوب ، الى ان تفرقوا . على ان لوريمر يقدم معلومات اوفى عـن التحصينات التي اقيمت في الزبارة حيث كتب يقول : — كانت البلدة معقل

---

(١) هذه البلدة كانت مصيفاً للجلاهمة وهم بطن من العتوب تحول إلى القرصنة بعد انشاء مدينة الزبارة في ١٧٦٦ ، والاستيلاء على البحرين في ١٧٨٢ "راجع نبذة تاريخية من مرافعات رحمه بن جبير حاكم خور حسن " (١٨٠٩ — ١٨١٨) اعداد فرانسيس واردن عضو مجلس حكومة بومباي ويشمل تقريره هذا الفترة التي فيها الشيخ المذكور ١٨٢٦." نبذة من مرافعات الشيخ بشير ابن رحمه نجل خليفةالشيخ المذكور حتى ١٨٣١ "اعداد اللفتنانتاسر هانيل(*Lieutenant S. Hennel*) المقيم السياسي المساعد في الخليج من مقتطفات حكومة بومباي المجلد.٢٤ ص ٥٢١ — ٥٢٩ .

(٢) من الطريف أن نلا حظ أن القرين ، اول مستعمرة للعتوب كان بها جزيرة تسمى القرين أيضاً كما أن رأس عشيرح يوجد في كل من الكويت والزبارة وقد جاءت أوصاف الزبارة فيما كتبه لوريمر في بداية القرن الحالي بعد زيارة قام بها لعدد من المواقع في الخليج قبل اصدار تقويمه الجغرافي الهام عن الخليج .

(٣) مقتطفات من ملاحظات تتعلق بالمعلومات التاريخية وغيرها من عمان ومسقط والبلاد المتاخمة لها ، فجزر البحرين وهرمز ، والكشم والكراك وغيرها من الموانىء والمناطق على الخليج وقد قام باعدادها روبرت تايلور في ١٨١٨ .

(٤) انظر الخريطة المواجهة لصفحة ٥٣١ .

آل خليفة ، حكام البحرين وكانت مسورة وبها نحو عشرة او عشرين حصنا تحيط بها على شكل دائرة تبلغ مساحتها سبعة اميال ، ومن هذه الحصون ، حصن فريحة ، ولحوان ، والعشه ، وعين محمد وقلعه مرير ، والرقيات وام السراويل ، والثقاب . وجميع الحصون الآن (١٩٠٤) متهدمة وخاوية من الناس ، فيما عدا حصن الثقاب الذي مازال سكان خور حسن يرتادونه لاستمداد الماء من آباره . ويقال بأن حصن مرير كان متصلا بالبحرين عن طريق احد الشعب ، الامر الذي كان يسمح للمراكب بإفراغ حمولاتها فيه ، غير ان المدخل قد ردمته الرمال الان (١) .

غير ان الزبارة ، شأنها شأن الكويت ، كان ينقصها الماء ، هذا على الرغم من ان شبه جزيرة قطر تضم كمية وفيرة من الماء. واقرب مورد للماء بالنسبة للزبارة يقع على بعد فرسخ ونصف فرسخ من ارض المدينة(٢) . ويبدو ان سكان الكويت قد تعودوا على قلة الماء ما دام المكان الذي يعيشون فيه يوفر لهم ميناء صالحا لمزوالة نشاطهم التجاري الذي كانوا قد بدأوه في الكويت (٣) .

بمجرد وصول العتوب الى الزبارة اخذوا يمكنون لانفسهم في موطنهم الجديد ويعدون العدة لمواجهة الدولتين البحريتين في المنطقة ، فقد كانت دولة بني خالد الدولة صاحبة النفوذ التي اقام العتوب تحت رعايتهااول مستعمرة لهم في الكويت وليس ثمة دليل على ان العتوب في الزبارة قد تعرضوا لاي عمل من اعمال الاضطهاد او المضايقة من بني خالد سيما وانه لم يكن ثمة اسباب تدعو الى نشوب نزاع بين الجانبين . ومن ناحية اخرى لم تكن علاقة العتوب

(١) التقويم الجغرافي للخليج مجلد ١١ ص ١٥٣٣ — ١٥٣٤ .

(٢) " لمع الشهاب " ص ٩٥ .

(٣) ان قلة الماء في البلدة قد مكن الوهابيين في نهاية القرن من الاستيلاء عليها عن طريق قطع المياه عنها " انظر الفصل ٥ ص ١٣٤ .

بالقوة الثانية آل مسلم علاقة وئام.ولا يتحدث المؤرخون المعاصرون ولم يذكروا شيئا عن طبيعة تلك العلاقة ، وان كانوا يتمنون على انها لم تكن علاقات ودية الامر الذي يؤيده بناء العتوب للحصون والاسوار لحماية انفسهم (١) . وقد سبق ان اشرنا الى ان الشيوخ المحليون في المناطق التي تخضع لبني خالد قد بدأوا يمارسون نوعا من الاستقلال الذاتي في اعقاب وفاة سليمان بن محمد ، زعيم بني خالد في ١٧٥٢ (٢) وكما يبدو ان آل مسلم كانوا ، يتمتعون ايضا بنوع من الاستقلال على غرار استقلال العتوب سكان المنطقة الشمالية من الكويت .
وقد ادرك عتوب الزبارة انه لا بد لهم من الاعتماد على مصادرهم الخاصة في الدفاع عن مدينتهم (٣) . وبأن لا يعتمدوا كثيرا على زعيم بني خـــــالد ، خصوصا وقد كان هناك خلاف بينه وبين افراد اسرته ، الى جانب الصراع الذي كان يخوضه ضد القوة النامية للوهابيين . ويرى مؤرخو آل خليفة المحليون من اهل البلاد ان آل مسلم قد طالبوا العتوب سكـــان الزبارة بالزكاة . الا ان العتوب رفضوا ذلك واعلنوا استعدادهم للدفاع عن مدينتهم اذا ما هاجمها آل مسلم وذلك عن طريق بناء الاسوار والحصون عام ١١٨٢ — ١٧٦٨ ، اي بعد مضي عامين على وصولهم (٤) على ان هذه القبائل لم تحاول التعرض للعتوب عند قدومهم في اول الامر بسبب خصوماتهم

---

(١) " لمع الشهاب " ص ٩٥ .

(٢) راجع ص ٥٣ اعلاه .

(٣) " لمع الشهاب " ٨٠ — ٨٤ .

(٤) " تاريخ البحرين " تأليف : النبهاني ص ١٢١ . ينتمي آل مسلم ، مثلهم مثل بني خالد إلى ربيعه وعندما كان بنو خالد يقيمون في الحسا كان آل مسلم يقيمون في فريحه وفريط بقطر ، وكان في استطاعتهم تعبئة الفي رجل. ، راجع." لمع الشهاب " ص ٢٣٥ وكان هناك إلى جانب ذلك قبيلتان اخريان اقل مقاماً من آل مسلم ، تنتميان إلى آل ربيعة أيضاً احداهما آل ابي حسين التي كانت تقيم في اليوسفيه وكان لديها ١٥٠٠ مقاتل والثانية العادية " وتتألف من ثلاثة آلاف مقاتل وكانت تقيم في الرويضه والمطيخ . كما كانت هناك قبائل أخرى في وسعها تعبئة ٥٠٠٠ مقاتل نفس المصدر " .

مع بني خالد . غير انها عادت فانقلبت عليهم وهددت باحتلال الزبارة عندما حاصر الوهابيون المدينة في ١٧٩٠ (١) .

استغرق تطور ميناء الكويت على يد العتوب زهاء خمسين عاما وبذلك تحول من مركز صغير للصيد الى مدينة هامة (٢) . وسرعان ما اصبح ميناء الزبارة منافسا لغيره من الموانيء الواقعة على الخليج ، واصبح هدفا لاعتداءات اخذ يشنها عليه عرب الخليج (٣) .

وترجع السرعة التي تطورت بها مدينة الزبارة الى اشتراك العتوب في عمليات صيد اللؤلؤ على الشواطيء الغنية التابعة لبني خالد وقد ظلت تجارة اللؤلؤ ، وخاصة في البحرين مزدهرة لعدة قرون . كما اخد نصيب الزبارة من تلك التجارة ينمو تدريجياً (٤) .

من الشخصيات التي سبق ان استوطنت الزبارة سابقا رزق الاسعد وكان من تجار الكويت البارزين ويقال انه رافق خليفة مؤسس اسرة آل خليفة ، في رحلته من الكويت الى الزبارة في ١٧٦٦ (٥) .ويروي ابن سند ان الاسعد جمع ثروة طائلة خلال فترة وجيزة وذلك من تجارة اللؤلؤ التي بدأها برأس مال لا يزيد على ثلاثمائة دينار كان قد اقترضها من الوالي (٦) . ولكن هذه الدنانير الثلاثمائة سرعان ما تحولت الى ثروة طائلة . ويعتقد عثمان

---

(١) نفس المصدر ٩٤ – ٩٥ ، ١٠١ – ١٠٣ ، وابن بشر مجلد ١ ص ١٠٦ وابن غنام مجلد ٢ ص ١٩٨ .

(٢) نبذه من تاريخ العتوب . . الخ ص ٣٦٢ – ٣٦٣ .

(٣) جى . جى . لوريمر مجلد ١ ص ٧٨٧ .

(٤) سبائك العسجد لابن سند ص ١٨ – ١٩ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) على الرغم من أن ابي سند لا يوضح من هو ذلك الوالي إلا اننا قد نفترض بأنه غرير بن دجيان الذي كان يقيم في الحسا في ذلك الوقت لأن المؤلف يقول بأن رزق غادر الكويت إلى الحسا سبائك العسجد ص ١٨ .

بن سند أن رزق الأسعد هو الشخص الذي عهد اليه باختيار موقع المدينة . ثم اشترك معه خليفة في انشائها (١) .

كما اخذ يشجع بقية التجار على المساهمة في تنمية تجارة البلاد وتنميتها وقد قرر الصديقان خليفة واسعد بعدم فرض أي رسوم على التجارة (٢) . ويعزز هذا ما جاء في « تقرير عن الاحوال التجارية في الجزيرة العربية » من ان حكومة الزبارة لم تكن تستوفي رسوما على اي نوع من البضائع التي ترد اليها (٣) . وليس هناك أدنى شك في ان هذا الميناء الحر الجديد قد أثر على الميناءين الآخرين ، التابعين لبني خالد ونعني بها ميناء العقير وميناء القطيف ، مع ان نسبة الضرائب في هذين المنائيين لم تكن عالية اذا قورنت بالضرائب في موانيء الخليج الاخرى . لأن : —

« حكومة القطيف تحسن معاملة التجار وتوفر لهم الحماية التامة سواء بالنسبة لاشخاصهم او ممتلكاتهم ، ولم تكن تتقاضى ضرائب منهم كما ان الضرائب لم تكن قاصرة على الواردات فقط ويستوفي زرما بوب (٤) واحد عن كل بالة من البن او ربعا من الفلفل (٥) ونحو ١ بالمئة على كافة البضائع الاخرى فيما عدا المواد الغذائية (٦) .

---

(١) سبائك العسجد ابن سند ص ٢٠ .

(٢) انظر تقرير عن الاحوال التجارية في الجزيرة العربية ص.٤٠٩ من مقتطفات الحكومة بومباي اعداد سلدهانا .

(٣) نفس المصدر ص ١٩ .

(٤) هذه عملة عثمانية . وعلى حد ما يقوله ايفيز الذي كان في البصرة في.١٧٥٨ ان الزرمابوب الواحد من عملة البصرة يعادل ١٩ مرمودا و ٧٥ فلوسا راجع ايفيز ص ٢٣٦ ..

(٥) الروبن مكيال للقمح كان يستخدم في ملبار بالهند ولعله اصطلاح غير فصيح للكلمة العربية الربعة أو أربعة أو الربع راجع كتاب " قاموس المصطلحات القضائية والمالية لحكومة الهند البريطانية

(٦) يوميات رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف على الخليج إلى بامبو على البحر الاحمر خلال ١٨١٩ ص ٣٠ طبعة بومباي ١٨٦٦ .

كانت العقير الميناء الذي ترسل عن طريقه المواد التموينية وغيرها من السلع الواردة للاحساء لقبائل بني خالد سكان المنطقة الداخلية (١) من الحسا . اما مدن نجد الداخلية كالدرعية ، والرياض والمنفوحة فكانت تتلقى تموينها عن طريق القطيف (٢) . على ان سياسة التجارة الحرة التي كانت سارية المفعول في الزبارة لم تكن مطبقة في الكويت ، حيث كانت حكومة هذه البلاد تجمع الضرائب على الواردات التجارية على نحو ما كان معمولا به في القطيف . الا ان هذه الرسوم كانت رسوما زهيدة بالمقارنة الى الرسوم التي كانت تتقاضاها حكومة مسقط على السلع المستوردة بانواعها بما فيها المواد التموينية التي لم تكن هي الاخرى معفية من الرسوم . وكانت نسبة هذه الرسوم تصل الى ٥,٦ بالمئة

اما حكومة البصرة فقد كانت تفرض ضرائب باهظة على جميع البضائع الواردة الى بغداد عن طريق البحر ، والبضائع المصدرة بحرا عن طريق حلب ولم يكن يستثنى من ذلك غير المواد التموينية والمنتجات الاوروبية . كما كان يدفع رسم قدره ٨,٥٠ بالمئة عن الكماليات التي ترد من بغداد وعن طريق البحر . اما الصادرات الى حلب فكان يستوفى عليها ضرائب مماثلة بينما تدفع على الصادرات من جميع الانواع رسوم قدرها ٥,٥٠ بالمئة (٣) .

وكنتيجة لهذه السياسة التجارية التي كان معمولا بها في موانيء الخليج ، فقد كان التجار يفضلون الموانيء التي يسيطر عليها العتوب في نقل بضائعهم من الهند والجزيرة العربية الى سوريا وغيرها من ممتلكات العثمانيين . وقد ترتب على هذا الوضع نمو سريع في المستعمرات التي اقامها العتوب ، مما دفع باعداد متزايدة من سكان الكويت الى النزوح الى الزبارة والمساهمة في تنمية الثروة هناك وكان من بين النازحين الجلاهمة وهم احدى الاسر العتبية الكبرى ،

(١) نفس المصدر .
(٢) " تقرير عن الاحوال التجارية في الجزيرة العربية " ص ٤٠٧ .
(٣) نفس المصدر .

وكانوا من أشهر رواد البحر بين العتوب (١) ولا يوجد شيء مدون عن عدد الجلاهمة وغيرهم ممن نزحوا الى الزبارة ، والواقع انهم كانوا من الكثرة ، بحيث ان اول المهاجرين الى البلاد اضطروا الى طردهم خوفا من ان ينافسوهم على ثروة البلاد(٢) . على انالجلاهمةلمينتقلوا الىقطر الا بعد ان ثبت ابناء عمومتهم من آل خليفة اقدامهم في الزبارة وقد شجع هذا عتوب الكويت على اللحاق بهم (٣) . وبحلول عام ١٧٦٠ برز نفوذ ثلاث من عائلات العتوب الكبيرة في المنطقة . ولقد سبق ان اشرنا الى آل صباح ، شيوخ الكويت ، وآل خليفة شيوخ « الزبارة » اما الاسرة الثالثة فهي اسرة آل جابر التي اطلق عليها فيما بعد اسم الجلاهمة . ولقد اشتهرت هذه الاسرة في اخريات القرن الثامن عشر بمزاولة القرصنة . (٤) على ان هجرة آل خليفة تثير من التساؤل اكثر مما تثيره هجرة الجلاهمة . والمعروف عن الجلاهمة انهم كانوا من رواد البحر في القرن الثامن عشر وقد اكتسبوا (٥) خبرة واسعة بشئون البحر وطرق الملاحة ومغاصات اللؤلؤ . ولقد حاول آل خليفة في حمل آل صباح والجلاهمة على ترك الكويت طمعا في زيادة دخل قبيلة العتوب من الارباح الناتجة عن صيد اللؤلؤ — غير ان هذه المحاولة لم تنجح وبقي الجلاهمة في مكانهم . وما ان غادر آل خليفة البلاد حتى دب الشقاق ، على ما يبدو ، بين الجلاهمة وآل صباح ومما زاد الامور تعقيدا بين الطرفين هو احتكار آل

---

(١) ان اسم الجلاهمة لم يعد يستخدم الان من قبل أبناء هذه العائلة العتبية التي اصبحت تسمى بعائلة النصف وعددها كبير في الكويت والبحرين .

(٢) " نبذة تاريخية عن قبيلة العتوب العربية " ص ٣٦٣ .

(٣) سبائك العسجد لابن سند ص ١٨ / ١٩ .

(٤) صوره من مرافعات رحمه بن جبير . ، حاكم خور حسن (١٨٠٩ — ١٨١٨) مجلد ٢٤ ص ٥٢٢ — ٥٢٩ .

(٥) بما أن الجيم تنطق ياء بين عتوب البحرين والكويت فان لفظة الجلاهمة تنطق اليلاهمة وكان المسؤولون في حكومة بومباي يستخدمون هذه الصيغة في تقاريرهم " نبذة من تاريخ قبيلة العتوب العربية " ص ٣٦٢ — ٣٦٥ وصورة من مرافعات رحمة بن جبير ص ٥٢٢ / ٥٢٩ .

خليفة لتجارة اللؤلؤ الامر الذي سبب صعوبات بالغة لبقية العتوب . والواضح ان الكويت لم تعد تتسع لكل من الجلاهمة وآل صباح وقد ترتب على ذلك : —

« ان واجهت اقوى القبيلتين ، وهي قبيلة آل صباح متاعب مالية كنتيجة لرحيل اخوانهم التجار من آل خليفة . وكما حدث بالنسبة لاخوانهم الاوائل لم يرفض آل صباح دفع نصيب الجلاهمة من الدخل فحسب بل طردوهم كليا من الكويت (١) .

وقد توجه الشيخ جابر بجماعته الى الزبارة ، حيث استقبلوا استقبالا وديا من ابناء جلدتهم الذين خصصوا لكل منهم ، حسب مركزه ، دخلا مناسبا » الا ان الجلاهمة بعد مضي بضع سنوات ، طالبوا بزيادة حصتهم من المخصصات ولكن آل خليفة رفضوا هذا الطلب .

وعليه غادر الجلاهمة الزبارة مدفوعين بالحاجة من ناحية والاحساس بالذنب من ناحية اخرى واستقروا في الرويس وهي بقعة جدباء من الارض لا تبعد كثيرا عن الزبارة ، وهناك اخذوا في بناء اسطولهم وتسليحه وصيانته املا في الانتقام من جيرانهم الخونة العتاة في يوم (٢) من الايام

اما خليفة فقد اخذ يبذل كل ما في وسعه لتنمية المستعمرق التي انشأها الا أنه بدأ يواجه تهديدا خطيرا من ابناء عمومته الجلاهمة ، بالاضافة الى ما كان يساوره من مخاوف من آل مسلم وكان الجلاهمة قد بدأوا أنذاك سلسلة من اعمال السلب والنهب في البحر واستولوا على بعض ممتلكات خليفة وعشيرته كما اشاعوا الرعب في اوساط آل خليفة وقد قرر آل خليفة الانتقام من الجلاهمة فاعدوا خطة لوضع حد لاعمال القراصنة والاجهاز على زعيمهم وذلك بالاستعانة بجميع المرتزقة الذين استطاعوا تجنيدهم في نطاق الامكانيات المادية التي كانت تحت تصرفهم . وبذلك استطاعوا تطويقهم من جميع

(١) نبذة من تاريخ قبائل العتوب العربية . . الخ ص ٣٦٣ .
(٢) نفس المصدر .

الجهات وهكذا نشب صراع مرير للاستيلاء على الثروات التي جمعها الجلاهمة وكانوا مصممين على الاحتفاظ بها لانفسهم هذا فضلا عن الخصومات الاخرى التي كانت قائمة فعلا بين الطرفين .

وبما ان زعيم الجلاهمة قد لاقى حتفه في بداية الاشتباك، فان تفوق خصومهم الساحق قد حقق لهم النصر الكامل ولم ينج الا عدد قليل من الرضع والنسوة (١) من المجزرة التي نشبت في اعقاب ذلك الصراع .

ولقد تمخض هذا النصر عن سيطرة آل خليفة على قبائل العتوب الاخرى التي كانت تقيم بالقرب من الزبارة وفي عام ١٧٧٥ تناسى الجلاهمة وآل خليفة خصوماتهم ، ضد خصم مشترك لهم أخذ يهددهم فقد اشتركت جيوش ثلاث دول هي ابوشهر ، وبندرق ، والدورق للقضاء على قوات العتوب الا ان هذا العدوان تمخض عن احتلال العتوب للبحرين في سنة ١٧٨٢ . وترتب على اتساع نفوذ العتوب ان وجدوا انفسهم وجها لوجه امام الفرس او على الاصح امام عرب الساحل الفارسي الذين كانوا مترددين في الاعتراف بسيادة الشاه عليهم (٢) . وقد اشترك في هذه الحملة فئات العتوب الذين هاجموا البحرين واحتلوها ، هذا على الرغم من ان الجلاهمة لم يحصلوا على المكافأة التي وعدوا بها (٣) نظير المساعدة التي قدموها خلال تلك الحملة .

ومن ناحية اخرى ساعدت الاوضاع في المناطق المتاخمة للخليج على تطور المتعمرات التي انشأها العتوب في كل من الكويت والزبارة . اما في داخل الجزيرة العربية ذاتها فقد كانت هناك اربع قوى تتصارع وتناهض بعضها بعضا مما اتاح الفرصة للعتوب لكي يمضوا قدما في تطوير بلادهم . وكان بنو خالد والوهابيون القوتين الرئيستين اللتين كان لهما تأثير مباشر على الاوضاع في

(١) نبذة من تاريخ قبائل العتوب العربية . . الخ ص ٣٦٣ .
(٢) راجع الفصل الثاني .
(٣) نبذة من تاريخ القبائل العتبية العربية . . الخ ص ٣٦٥ .

منطقة العتوب . وقد دخل الصراع بين هذه القوتين مرحلة خطيرة عندما قرر غرير امير بني خالد بفرض حصار سنة ١١٧٨ — ١٧٦٤ على الدرعية ، عاصمة الوهابيين التي كانت قد تعرضت من قبل لهجوم شنته عليها قبيلة عجمان التي تقطن منطقة نجران (١) . وعلى الرغم من ان غرير لم يكتب له النجاح في احتلال العاصمة ، فان هذه المعركة قد برهنت للوهابيين ، ان بني خالد انما كانوا يتحينون الفرصة للانقضاض عليهم وبالتالي كانوا يشككون في عروض الصلح التي كان يتقدم بها بنو خالد . هذا وقد سبق لغرير ان اتخذ موقفا سلبيا عندما قام دهام بن دواس ، امير الرياض بمهاجمة الدرعية . ولم تنشب بعد ذلك اي معركة هامة بين الطرفين المتحاربين حتى عام ١٧٧٠ . اما في نجد فقد دعم الوهابيون سلطانهم ، واخذوا يتحينون الفرصة للانقضاض على بني خالد متجاهلين العتوب الذين كانوا في حماية هؤلاء ...

* * *

الحرب بين عمان والقواسم

الى الجنوب داخل الجزيرة العربية ، كانت القوتان الاخريان القواسم في السر (٢) وسلطان مسقط على طرفي نقيض .

ففي ١٧٥٨ بعد ان تمكن احمد بن سعيد من توطيد اركان حكمه في عمان ودانت له القبائل العمانية ، رأى بان الفرصة مواتية للقيام بعمليات عسكرية فيما يسمى عموما بساحل القراصنة بغية اخضاع القواسم وغيرهم من القبائل

(١) ابن غنام مجلد ٢ ص ٧٦ — ٨٠ ، وابن بشر مجلد ١ ص ٤٨ " لمع الشهاب "
(٢) يطلق على هذه المنطقة الآن " ساحل عمان " .

المتمردة والتي كانت تتمتع بالاستقلال التام حتى ذلك (١) الوقت لنفوذه .

في ١٧٦٢ سير امام عمان علي بن سيف على رأس اربع سفن وعشرة مراكب ، وامره بفرض حصار شامل على المنطقة التي كان القراصنة يمارسون فيها نشاطهم وأسفرت الحملة عن اعتراف كل القبائل بسلطانه فيما عدا قبائل رأس الخيمة (٢) .

وفي ١٧٦٣ توجه الشيخ صقر مع عمه « عبدالله » الى مدينة الرستاق في عمان وبعد اجتماعه بالامام السيد اجمد تم الاتفاق على رفع الحصار وسحب الاسطول ، واعلان ميناء ظفار (رأس الخيمة) منطقة مستقلة عن عمان ، واستمرت هذه الاوضاع السياسية قائمة فترة تربو (٣) على العشرين عاما . على أن العداوات والشكوك التي طبعت العلاقات بين امام عمان والقواسم هيأت الفرصة للعتوب لتطوير بلادهم دون خوف من الامام او القواسم وفي ١٧٨٢ هاجم العتوب البحرين واشتبكوا في قتال ضد عرب المحمرة الذين كانوا قد احتلوا هذه الجزيرة قبلهم (٤) .

لاحظنا ان وضع ساحل الفرس الجنوبي كان له باستمرار تأثير على الجانب العربي من الخليج . وثمة سبب مزدوج لهذا الوضع — فقد كانت تسكنه العرب والقبائل المهاجرة التي ظلت تخرج من الشاطيء الجنوبي لشبه الجزيرة العربية وتستقر هناك بين ابناء جلدتها .

وقد قام نادر شاه بمحاولة لتوطيد نفوذه بين العرب المقيمين جنوب فارس ،

(١) القواسم فرع من قبيلة الهوله الكبيرة وتحتل الساحل الفارسي من جامبرون حتى بردستان ، وقد تسموا بالقواسم بأسم جدهم الشهير الشيخ قاسم بن مطر الذي كان يحكم في ذلك الوقت وكان مقره جلفار أو رأس الخيمة " نقلا عن كتاب بلدان وقبائل الخليج العربي " تأليف اس . ب . مايلز *S. B. Miles* طبعة لندن ١٩١٩ مجلد ٢ ص ٢٦٩ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) بلدان وقبائل الخليج مجلد ٢ ص ٢٦٩ .

ولانه استعان بالفرس بعملياته البرية والبحرية ، ولم يشرك العرب المقيمين جنوب فارس ، فقد فشلت محاولته لفرض سلطانه على الخليج (١) .

كانت الفوضى السياسية طابع الحياة في فارس بداية من ١٧٤٧ منذ وفاة نادر شاه ، حتى ١٧٥٧ عندما تسلم كريم خان زند زمام السلطة في البلاد . وبمجيء كريم خان للحكم وبسبب ما واجهه من تحديات في تدعيم سلطان حكمه في معظم انحاء ايران ، فقد بدأت مرحلة جديدة بين عرب السواحل الايرانية والحاكم الجديد استمرت حتى وفاة كريم خان زند عام ١٧٧٩ . وعلى عكس نادر شاه ظل كريم زند يستعين بعرب السواحل طوال صراعه من اجل السلطة (٢) . ولا يعني هذا ان عرب السواحل كانوا يتعاونون مع كريم ، بل على العكس من ذلك فكثيرا ما أثار هؤلاء المتاعب في وجه كريم خان . وفيما يلي بيان موجز باوضاع القبائل العربية الكبرى على الساحل الفارسي في ذلك (٣) الوقت —

في عام ١٧٦٠ كانت هناك ثلاث قوى عربية تحتل مكانها في جنوب فارس ، هي :

عرب ابو شهر (الذين كان يحكمهم يومئذ الشيخ ناصر آل مذكور من قبيلة المطاريش العربية في عمان) ، وعرب بندرق الواقعة شمال ابو شهر وبنو كعب سكان الدورق وقد سبقت (٤) الاشارة الى ما كان لهؤلاء من نشاط خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر . كما كان هناك بالاضافة الى هؤلاء قوى عربية اخرى من قبيلة الهولة ، تسيطر على ساحل الخليج . غير ان هذه

---

(١) بلدان وقبائل الخليج مجلد ٢١ ص ٢٦٩ .
(٢) حسب ما جاء على لسان كارستون نيبور أن ملاحي الباخرة من طائفة السنة في اسطول نادر شاه قاموا بذبح الفرس وتسليم قطع الاسطول إلى العرب ..
(٣) مالكولم مجلد ٢ ص ١٣٤ .
(٤) راجع أعلاه ص ٣٦ — ٣٨ .

الاخيرة لم تلعب دورا كبيرا في صنع الاحداث خلال ١٧٦٠ لان القواسم حلوا محلها .

كان عرب ابو شهر قد احتلوا البحرين في ١٧٥٣ (١) وكان هؤلاء يحكمون هذه الجزر عندما قدم العتوب الى الزبارة ١٧٦٦ (٢) . وفي طريق رحلته من البصرة الى مسقط في شهر فبراير (١٧٦٥) توقف الرحالة نيبور في ابو شهر (٣) وقد اشاد الرحالة في معرض حديثه عن الدول العربية المستقلة على الساحل الفارسي فقال عن ابو شهر « بانها كانت الميناء البحرية لمدينة شيراز عاصمة كريم خان ، حاكم فارس (٤) » . وفي ١٧٦٣ انشأت شركة الهند الشرقية الانجليزية مستودعات لها في ابو شهر بعد ان فضلتها على بندر عباس (جامبرون) الا ان الاسطول الفرنسي نسف هذه المستودعات في ١٧٥٩(٥)

« اما عرب ابو شهر فليسوا من قبيلة الهولة ، وكانوا يضمون ثلاث مـــن العائلات البارزة ، استوطنت الاثنتان الاوليان منها ابو شهر منذ غابر الزمان بينما نزحت اليها القبيلة الثالثة وهي المطاريش من عمان ، واخذت تعمل في صيد السمك ، ولكنها سرعان ما تحالفت مع القبيلتين الاخرين واستطاعت اخيراً ان تنتزع منها السيادة التي كانتا تمارسها على المنطقة منذ سنوات عديدة قبل عام ١٧٦٢ (٦) .

اما الشيخ ناصر حاكم ابو شهر فان سيطرته لم تكن مقصورة على تلك البلدة والبحرين فحسب .

وانما كانت تدين له مناطق كثيرة في كرماسر (*Kermaser*) التي

---

(١) اج . جى . لوريمر .
(٢) راجع اعلاه ص ٦٤ .
(٣) رحلة إلى الجزيرة العربية مجلد ٢ ص ٧٥ – ٧٨ كارستون نيبور .
(٤) راجع كارستون نيبور ص ٢٧٣ .
(٥) راجع " تاريخ الاسطول الهندي " .
(٦) كارستون نيبور في مؤلفه " وصف الجزيرة العربية " ص ٢٧٣ .

التي كان يحكمها باسم كريم خان ، وكان هذا يحتجز ابناء الشيخ ناصر كرهائن لديه عقابا لوالدهم على خيانته ، وكان احتجاز امير ابو شهر لمصلحة فارس عن طريق ممتلكاته من كرماسر مناسبة سعيدة لشيراز (١) .

وقد استطاع الشيخ ابو شهر عن طريق اسطوله البحري الاحتفاظ بسيادته على جزر البحرين الى ان احتلها العتوب في ١٧٨٢ (٢) .

الى الشمال من المحمرة تقع مشيخة بندرق ، التي لم تكن سلطة شيخها تنحصر في المناطق المجاورة فحسب ، وانما كانت تمتد الى غيرها من المناطق في كرماسر وكان التفاهم والوئام يجمع بين شيخي ابو شهر وبندرق في المحاولة التي قاما بها للاستيلاء على البحرين سنة ١٧٥٣ . ولعل هذا يرجع الى ان كلا من الشيخين ينتمي الى عرب عمان الاول الى قبيلة المطاريش والثاني الى قبيلة بني كعب .

في ١٧٦٠ كان يحكم بندرق الامير مهنا ابن الامير ناصر ولم يكن جد الامير مهنا مؤسس هذه العائلة في بندررق شيعيا وانما كان سنيا كقبيلته وبحكم ما كان يربطة من علاقة بملوك فارس فقد اعتنق المذهب الشيعي وتزوج من سيدة شيعية وكانت النتيجة ان الاسرة المذكورة لم تعد تعتبر من بين الاسر العربية (٣) العريقة .

وعلى كل فقد لعب الامير ناصر ونجله الامير مهنا دورا بارزا في تاريخ الخليج العربي بداية من ١٧٥٣ حتى ١٧٦٩ . ففي عام ١٧٥٣ وافق الامير ناصر على انشاء مستودع للهولنديين في جزيرة خارج ، وفي ١٧٦٩ فر الامير مهنا من خارج ولجأ الى الكويت . اما الشيخ بندررق فقد قاتل كـلا من

---

(١) نفس المصدر ص ٢٧٤ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) نيبور في " وصف الجزيرة العربية " ص ٢٧٤ .

الهولنديين والفرس والانجليز. والواقع انالاميرناصر سرعان مااصطدم بالبارون نيفوسين (*Kniphausen*) بعد ان رفض الاخير بأن يدفع اكثر من المبلغ المتفق عليه نظير انشاء المركز في خارج (١) .

وقد استمر العداء بينهما حتّى بعد ان انتزع الامير مهنا (٢) السلطة من والده اثر اغتياله خنقا في ١٧٥٨ ، كما ان علاقة الامير مهنا بكريم خان زند لم تكن على ما يرام ، وعلى العكس من ذلك كانت علاقته بباشوات بغداد وولاة البصرة (٣) على احسن ما يكون .

اما القوة العربية الكبرى الثالثة الّتي لعبت دورا بارزا في ميدان السياسة والتجارة في الخليج فهي قبيلة بني كعب « وهي قبيلة يمكن ان تثير من الاهتمام اكثر مما يمكن ان تثيره قبيلتا بني كعب والمطاريش، وذلك بسبب علاقتهما المباشرة بالعتوب وبني خالد . وموطن هذه القبيلة الاصلي هو نجد . وفي القرن السابع عشر شد بعض افراد القبيلة الرحال من نجد — :

الى اقصى نقطة على جانب الخليج العربي ، والّتي كانت يومئذ خاضعة للاتراك الافشاريين وسرعان ما تصاعدت قوتهم في منتصف القرن الثامن عشر على عهد شيخهم سليمان الذي امتدت شهرته الى البلاد الاوربية ، بعد خلاف نشب بينه وبين الانجليز ، بعد ان استولى على بعض السفن التابعة لهم (٤) .

وفي عام ١٧٦٦ انتزع الشيخ سليمان منطقتي الدورق والفلاحية من الافشار

---

(١) ايفيز ص ٢١٣ .

(٢) نيبور ص ٢٧٤ واخيراً حتّى الامير مهنا " خارج " وذلك في شهر ديسمبر ١٧٦٥ بعد أن طرد الهولنديين منها . انظر خطاب من المستر فرنش (مركز البصره) إلى مجلس ادارة الشركة في لندن بتاريخ ٢١ اغسطس ١٧٦٤ ، الذي توقع فيه أن يستلم الهولنديون قريباً جداً .

(٣) ومع ذلك فان تلك العلاقات الودية لم تمنع باشا بغداد من أن يأمر والي (البصره) بقطع رأس الأمير مهنا بعد وصوله إلى البصره قادماً من الكويت في ١٧٧٠ ، بارسونز ص ١٩٨ .

(٤) كارستون نيبور ص ٢٧٦ في وصف للجزيرة العربية الخ ١٥١ و ١٨٦ في." رحله إلى الجزيرة العربية " .

واستمر يحكمها حتى ١٧٦٦ . وقد استطاع الاحتفاظ باستقلاله عن طريق ضرب العثمانيين والفرس بعضهم ببعض . وتقع المنطقتان بين حدود هاتين الدولتين ، الا انه امتنع عند دفع الزكاة الى اي من الدولتين (١) .

وفي ١٧٥٧ شن كريم خان ، الذي كانت سلطته في فارس قد وهنت ، هجوما على بني كعب في محاولة لاخضاعهم ، غير ان المتاعب التي واجهته في مناطق اخرى من مملكته ، لم تسفر الا عن انتزاع بعض الجزر منهم . ولعل النتيجة الوحيدة التي اسفر عنها هجومه على بني كعب هي انه اصبح اكثر تعطشا للبطش للعدوان فبدأ على الفور في بناء اسطول دشنت اولى سفنه في ١٧٥٨ (٢) ، وما ان حل عام ١٧٦٥ حتى كان له اسطول يتألف من عشرة سفن كبيرة وسبعين سفينة (٣) صغيرة . وفي العام نفسه سير كريم خان حملة اخرى ضد بني كعب ، ومع ان باشوات بغداد ابدوا استعدادهم للتعاون معه الا انهم لم يفعلوا شيئا على الاطلاق . وقد عبر الشيخ سليمان الجانب الغربي من شط العرب ولجأ الى الاراضي العثمانية . وعلى كل فقد دمر كريم خان الدورق عاصمة بني كعب (٤) . وقد كتب الرحالة نيبور الذي كان موجودا في البصرة في ١٧٦٥ عن هذه الحوادث يقول :

« تمتد حدود دولة بني كعب من الصحراء الغربية حتى هنديان وشمالا (٥) حتى امارة الحويزة ، احدى المناطق التي يسكنها العرب .

« وهي منطقة تعتمد في الري على عدد من الانهار الصغيرة والكبيرة وهي غنية بالتمور ، والارز ، والحبوب ، والمراعي ومدنها الرئيسية هي الدورق ،

---

(١) نفس المصدر ص ١٨٧ – ١٨٨ و " الخليج العربي " لولسون ص ١٨٧ .

(٢) نيبور ص ٢٧٦ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) رحلة إلى الجزيرة العربية مجلد ٢ ص ١٨٨ نيبور ..

(٥) مقاطعة صغيرة شمالي بندر رق ، متاخمة لممتلكات بني كعب : وخاضعة لسيادةالعربي عربي « نيبور ص ٢٧٧ ».

وجفار والغوبان (١) . »

ولكن ما ان منيت حملة كريم خان بالفشل حتى انقلب بنو كعب ضد العثمانيين الذين كانوا قد بدأو بعض العمليات ضدهم وقد اضطر الانجليز الى الاشتراك في هذا الصدام بحكم تحالفهم مع العثمانيين . وعلى اي حال فلم تسفر المحاولات المشتركة للدولتين لاخضاع بني كعب ، عن اي نجاح يذكر . وقد خاض البريطانيون في ذلك العام معركتين : الاولى هجوم فاشل بالاشترك مع الامير مهنا على سكان جزيرة خارج ، والثانية ضد بني كعب الذين كانوا قد استولوا على ثلاث سفن بريطانية كانت ترسو في شط العرب وقد حدث هذا في اعقاب معركة خارج .

وقد سارعت حكومة بومباي الى ايفاد حملة بحرية مؤلفة من ٤ سفن وفصيلة صغيرة من المشاة الاوربيين والمدفعية . وفي اعقاب ذلك قام البريطانيون والعثمانيون بعمليات بحرية وبرية مركزة في محاولة يائسة لاستعادة السفن المصادرة ولكن بني كعب اشعلوا النار في تلك السفن قبل ان يتمكن المهاجمون من الاستيلاء عليها وقد مني البريطانيون بهزيمة فادحة ، عندما حاولوا اقتحام بعض معاقل بني كعب (٢) .

وهنا تدخل كريم خان ، بحجة ان بني كعب خاضعون لفارس وبالتالي فقد طالب الانجليز والعثمانيين بالانسحاب من الاراضي الفارسية . وقد استجاب العثمانيون لطلبه . وهكذا منيت الحملة للمرة الثانية بالفشل لذا خيب امل البريطانيين الذين كانت التعزيزات العثمانية في طريقها اليهم من بومباي (٣) .

ونتيجة لهذا الفشل قام الانجليز بضرب حصار امتد سنوات حول موارد المياه التابعة لبني كعب . واخيرا تدهورت حالة الكتيبة المحاصرة مما حتم رفع

---

(١) نفس المصدر السابق ويشير نيبور الى ان الشيخ لحيمان كان يسكن في الغوبان وليس في الدروق .

(٢) نفس المصدر .

(٣) " رحلة إلى الجزيرة العربية " مجلد ٢ ص ١٨٨ ، نيبور .

الحصار عن المنطقة . وبقي بنو كعب شوكة في جنب العثمانيين والفرس والانجليز بعد ان استعصى اخضاعهم ، هذا وقد بعث المركز التجاري لشركة الهند الشرقية في البصرة بشكاوي عاجلة الى مجلس الادارة في لندن الذي تقدم بدوره الى الحكومة البريطانية باقتراح يقضي بارسال اسطول قوي الى كل من الهند والخليج « لحماية مصالح شركة الهند الشرقية والشعب البريطاني (١) ».

* * *

علاقات العتوب بالدول الأخرى في الخليج حتى ١٧٧٥ .

وهكذا اضطر عتوب الكويت والزبارة الى انشاء علاقات مع كل الدول التي تحدثنا عنها . وعلى كل ففي داخل شبه الجزيرة العربية لم تحدث تغييرات تذكر في ميزان القوى بين الوهابيين وبني خالد . هذا على الرغم من ان الوهابيين تمكنوا ان يوطدوا حكمهم في نجد ، بعد اكتساحهم للرياض عاصمة دهام بن دواس في ١١٨٧ - ١٧٧٣ . وقد دفعت هذه التطورات بالوهابيين الى المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة (٢) . وحتى ذلك الوقت كان بنو خالد متحدين ومحتفظين بقوتهم لمواجهة اي هجوم قد يقوم به الوهابيون عليهم . وعلى كل ، فما ان توفي زعيمهم غرير في ١٧٧٤ حتى نشبت الحرب بين ولديه بطيان وسعدون، وانتهت باغتيال الاول ١٧٧٧(٣)، كان بنو خالد حتى ذلك الوقت قد وصلوا في زحفهم الى اراضي نجد مما اتاح لكل من الزبارة والكويت فرصة لتنمية تجارتهما دون خوف من الوهابيين .

---

(١) لقد وقع الخطاب كل من اج . اى . كراب بولتين (*H. I. Grabb Boulton*) ورفع وجى كولبروك (*J. Cole Brooke*) نيابة عن ايست انديا هاوس ورفع إلى اللورد فايكونت ويماوث (*Lord V. Weymouth*) بتاريخ ١٧ مارس ١٧٦٩ .

(٢) ابن غنام مجلد ٢ ص ٩٤ - ١٠٠ اثارت هذه الحادثة حماس ابن غنام حتى انه سجلها في قصيدة طويلة راجع ابن بشر مجلد ١ ص ٦٠ / ٦١ .

(٣) ابن بشر مجلد ١ ص ٦٢ .

غير ان الخطر الاكبر على المدينتين العتبيتين كان يكمن في ناحية البحر . كان الامير مهنا قد استولى بالفعل على « خارج » من الهولنديين سنة ١٧٦٥ وكان يمضي قدما في ممارسة عمليات القرصنة والاستيلاء على كل سفينة تصل اليها يده (١) . وكانت البحرين التي يحكمها عرب ابو شهر اقرب منطقة تخضع لسلطان الفرس ولها اتصال بالعتوب الذين كانوا يسيطرون على التجارة بين مسقط وشرقي واوسط الجزيرة العربية . ولما كانت البحرين تشتهر بانتاج اللؤلؤ ، فقد احس سكان الجزيرة بمنافسة الكويت والزبارة لهم تجاريا . وكان بنو كعب ، كما سنرى يمثلون الخطر الاكبر ..

منذ احتلال الهولنديين لجزيرة خارج في ١٧٥٣ ، انشأ العتوب علاقات طيبة مع الجزيرة (٢) استمرت على عهد حاكمها الامير مهنا . ولعل هذا يفسر الاسباب التي حملت مهنا تحت الضغط الشديد الذي كان يتعرض له من كريم خان ، على :

« ان يستقل مع بعض المقربين اليه قاربا في احدى الليالي مصطحبين معهم ما يكفيهم من المال والمؤونة الى القرين كانت تقع على بعد ١٦ ميلا من جزيرة خارج وكانت (الكويت) التي يحكمها يومئذ نائب عن محافظ البصرة التركي ومن هناك واصلوا سفرهم الى البصرة ، حيث كان مهنا يتوقع الحصول على حق اللجوء السياسي ، خصوصا وانه كان متمسكا جدا بنصوص المعاهدة التي سبق ان وقعها مع باشا بغداد والتي تقضي بعدم التعرض للسفن المتجهة من البصرة واليها . وفي البصرة استقبله محافظها استقبالا حافلا واستضافه بوصفه

---

(١) خطاب موجه من بنجامين جرفيز (*Benyamamin Jervis*) (ممثلية البصرة) إلى شارلس كروملين (*Charles Grommelin*) رئيس حكومة بومباي بتاريخ ٥ يناير ١٧٦٥ مجلد ١ ص ١٦ رقم ٩٠١ .

(٢) راجع اعلاه ص ٥٤ — ٥٦ .

صديقا لسيده باشا بغداد (١) » .

وعلى الرغم مما ذكره بارسونز من ان الكويت كانت تابعة للبصرة الا انه ليس ثمة ما يؤكد هذا الرأي . وربما كانت العلاقة بين شيخ الكويت ووالي البصرة ودية يومئذ، مما حمل بارسونز الى افتراض ما افترضه ولقد كانت سياسة حكام الكويت تقوم على عقد علاقات صداقة مع جميع الدول الا ان هذه السياسة لم تكن تعني التبعية او الخضوع . ولعل تعاظم قوة بني كعب من ناحية ، وعرب ابو شهر من ناحية اخرى هي التي كانت تملي على حكام الكويت اتباع مثل هذه السياسة .

سبق ان لاحظنا كيف كان بنو كعب يثيرون المتاعب لولاة البصرة ولشركة الهند الشرقية الانجليزية وكيف تدخل كريم خان حاكم فارس ليحول دون اخضاع بني كعب . كما لاحظنا ان الشيخ ناصر حاكم ابو شهر كان هو الآخر يخضع لحماية كريم خان (٢) الذي عينه اميرالا على الاسطول الفارسي في الخليج (٣) .

وكسبيل لدرء الخطر الذي كان يتربص بالعتوب من جانب بني كعب والشيخ ناصر سعت الكويت والزبارة الى التودد الى كل من العثمانيين وشركة الهند الشرقية الانجليزية سيما وانه لم تكن لديهم حتى ذلك الوقت قوة بحرية يستطيعون بها مجابهة عرب الساحل الفارسي ، مما كان يضطرهم الى الاحتفاظ بعلاقات

---

(١) بارسونز ص ١٩٣ — ١٩٨ استكمالا لقصة الامير مهنا يقول بارمونز " بعد مضي بعض الوقت على وجود مهنا في البصرة ، ابلغ محافظها الباشا عن وصوله ليطلب حماية الباشا والسماح له بالسفر إلى بغداد المثول بين يديه وبما أن الباشا قد أحيط علماً بالفظائع التي ارتكبها فقد رأى بأنه لا يستحق الحماية ولهذا ارسل امراً إلى محافظ البصرة بأعدامه فور استلامه للتعليمات . وبذلك تم اعدام الامير مهنا . أما مرافقوه فقد سمح لهم بالبقاء .

(٢) بارسونز ص ١٨٩ .

(٣) بما أن الفرس لم يكن لديهم اسطول خاص بهم فقد اعتمدوا على اسطول كل من بني كعب وابو شهر خلال حكم كريم خان (مالكولم مجلد ٢ ص ١٤١) .

طيبة مع بني خالد . غير أن هذه العلاقة لم تمنع بني كعب في ١٧٧٤ من الاستيلاء على القطيف المشهورة بتجارة اللؤلؤ) وكانت تعتبر من اثرى موانيء بني خالد ونهبها . وقد عادت سفن بني كعب الى الدورق محملة بالغنائم وعلى الرغم من ان بني كعب قاموا بالعملية بمفردهم الاان الشيخ ناصر حاكم ابوشهر قد ساهم بدوره في هذه العملية وان الطرفين انما كانا مجرد اداة في يد كريم خان (١) الذي كان يستغلهما في تحقيق سياسته ضد العثمانين وغيرهم ولعل حصار الفرس للبصرة في ١٧٧٥ اول بادرة على ذلك التعاون .

الوباء يهاجم البصرة

بعد وفاة غرير ، زعيم بني خالد ، مباشرة شن كريم خان زند هجومه على القطيف وكانت المدينة في ذلك الوقت قد بدأت تفيق لتوها من وباء الكوليرا الذي تسلل اليها من البصرة .

في مستهل عام ١٧٧٣ هاجمت الكوليرا البصرة ، قادمة عبر الطريق الجنوبي من بغداد . اما في بغداد فقد كانت وطأة الوباء اشد درجة توقفت معها كل الاعمال التجارية (٢) . وفي شهري ابريل ومايو من نفس العام اجتاح الوباء البصرة وحصد (٣) سكانها وقد غادر موظفو الشركة الانجليزية البلاد الى بومباي قبل وصول الوباء اليها ، بعد ان تركوا المركز التجاري في عهدة الجراح رايلي . وعلى اثر انتشار الكوليرا غادر كثير من سكان العراق الى الكويت ، والقطيف ، والبحرين ، وغيرها من البلاد الواقعة على ساحل

---

(١) خطاب موجه من اج . مور (*YG. Moore*) ، ودبليو دى لاتوش (*Latouche*) وجى ابراهام (*J. Abraham*) ، المسؤولين عن مركز البصرة إلى مجلس الادارة في لندن بتاريخ ١٣ مايو ١٧٧٤ .

(٢) خطاب آخر من نفس الاشخاص إلى مجلس الادارة في لندن بتاريخ ٢٨ يوليو ١٧٧٤ .

(٣) راجع خطاب المستر مور ، والمستر ابراهام المسؤولين عن مركز البصرة إلى مجلس إدارة الشركة في لندن بتاريخ ١ ابريل ١٧٧٣ .

الخليج العربي حاملين معهم عدواه . ورغم ان الوفيات في بلدان الساحل كانت اقل منها في البصرة ، فقد قدر عددها بنحو مليوني شخص (١) .وعلى(٢)اي حال ، فلم تتعرض مناطق بني كعب والساحل الفارسي من الخليج لخسائر كبيرة في الارواح لانها اتخذت الاحتياطات اللازمة فاوقفت كل اتصال لها بالمناطة الموبوءة (٣) . اما عدد الوفيات في البصرة ، وفي القرى المجاورة فقد قدر بمائتي الف (٤) . وجاء في تقرير المستر مور وزملائه بعد عودتهم الى البصرة ما معناه :

« ولا يبدو ان هذه الارقام مبالغ فيها اذا عرفنا ان الوفيات في مدينة البصرة وحدها كان عددها يتراوح يوميا ولمدة شهر واحد تقريبا ما بين ٣,٠٠٠ الى ٧,٠٠٠ شخص واخيرا في نحو ٢٥ من شهر مايو ارتفع الوباء فجأة ، بعد ان ترك سكان البصرة في حالة يرثى لها من الفقـــر والخراب (٥) .

ترك وباء الكوليرا تأثيره على الحياة التجارية في البصرة ، مما اتاح للموانيء المنافسة الاخرى على الخليج فرصة كبيرة لممارسة نشاطها . وكانت المحمرة على الساحل الفارسي من الاقطار التي كانت تتلهف الى مثل هذه الفرصة لانها كانت اكبر سوق ومركز تجاري في الخليج الى ان تفوقت عليها البصرة بعد

---

(١) خطاب من ميشيل ريلي (جراح مركز البصره) إلى المستر شارلس توماس كوجان (*Thomas Coggan*) احد المسؤولين عن شركة الهند الشرقية بلندن بتاريخ ١٧ / ٨ / ١٧٧٣ .

(٢) راجع رسالة مدير وزملائه إلى مجلس ادارة الشركة في لندن بتاريخ ١٦ يناير ١٧٧٤ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر . اما ابن غنام فنعتقد ان عدد الوفيات يبلغ مئات الالاوف ، وانغالبية سكان البصرة انقرضوا نتيجة للوباء مجلد ٢ ص ٩٩ — ١٠٠ من كتاب ابن غنام .

نقل شركة الهند الشرقية نشاطها التجاري الى الاخيرة (١) . اما الكويت والزبارة فعلى الرغم من العلاقات الودية التي كانت تربطها بالبصرة ، فقد كانتا تستأثران بالجزء الاكبر من تجارة الاخيرة معهما . وقد استمرت علاقاتهما بالمركز التجاري لشركة الهند الشرقية في التحسن . وكانت الشركة المذكورة تستأجر سفنهما لنقل البريد الى مسقط خلال رحلاتها الى بومباي (٢) .

وعلى الرغم من ذلك فان نقل الانجليز لنشاطهم التجاري من المحمرة الى البصرة بعد ١٧٧٠ بحيث اصبحت الاخيرة اغنى ميناء على الخليج ، لم يتم دون مقاومة من جانب الفرس ، فقد مضى كريم خان في تنفيذ خططه لانتزاع البصرة من ايدي العثمانيين ولما كان محافظ العثمانيين في البصرة على علم بتلك الخطط فانه لم يأل جهدا في دعم قوة البحرية ، وكان على يقين بان اي هجوم على مدينته المحصنة لن يكتب له النجاح ما لم تسنده قوة بحرية — وهكذا وصلت « في مستهل عام ١٧٧٤ السفينتان المزودة كل منهما باربعة عشر مدفعا ، الى ميناء البصرة وكان قد تم بناؤهما بناءعلىطلبالباشا»وتمتسليمهما الى السلطات العثمانية في البصرة بعد دفع ثمنهما الى خزينة الشركة في بومباي (٣) . ومن ناحية اخرى حصل كريم خان بدوره على مساعدة بحرية من اسطول بني كعب وابو شهر . وفي سنة ١٧٧٥ تمت استعدادات كريم لحصار البصرة وهو الحصار الذي وجد العتوب انفسهم متورطين فيه . وكالعادة عندما نشبت الحرب بين فارس والعراق العثماني ، ودول الخليج الاخرى اصبح من المتعذر على الشركة ان تلتزم بموقف الحياد .

---

(١) في ١٧٦٣ ، منح كريم خان " بموجب مرسوم ملكي " امتيازات جديدة للانجليز ، وقد جاء في المرسوم " انه محظور على أي دولة أوروبية اخرى أو افراد اوربيين استيراد المنسوجات الصوفية إلى أي ميناء على الخليج فيما عدا شركة الهند الانجليزية وإذا ما حاولت أي جهة ذلك فان بضائعها سوف تصادر " مجلد ١٦ تقرير رقم ٧٨٣

(٢) انظر خطاب مور وزملائه إلى مجلس الادارة في لندن بتاريخ ٩ ديسمبر ١٧٧٤ . مجلد ١٧ تقرير رقم ١٠٨٥ .

(٣) نفس المصدر خطاب مؤرخ ١٦ يناير ١٧٧٤ مجلد ١٧ تقرير رقم ١٠٦١ .

على أن استتباب الأمور للعتوب في الزبارة ونمو تجارتهم في كل من الكويت والزبارة ، قد اثار حسد عرب الخليج من رواد البحر خصوصا سكان الجانب الفارسي منه . اي عرب بندررق ، وابو شهروبني كعب . وكانت الفئة الثانية اقرب الفئات الى عتوب الزبارة ، بحكم سيطرة ابو شهر على البحرين .

وعندما نشب الصراع بين الفرس والاتراك كنتيجة لحصار الفرس للبصرة في ١٧٧٥ ، سنحت الفرصة لدول العتوب من جديد لجمع المزيد من الثروة والجاه باعتبار مناطقهم مناطق تجارية مأمونة .

ومن جهة اخرى لعبت سياسة التجارة الحرة التي انتهجتها كل من الكويت والزبارة دورا هاما في اجتذاب التجار ورؤوس الاموال الى بلاد العتوب . ولهذا لم يكن من السهل على المحمرة ان تتخلى عن هذه الميزات للزبارة والكويت وقد ادى هذا التوتر اخيرا الى نشوب حرب بين العتوب والمحمره ، انتهى بانتصار العتوب واحتلالهم للبحرين في سنة ١٧٨٢ .

* * *

الفَصْلُ الرَّابع

حالة الظروف في دول العتوب

١٧٧٥ ـ ١٧٩٠

في الفترة بين عام ١٧٧٥ و ١٧٩٠ ، وقع حدثان على جانب من الاهمية اثرا على دولة العتوب الناشئة ، اولهما حصار الفرس للبصرة واحتلالها (١٧٧٥ — ١٧٧٩) . ومع ان العتوب لم يشتركوا اشتراكا فعليا في القتال فقد نابهم شيء من نتائجه ومعقباته . اما الحادثة التاريخية الهامة التي لا تزال آثارها ماثلة حتى اليوم ، فهي احتلال العتوب للبحرين . وسنقوم هنا بمحاولة لاستقراء نمو القوة البحرية للعتوب ، وهي القوة التي مكنت لهم احتلال البحرين (١) .

ولكي ندرك ما خلفه حصار البصرة واحتلالها من جانب الفرس من نتائج على دولة العتوب خصوصا ، ومنطقة شبه الجزيرة العربية عموما ، لا بد من ملخص وجيز لهذا الحادث ، الذي اشترك فيه الفرس والعثمانيون والعرب ، كما خرج الانجليز بدورهم على سياسة عدم التدخل بالنسبة لهذا الحادث وحاربوا في صف العثمانيين (٢) .

كانت البصرة قد تخلصت لتوها من آثار الكوليرا التي اجتاحتها ، عندما بدأت الاشاعات تغمر البلاد عن هجوم يعد له الفرس . وعندما تفاقم امر هذا

(١) يعتمد هذه الدراسة على ما جاء في سجلات مركز شركة الهند الشرقية الانجليزية التي لم تنشر كما تعتمد على تقارير المسئولين في نفس الشركة كما وردت في المجلد ٢٤ من وثائق حكومة بومباي ١٨٥٦ .

(٢) للوقوف على تفاصيل هذا الحادث راجع ص ١٦٢—١٨٦ المصادر العربية ولسوء الحظ تعلق تعليقاً مختصراً على الهجوم ونتائجه ولكنها لا تقدم اية تفاصيل على ذلك . ويبدو انه لم يكن بالبصرة اي مؤرخ عربي في اعقاب الوباء ١٧٧٣ كما ان المؤرخين الوهابيين لم يتعرضوا لهذا . اما الكاتبان المعاصران ابن غنام وابن بشر ، فقد اشارا الى احداث ١١٨٨ هجرية بسطر او سطرين في مؤلفيهما .

الخطر في ١٧٧٥ ، اخذت الاجتماعات تعقد يوميا بين سليمان اغا محافظ البصرة ، والقبطان ووجهاء البصرة والمعتمد البريطاني .

« في يوم ١٥ يناير ١٧٧٥ (١) ، كما يقول بارسونز ، وردت تعليمات من ابو شهر في فارس ، مفادها ان جيشا قوامه اكثر من خمسين الف رجل بقيادة صادق خان (شقيق كريم خان ، حاكم فارس الحالي) ، يستعد للزحف على البصرة واحتلالها ايا كان الثمن ، وقد اثارت هذه الانباء مخاوف الأهالي وفزعهم (٢) .

ولعلنا نشير هنا الى الازدهار الذي حققته البصرة في سنة ١٧٦٠ بعد ان نقل البريطانيون نشاطهم التجاري من ابو شهر اليها والذي كان من بين الاسباب التي ادت « الى توتر العلاقات بين الباشا والامير (٣) » .

وعلى اي حال ، فخوفا من الاهمية المتزايدة لميناء البصرة ، ولمواجهة التذمر الذي اخذ ينتشر في صفوف الجيش قرر كريم خان مهاجمة المدينة انتقاما من والي بغداد على الرسوم التي كان قد فرضها على الحجاج الفرس الى كربلاء (٤) .

وفي يوم ١٦ مارس وصل الجيش الفارسي بقيادة صادق خان ، شقيق كريم خان الى فم خليج الحويزة في فارس حيث كانت توجد بلدة تسمى « الصوان » (٥) وقد دام الحصار ثلاثة عشر شهرا ، استسلمت في نهايته

(١) كان بارسونز شاهد عيان للاحداث واشترك في عمليات الدفاع عن البصرة ضد المعتدين .
(٢) بارسونز ص ١٦٢ .
(٣) باشا بغداد وامير فارس راجع لونجرج ص ١٨٨ .
(٤) سايكس مجلد ٢ ص ٢٨١ .
(٥) بارسونز ص ١٦٤ ولونجرج ص.١٩٠ ويقول هذا ان.جيش الفرس قد وصل الى شط العرب عند مدخل نهر الصويب . يبدو ان هذا النهر كان يسمى وقتئذ نهر او خليج الحويزة ، كما ورد على لسان بارسونز وكما تشير اليه الخرائط المعاصرة التي اعدها نيبور وكانت لفظة الصويب اسماً لبلدة في العراق« راجع رحلة الى الجزيرة العربية » مجلد ٢ الخريطة المرفقة بالكتاب .

وكان ذلك في شهر ابريل ١٧٧٦ .

وقد تحالف العرب سكان الجانب الفارسي من الساحل مع الفرس ، كما قام عرب ابو شهر تحت حكم الشيخ ناصر بامداد الجيش الفارسي بالذخيرة والمؤن (١) التي لولاها لتفرقت قوات القائد المذكور بسرعة (٢) . كما كانت تربط الشيخ بندررق ، بكريم خان علاقة ودية على ما يبدو وقد اشترك معه في عملية الحصار » (٣) .

كذلك بنو كعب ، الذين كانت سفنهم ذات اهمية بالنسبة الى كلا الطرفين قد ساعدوا الفرس . وقد وضع هؤلاء مع غيرهم من عرب الجانب الفارسي من ساحل الخليج ، الجزء الاكبر من اسطولهم التجاري والحربي تحت تصرف الفرس (٤) وكما سبق ان اوردنا فقد زحف صادق خان بجيشه عبر أراضي بني كعب وعسكر في الصويب المنطقة التابعة لهم ويبدو من هذه الواقعة ان بني كعب قد اتفقوا مسبقا على تأييد كريم والانضمام الى حملته .

اما الاطراف التي وقفت الى جانب العثمانيين ، او بالاحرى الى جانب سليمان اغا محافظ البصرة فهم عرب قبيلة المنتفك بزعامة كل من الشيخ تامر والشيخ عبدالله ، وقد كلف هؤلاء القيام بدور رئيسي في الدفاع عن المدينة المحاصرة وايقاف زحف الفرس . وبفضل التعارف بين جماعات بني خالد والمنتفك خارج الجبهة تمكنت القوافل من الوصول الى المدينة (٥) رغم الحصار

---

(١) كان الشيخ ناصر قائد الاسطول الفارسي في الخليج (راجع بارسونز ص ١٨٩ — ٢٠٠) .

(٢) نفس المصدر .

(٣) عندوصول بارسونز بصحبةالمعتمد البريطاني وموظفمركز الشركةفيالبصرة الى ابو شهر يوم ٢٧ ابريل ١٧٧٥ ، استقبلهم حاكم المدينة ورؤساؤها وكان معهم الشيخ علي حاكم بغدر رق الذي كان وقتها في زيارة للمدينة (نفس المصدر) .

(٤) يقول بارسونز في معرض حديثه عن اسطول المحمرة البحري « عندما وصل البصرة » « بان جميع السفن الحربية قد اشتركت في الحصار الى جانب قطع الاسطول التجاري ص ١٨٨ .

(٥) راجع لونجرج ص ١٩٢ .

المضروب عليها وفي شهر اغسطس عام ١٧٧٥ وصل الاسطول العماني لفك الحصار عن البلدة تلبية لطلب الوالي (١) ويقال بان هذا الاسطول استطاع ان يشق طريقه الى البصرة عن طريق شط العرب وذلك في شهر اكتوبر ١٧٧٥ وان يلعب دورا كبيرا في التخفيف عن الحصار على المدينة (٢) . كما نجح سليمان اغا في اقناع المعتمد البريطاني على مساعدته في صد الغزو ، الفارسي للمدينة (٣) .

في هذا الوقت بالذات كانت وحدة من السفن التابعة لبحرية بومباي راسية في شط العرب قريبا من الخليج من حيث لم تكن تبعد كثيرا عن المدينة وكانت تتألف من الفرقاطة ريفنج (*Reveuge*) المزودة بثمانية وعشرين مدفعا ، والفرقاطة ايجل (*Eagle*) المزودة بستة عشر مدفعا والفرقاطة سكسيس (*Success*) المزودة باربعة عشر مدفعا ، الى جانب فرقاطتين اخريين كل منهما مزودة بعشرين مدفعا ، وقد بني كل هذه السفن في بومباي لحساب باشا بغداد (٤) وكان « يقود سفن الباشا ضابط صف انجليزي يعمل في خدمة الشركة » كما كان على السفن « بعض البحارة الانجليز » اما بقية البحارة فكانوا من الاتراك « وكانت السفن ترفع الاعلام البريطانية والواقع ان الوكلاء التجاريون ، وطرادات شركة الهند الشرقية الانجليزية قد انضموا الى قوات

---

(١) راجع بارسونز ص ٢٠٦ — ٢٠٧ لقد كان بارسونز في مسقط يوم ٣ اغسطس وشاهد الجزء الاكبر من اسطول السلطان يحمل المؤن لتخفيف الحصار على البصرة ، وكان من المتوقع ان يبحر الاسطول في ظرف نصف شهر » .

(٢).خطاب من دبليو . د . لا توشروجى ابراهام (الوششهير) إلى مجلس الادارة بتاريخ ٢ / ١٢ / ١٧٧٥ وقد أورد المستر واردن خطاب بتاريخ وصول الاسطول العماني إلى البصرة حين قال بأن ذلك قد تم في شهر اغسطس " راجع نبذة تاريخية عن نشأة وتطور حكومة مسقط . . الخ "

(٣) كان المعتمد هو المستر جرين (*Jreen*)

(٤) بارسونز ص ١٥٢ .

الباشا حتى انسحابهم من ميدان المعركة (١) .

وثمة قوتان في الخليج هما القواسم سكان مشيخة ورأس الخيمة والعتوب كان من المتوقع انضمامهما الى قوات الفرس او العثمانيين .

اما بخصوص الفئة الاولى فليس ثمة ما يدل على ان لها ضلعا في احداث البصرة التي اشرنا اليها آنفا « على الرغم مما قيل من ان قوتهم في كل من البصرة او البر قد تضاعفت » اما غياب القواسم عن المسرح فيمكن ارجاعه الى انهم كانوا يومها مشتبكين في حرب ضد سلطان مسقط وعلى ، وبالتالي لم يكن في وسعهم الانحياز الى جانب العثمانيين في احداث البصرة . والواقع كما تبين فيما بعد ، ان العتوب كانوا يقفون ضد شيخ ابو شهر وبني خالد ، بينما انضم القواسم الى شيخ ابو شهر في محاولاته الفاشلة لاحتلال جزر البحرين من جديد في ١٧٨٣ . اما الشيخ ناصر فكما أشرنا آنفا ، قد تحالف مع كريم خان امير فارس في ذلك الوقت .

ويبدو من الصعب تقييم الدور الذي قام به العتوب في عملية حصار البصرة وبارسونز لم يشر الى علاقة الكويت بالنسبة بهذا الموضوع الا في مناسبتين فقط الاولى عندما صدرت الاوامر الى سفينتين من سفن الباشا بالتوجه الى الكويت لاجراء تصليح فيهما مساء ١٣ من ابريل . والثانية عندما شاهدت الفرقاطة « ايجل » واحدى سفن الباشا وكانتا في طريقهما من البصرة الى المحمرة يوم ١٤ ابريل ١٧٧٥ « حيث يقول : انني شاهدت سفينتين تغادران ميناء ابو

---

(١) ما أن حل يوم ٩ ابريل حتى كان البريطانيون قد احتلوا البلدة (راجع بارسونز ص ١٧٤) وبتاريخ ١٣ من الشهر نفسه كانت السفن البريطانية وبمعينتها بعض سفن الباشا تشق طريقها إلى ابو شهر (نفس المرجع ص ١٨١) .

(٢) في ١٧٧٥ نشبت حرب بين القواسم وسلطان مسقط ، الا أنه يبدو أن القواسم من ١٧٧٥ حتى ١٧٧٨ كانوا يعملون في التجارة فحسب ولم يقوموا بالإغارة على جيرانهم . " نبذة تاريخية عن حياة قبيلة القواسم العربية " مجلد ٢٤ ص ٣٠١ من مقتطفات وثائق حكومة بومباي كذلك يتحدث مايلز عن نمو قوتهم في ١٧٧٥ مجلد ٢ ص ٢٧٤ .

(٣) بارسونز ص ١٨١ .

شهر في طريقهما « الى الكويت »(١)التي كانت يومئذ على حد قول بارسونز دولة تابعة للبصرة » اما ما الذي كان يعنيه من « كلمة تابعة » ، فغير واضح من حديثه ، وعلى الرغم من ذلك فثمة شيء لا تمت اليه الشك معروفة الا هي وجود علاقة صداقة بين والي البصرة وشيخ الكويت ذلك ان :

« جميع الاتراك والعرب الذين كانوا على ظهر سفينتي الباشا ، ويقدر عددهم بنحو ٢٣٠ شخصا قد استقلوا السفينتين المذكورتين وسافروا عليها الى الكويت (٢) . »

وجاء في رسالة بعث بها المركز التجاري في البصرة الى مجلس ادارة الشركة في لندن ما يلي :

« لقد تم ايفاد سفينتين تركيتين الى القرين (الكويت) بناء على طلب تقدم به بنو كعب الى شيخ ذلك البلد ، وقد سلمت السفينتان اليه (٣) .

وجاء في الرسالة ايضا ان الشيخ قد ارسل (ولو عن غير رغبة منه) « جماعة من مائتي رجل لمساعدة صادق خان » .

وعلى الرغم من الغموض الذي يكتنف دور العتوب في احداث البصرة ، فايس من العسير على ما يبدو ان نفهم حقيقة موقفهم غير العدائي تجاه الوالي ، وايفادهم مائتي رجل لمساعدة صادق خان بعد ثلاثة اشهر من الحادث الاول . ولما كان العتوب ، على ما يبدو ، يجهلون الفريق الذي ستكون له الغلبة فقد

(١) القوات البحرية التي يشير إليها بارسونز هنا تتألف من فرقاطتين تحمل كل منهما ١٤ مدفعاً وقد تم بناؤهما في بومباي لحساب الباشا ، إلى جانب سفينتين أخريين وقد واصلت الفرقاطتان رحلتهما إلى مسقط ، حيث تم تسليمهما إلى السلطان يوم ٣١ اغسطس وكان يومها يهيء اسطوله لايفاده إلى البصرة لفك الحصار المضروب عليها .

(٢) نفس المصدر .

(٣) خطاب لا توش وزملائه إلى مجلس الادارة بتاريخ ١٥ / ٧ / ١٧٧٥ مجلد ٢ تقرير رقم ١٠٨٩ .

آثروا ارضاء الطرفين . وبسبب تأزم الموقف بينهم وبين عرب المحمرة ، وخصوماتهم القديمة مع بني كعب فقد وجدوا انفسهم في صدام مع الفئتين اللتين كانتا على وفاق مع الفرس » .

على ان الظروف التي لابست حصار الفرس للبصرة واحتلالها فقد تركت اثارا بعيدة المدى على الكويت والزبارة ، فقد انشئت علاقات مباشرة بين الكويت وممثل شركة الهند الانجليزية في الخليج من ناحية . كما اصبحت الكويت من ناحية اخرى مركزا لجميع القوافل التي كانت تنقل السلع بين البصرة وحلب خلال الفترة من ١٧٧٥ الى ١٧٧٩ . وبسبب تأزم العلاقات بين الفرس والانجليز كانت سيئة ، فقد كانت السلع التي تأتي من الهند ، والتي كان يمكن ارسالها الى ابو شهر ومنها الى حلب عن طريق البصرة ، تفرغ في كل من مينائي الزبارة والكويت (١). الأمر الذي ساعد هذين البلدين على تجميع الثروة من ناحية واثارة حفيظة الدول البحرية العربية الاخرى ، من ناحية اخرى خصوصا بني كعب وعرب ابو شهر ، الا ان هؤلاء لم يستطيعوا بالرغم من ذلك ان يمنعوا تطور العلاقات بين العتوب والبريطانيين .

ويقول لوريمر :

« ان التاريخ المدون لعلاقات بريطانيا بالكويت ، ويبدأ من سنة ١٧٧٥ عندما بدأ تنقل البريد البريطاني من الخليج الى حلب عن طريق الكويت بدلا من الزبير ، بسبب محاصرة الفرس للبصرة يومئذ (٢) »

وعلى الرغم من ان الفرس كانوا يحتلون الزبير التي استولوا عليها سنة ١٧٧٨ وليس ١٧٧٦ عند وقوع البصرة في ايديهم ، الا انه لم يحل منتصف

(١) القرين هو الاسم الذي يطلق على الكويت كما أن تهجئة لفظة الزبارة باللغة الانجليزية كانت تتغير باختلاف الرحالة والخطابات التي كان يبعث بها رجال مركز الشركة في البصرة .

(٢) لوريمر مجلد ١ ص ١٠٠٢ .

سنة ١٧٧٥ ، حتى بدأت عملية نقل بريد شركة الهند الشرقية الى وجهاته من نفسها (١) .

وكان هذا الطريق البري ذا اهمية خاصة بالنسبة لاصحاب الشركة المذكورة لا من حيث نقل البريد من الهند واليها وحسب ، بل ومن حيث الاغراض التجارية عامة . وللسبب المذكور كانت الكويت ذات اهمية بالنسبة لمركز الشركة في البصرة . وبعد حوالي ٤ شهور من مهاجمة الفرس للبصرة، بدأ البريد ينقل عبر الطريق الصحراوي من الكويت (٢) وقد درجت الشركة على ارسال « بريدها السريع » من الزبير عن طريق الرسل . وما ان وقع الاختيار على الكويت كمركز لنقل البريد ، حتى تم الحصول على نقالين له من هناك . ولا يبدو على اي حال ان خطة نقل البريد كانت فعالة منذ البداية ربما لعدم وجود ممثل للشركة في الكويت . ولكي يتم وصول البريد الى الكويت في موعده ، كما يتم توزيع البريد الآخر بسرعة ، تقرر تعيين رئيس مدني للشركة في الميناء . ولما لم يكن في البصرة في شهر يوليو ١٧٧٦ من يتولى هذه المهمة فقد عهد المستر لا توش الى اللفتنانت توس ، ربان البارجة (*Gerridle*) بأن يتولى ذلك بعد ان تم اعداد الترتيبات اللازمة (٣) . هذا ولم تتوقف عمليات نقل البريد البري عن طريق الكويت خلال الاحتلال الفارسي للبصرة (٤) .

---

(١) وقع الهجوم على الزبير من جانب الفرس في بداية ١٧٧٨ وكان هجوماً مدمراً وعند وصول الكولونيل كابر (*Colonel Capper*) إلى الزبير في طريقه من حلب إلى البصرة يوم ١٧ ديسمبر ١٧٧٨ وجد المدينة أنقاضاً " ملاحظات عن الطريق إلى الهند عن طريق مصر وعبر الصحراء الكبرى " ملاحظات عابرة عن الاقطار المجاورة وخرائط للطرق المختلفة (لندن ١٧٨٤) ص ٨١ / ٨٣ . .

(٢) لعل الخطاب المؤرخ ١٥ يوليو ١٧٧٥ من المستر مور وزملائه إلى لندن هو اول خطاب ارسل بالطريق الصحراوي عبر الكويت .

(٣) للاطلاع على معلومات عن الطريق إلى حلب في القرن الثامن عشر راجع الفصل ا السادس .

(٤) راجع خطاب لاتوش إلى مجلس الادارة بتاريخ ٣ / ٧ / ١٧٧٦ .

ويبدو ان مسألة الكويت قد حلت مشكلة شركة الهند الشرقية الانجليزية في تصدير بضائعها الى اسواق الشرق الاوسط ، ويكشف مضمون الخطاب الذي تلقاه المستر لا توش في البصرة من القنصل البريطاني في حلب بتاريخ ١١ يونيو ١٧٧٦ جوانب كثيرة عن الحالة في الكويت وعن التجارة البريطانية في المنطقة عموما . واستنادا الى الخطاب المذكور بعث المستر لا توش بخطاب بتاريخ ٢٤ يوليو ١٧٧٦ الى مجلس الادارة يقول فيه :

« في خطاب بتاريخ ١١ يونيو بعث به الينا القنصل البريطاني في حلب ، تضاف الفقرة التالية :

« لا يزال الطلب على منتجات الهند وسوريا قائما في العواصم وقد علمت عن وصول سفينتين تجاريتين وصلتا من تلك الاقطار . فاذا امكن المحافظة على سياسة الحياد التي تسير عليها حكومة القرين فسوف يكون في وسع القوافل التجارية ان تزورها وتغادرها . وبما ان فقدان البصرة قد يؤدي الى استمرار حالة الحرب فان هذه البلاد سوف يهجرها اهلها ما لم يتمكن التجار من ايجاد مخرج لمواصلة اعمالهم التجارية في مناطق قريبة منها . ويبدو ان القرين منطقة صالحة لهذا الغرض ويمكنها ان تحل محل (الزبير) شريطة ان تبقى محتفظة باستقلالها اذ لو استولى عليها الفرس فانها ستشكل خطرا على التجار الذين يأتون ببضائعهم منها . وقد يمنع الباب العالي حتى الاوروبيين من دخولها لذا فانه من مصلحة التجار في منطقتكم العمل على بقاء القرين في يد حكام بني خالد ومستقلة عن الفرس (١) » .

« انني ادرك تماما ان فتح طريق المواصلات مع حلب ، وحتى مع بغداد

---

(١) إن هجرة التجار من البصرة إلى الزبارة ، وربما إلى غيرها من الاجزاء في المنطقة ، قد تم خلال وفي اعقاب الهجوم الفارسي انظر " نبذة عن تاريخ قبائل العتوب العربية الخ " ص٣٦٣ حيث يذكر المؤلف أن أحد شيوخ الكويت هاجر إلى الزبارة بمعينة اولئك التجار راجع ايضاً " جزيرة العرب " في القرن العشرين " تأليف حافظ وهبه .

عن طريق القرين اذا كانت هذه الخطوة عملية ، فذلك امر مرغوب فيه الى اقصى حد ، سيما وانه قد يسهل توزيع الكميات الكبيرة من السلع الواردة من البنغال وسورت والمتجمعة الآن في بومباي بين تجار البصرة . ان القرين لا تزال بعيدة عن متناول الفرس . وليس من المتوقع على اي حال ان يحاول التجار ارسال بضائع عبر الصحراء قبل ان تهدأ الامور (١) . »

وقبل مضي وقت طويل كانت تنبؤات القنصل البريطاني قد تحققت فقد ظلت الكويت بعيدة عن متناول الفرس كما ظلت القوافل تنطلق منها بحمولاتها من البضائع الى بغداد وحلب . على ان هذه القوافل لم تكن آمنة في الصحراء حيت تتعرض لهجمات القبائل العربية بتحريض من جانب الفرس في البصرة . ومن الامثلة على ذلك الهجوم الذي قام به الشيخ تامر زعيم قبائل المنتفك على بعض القوافل التي غادرت الكويت الى بغداد ١٧٧٧ . وكان تامر قد اعترف بسيادة الفرس على المنطقة ، وكان يتلقى التشجيع منهم . وعلى كل فقد هاجم بنو خالد قبائل المنتفك ، وأمكن للقافلة ان تشق طريقها (٢) ولكي تصل القوافل سالمة الى الكويت ، فقد كان عليها احيانا ان تغير طريقها عبر الصحراء من بغداد . وقد وصلت كمية كبيرة من السلع التي كانت قد تخلفت فترة من الوقت في مسقط وابو شهر وذلك ضمن قافلة كبيرة خرجت من الكويت(٣)

وفي آخريات عام ١٧٧٧ ، كانت التجارة الانجليزية في العراق وفارس تعاني كثيرا من المتاعب من جراء القيود التي كانت تفرضها حكومة ابو شهر والبصرة على مراكز الشركة البريطانية .

(١) خطاب من لاتوش في البصرة إلى مجلس الادارة في لندن خطاب بتاريخ ٢٤ / ٦ / ١٧٧٦ ولا ينبغي أن يفهم من خطاب المستر لاتوش ان هذه القوافل لم تبدأ رحلاتها من الكويت إلى حلب قبل ١٧٧٦ ، إذ إنه في عام ١٧٧٥ حاول ايفيز السفر عن هذا الطريق ..

(٢) خطاب من لاتوش وابراهام إلى مجلس ادارة الشركة بتاريخ ١٠ / ٤ / ١٧٧٧ .

(٣) نفس المصدر .

وقد جاء في رسالة بعث بها المستر لاتوش وزميله ابراهام ما معناه : « اننا في ابو شهر لانقل عرضة للاضطهاد منا في البصرة . فالشيوخ في كل من البلدين يتدخلون كثيرا في الامور التجارية ، كما ان التجار القلائل ممن لهم ممتلكات هنا لا يفتأون يضجون بالشكوى من انهم لا يحققون شيئا من الارباح من اعمالهم التجارية في البصرة بسبب اوضاعها السيئة هذا على الرغم من انها كانت افضل بكثير من الناحية التجارية عن ابو شهر (١) .

من هنا اخذ ممثلو الشركة في البصرة يبحثون لهم عن مكان آخر ينقلون مركزهم اليه . وكانوا قد فكروا في الكويت لمكان بديل ، الا انهم كانوا يخشون ان يلاقوا نفس المصير الذي لاقاه مركزهم في كل من ابو شهر والبصرة كما كانوا يخشون :

« ان يثير وجودهم في الكويت الفرس عليهم ، خصوصا وأنهم كانوا يخشون من حسد الفرس ، وبالتالي وضع ما يمكن من العراقيل في طريقهم (٢) بقيت جزيرة خارج باعتبارها المكان المأمون الوحيد ، للشركة وكان من رأي رجال الشركة ان جزيرة خارج هي افضل المناطق لنقل المركز حيث انها قد تكون اقل عرضة للمشاكل والمضاعفات (٣) .

وبعد ذلك في وقت قصير اي في يوم ١١ نوفمبر ١٧٧٧ وصلت السفينة « ايجل » التابعة للشركة الانجليزية . في زيارة للكويت . لفحص الموقع ووضع تقرير عنه (٤) وقد جاء في التقرير ان الميناء يصلح للرسو ، وان بالبلدة سورا صغيرا اقيم لحمايتها .

« كما انه يصلح كمكان لتجمع القوافل المتجهة الى حلب وبغداد في مأمن من اعتداءات الفرس عليها » .

---

(١) خطاب من لاتوش وابراهام إلى مجلس الادارة بتاريخ ١٠ / ٨ / ١٧٧٧ .
(٢) نفس المصدر. (٣) نفس المصدر .
(٤) خطاب من لاتوش وابراهام بتاريخ ١٤ / ١ / ١٧٧٨ .

ويستطرد ممثلو الشركة في تقريرهم فيقولون :

« كذلك يمكن للكويت في المستقبل ان تأوي السفن التي تضطر الى التوجه الى البصرة للحصول على مرشدين للنهر اذا ما اغلق ميناء ابو شهر في وجههم او اذا استمر الشيخ هناك في فرض قيوده بالنسبة للمرشدين الذين تحتاج اليهم طرادات سموكم ، او كما ابلغنا سيادة الرئيس والمجلس بخطابنا المؤرخ ٢٤ ديسمبر والمرسل عن طريق السفينة « انجل » انهم اذا ما فكروا ان يبعثوا الينا في اي وقت بخطاب خاص لسموكم فيمكنهم ارساله مباشرة الى القرين بطريق البحر . ومنها يقوم القبطان بارساله عبر الطريق البري ، وعلى الاخص اذا كانت الاحوال الجوية ملائمة . فان مثل هذا الخطاب يمكن ان يصل في وقت اسرع مما هو ممكن في الوقت الحاضر (١) .

وقد كان ناقلو البريد يقطعون المسافة بين الكويت والبصرة في ثلاثة ايام بينما كانت السفن في فترات هبوب الرياح الشمالية الغربية تقطع المسافة بين الكويت والبصرة في اكثر من عشرين يوما (٢) .

وهكذا اصبح للكويت اهمية بالغة بالنسبة الى نقل البريد الصحراوي ، كما كانت عاملا مساعدا في ايصال السلع الهندية الى اسواق الشرق الاوسط واوربا وعلى كل حال ، فان البريطانيين لم ينشئوا لهم مركزا تجاريا فيها الا بعد ١٥ عاما من ذلك التاريخ اي في ١٧٩٣ ، عندما تم نقل مركز البصرة التجاري الى الكويت .

وكنتيجة للوضع المؤلم الذي آلت اليه البصرة والزبير ، وبسبب السياسة الحكيمة التي انتهجها عبدالله آل صباح بين النزاعات القائمة ، ظلت الكويت تشق طريقها الى التطور والازدهار دون ان يعوقها عائق عن هذه الغاية ، كما ظلت العلاقة ودية بين عاهلها وشركة الهند الشرقية الانجليزية ،وكان عاهل

---

(١) نفس المصدر .
(٢) نفس المصدر

الكويت من الزعماء الذين يتلقون هدايا من الشركة (١) . وعلى اي حال فقد تعرضت هذه العلاقات لهزات كادت أن تؤدي الى نهاية فاجعة لولا حكمة رجال الشركة في البصرة .

وما ان وردت انباء تفيد ان مسئولا فرنسيا قد وصل الى الكويت ونزل ضيفا على حاكمها الشيخ عبدالله الصباح . حتى بادر ابراهام أحد اعضاء هيئة الشركة في البصرة الى التوجه من المحمرة الى الكويت التي وصلها في مدة لا تتجاوز ٢٤ ساعة على ظهر السفينة « ايجل » التابعة للشركة (٢) .

وكان المسئول الفرنسي يحمل خطابات سرية الى الفرنسيين في بوندي شيري وموريشيس وكان مسافرا من حلب الى الخليج العربي عندما اعترضته جماعة من البدو وهو في الصحراء على مسيرة ١٥ يوما من البصرة . وبعد ان اصاب دي بورج احد رجال القبيلة اصيب هو الآخر بجرح بالغ في رأسه من ضربة سيف . وعلى أي حال فقد استطاع النجاة بحياتهبالاستنجاد بزعيم القبيلة المهاجمة وطلب حمايته . وقد تعهد بدفع ما يعادل مائة جنيه استرليني مقابل ايصاله الى الكويت سالما وقد تمكن دي بورج من اقتراضه هذا المبلغ من احد الارمن المقيمين هناك (٣) . ومن هناك كتب الى المسيو روسو ، قنصل فرنسا في البصرة يطلب عمل الترتيبات اللازمة لسفره الى بوندي شيري ويبدو ان القنصل قد رفض او تلكأ في اجابة طلب الكابتن دي بورج ، مما ادى الى وقوع

---

(١) لقد أدى التعاون بين رؤساء الشركة والمعتمدين إلى حل المشاكل التي كانت تطرأ ففي ١٧٨ طلب إلى رئيس الشركة التدخل في مشكلة نشأت بين والي البصرة والكويتبسبب لجوء السيد توريني إلى الكويت ويرجع هذا إلى الصداقة التي كانت تربط الرئيس بمركز الشركة هناك .

(٢) بريدجز في كتابه " الوهابي " ص ١٧١ - ١٧٤ يقدم معلومات مفصلة عن هذا الحادث وهو يستشهد بذلك في بماكتبه الكابتن كابر عن الحادث فقد التقى المذكور بالكابتن دي بورج في مسقط عندما كان الاخير في طريق عودته إلى فرنسا عن طريق البصرة ونفس القصة وردت مفصلة في خطاب ابراهام إلى مجلس إدارة الشركة الذي بعث به من الكويت بتاريخ ٧ / ١١ / ١٧٧٨ .

(٣) كان التجار الارمن متركزين في موانىء الخليج ومسقط في القرن الثامن عشر .

الخطاب في ايدي احد العرب الذي سلمه بدوره الى مركز الشركة البريطانية في البصرة (١) . ومن هذا الخطاب علم موظفا الشركة بوجود الكابتن دي بورج في الكويت (٢) .

وقد ادى هذا الى ظهور مشكلة معقدة . فقد وصلت معلومات الى مركز البصرة تفيد (٣) بنشوب الحرب بين فرنسا وبريطانيا الأمر الذي اضطر المسئولين البريطانيين الى اعتقال كافة المبعوثين الفرنسيين الذين كانوا في الخارج (٤) ومن ناحية اخرى لم يكن في وسع المستر لا توش المقيم البريطاني اتخاذ اي اجراء ضد الكابتن دي بورج على اساس الاشاعات وحدها لان مثل هذا الاجراء قد يعرضه لعواقب وخيمة وكانت العقبة الرئيسية هي موقف عبدالله الصباح الذي كان يعارض القبض على دي بورج . فبالرغم من صداقته لبريطانيا ، فقد رفض الشيخ ان يسمح باعتقال شخص ينزل في ضيافته ولكن هذه المعارضة سحبت على ما يبدو ، بعد ان اتهم الكابتن دي بورج بأنه كان يزاول الاحتيال (٥) . وقد ارسلت الوثائق التي عثر عليها عند الكابتن دي بورج الى السفينة « ايجل » (٦) كما ارسل هو نفسه الى بومباي كاسير حرب وقد شرح المستر لاتوش ظروف هذه الحادثة في رسالة بعث بها الى مجلس

(١) ربما للحصول على نقود مقابل هذه المعلومات .

(٢) أنظر كتاب بريدجز ص ١٧٥ .

(٣) لعل الكابتن دي بورج قد لمح إلى هذه الحرب بعد وصوله إلى الكويت. راجع خطاب ابراهام الصادر في الكويت في ٧ / ١١ / ١٨٨٧ إلى مجلس الادارة .

(٤) نفس المصدر .

(٥) لا يكشف المستر ابراهام عن الطريقة التي استطاع بها كسب الشيخ إلى جانبه راجع نفس المصدر وانظر كذلك كتاب " الوهابي " لبريدجز .

(٦) تعذر حل شفرة التقرير ، لان الكابتن دي بورج أتلف الشيفره ومع ذلك فقد انكشف الكثير عن الخطط الفرنسية . للاطلاع على التفاصيل الكاملة لتقرير المستر ابراهام عن اعتقال الكابتن دي بورج وتفاصيل مذكراته ورسائله راجع الملحق ص ١٨٧ — ١٨٨ .

الادارة جاء فيها (١) .

« لقد كنا نقدر سلفا خطورة الاجراء الذي كلفنا به للاستيلاء على البريد الفرنسي غير اننا كنا نصنع واجبنا نحو بلدنا في هذه المرحلة الحرجة كما لم يساورنا اي شك في ان هذا الحادث يمكن ان يتمخض عن نتائج بالغة الخطورة بالنسبة لمصالحكم في الهند ، وبالتالي فاننا لم نكتف بارسال المعلومات الخاصة بالحرب الى السادة رؤسائنا (٢) فحسب بل كشفنا ايضا ايضا عن نوايا الحكومة الفرنسية تجاه الهند (٣) » .

بينما كان الكولونيل جيمس كبار (*Colonel James Capper*) مسافرا الى الهند عن طريق الخليج العربي بتاريخ ٢٤ يناير ١٧٧٩ ، التقى بالكابتن دي بور في مسقط . وكان الاخير في طريق عودته الى اوربا . بعد ان اطلق سراحه بموجب اوامر صدرت من حاكم بومباي ، وسمح له بالعودة

---

(١) إن رأي السير هارفورد جونز بريدجز في الشيخ عبد الله الصباح يثير الاهتمام فلقد رفض الشيخ تسليم ضيفه الكابتن دي بورج إلى المستر ابراهام كما رفض الهدايا والرشوات التي قدمها رجال الشركة في البصرة (راجع كتابه " الوهابي " ص ١٧٥ – ١٧٦) ويعلق بريدجز على مسلك الشيخ بقوله." إن إيمان الشيخ بالعدالة ، لا طمعه في المال ، هو الذي أملى عليه أن يتصرف بالطريقة التي تصرف بها." راجع نفس المصدر ص ١٧٦)

(٢) يعتقد المستر لاتوش بأن مركز البصرة هو أول مركز يبعث بالانباء الخاصة بأعلان الحرب بين فرنسا وانجلترا بعد اعتقال الكابتن دي بورج.، إلا أن هذه الانباء قد وصلت في الحقيقة قبل ذلك عن طريق السويس والبحر الاحمر ، راجع كتاب " الطريق البري إلى الهند " تأليف هولدن فوربر (*Holden Furber*) ص ١٢٥

(٣) في نفس الخطاب يشير المستر ابراهام ولاتوش." اننا جديرون بأن نهنىء أنفسنا على النجاح الذي حققناه في الحصول على هذه المعلومات . ولو أن لاتوش لم يبعث بوفد خاص إلى الكويت لتمكن المسيو دي بورج من الهرب حيث انه كان ينوي مغادرة الكويت في الليلة التالية على وصول المستر ابراهام ، ولتمكن من ذلك لو لم يفاجئه المستر ابراهام بوصوله إلى الكويت .

هذه هي تقاليد العرب بالنسبة لاصول الضيافة ومقتضياتها . فقد كان في حكم المستحيل في ظل تلك الاعتبارات أن يوافق الشيخ على فكرة اعتقال دي بورج في ظل تلك الظروف " من خطاب لاتوش وابراهام إلى مجلس الادارة ، بدون تاريخ عام ١٧٧٨ .

الى فرنسا عن الطريق الصحراوي . وقد تناول كابر في ملاحظاته « قصة دي بور ورجال الشركة في البصرة (١) » .

لقد اضفت الحرب بين فرنسا وانجلترا اهمية خاصة على الكويت والزبارة فقد بعثت الحكومة الفرنسية باسطول قوي الى مياه الخليج لاعتراض بريد شركة الهند ومهاجمة سفنها . غير ان هذا الاسطول اخذ يهاجم سفن دول اخرى متذرعا بنفس الاسباب (٢) . ولهذا رأت الشركة ان نقل البريد بالسفن العربية كان اكثر أمنا . وهكذا استفاد كل من الكويت والزبارة من عملية نقل الركاب عن طريق الخليج وكذلك عبر الطريق الصحراوي من مسقط الى حلب ، اللتين كانتا تستخدمان كمحطة للركاب والرسل (٣) .

على ان تحول النشاط التجاري من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية للخليج لم يرض الاوساط التجارية في الغرب . وقد سبق ان اشرنا الى ان نقل شركة الهند الشرقية الانجليزية لنشاطها من البصرة وتفضيلها على بندررق ، وابو شهر ، وبندر عباس (٤) كان السبب في مهاجمة الفرس للبصرة ، كما لاحظنا ان الفرس يعتمدون على العرب في عملياتهم البحرية (٥) وبوفاة كريم خان ١٧٧٩ ، وانعدام وجود قوة سياسية ذات نفوذ في الخليج ، انفسح

---

(١) وصل الكابتن دي بورج إلى البصرة قادماً من بومباي على ظهر السفينة " سكستس " بعد أن تعهد للسلطات هناك بعدم المجيء إلى الهند مرة أخرى . خطاب من لاتوش وابراهام " مركز البصرة " إلى مجلس الادارة بتاريخ ٢٣ / ٢ / ١٧٧٩ .

(٢) خطاب صادر من البصرة بتاريخ ٢٠ / ٥ / ١٧٦١ من المستر لاتوش إلى مجلس الادارة .

(٣) خطاب مؤرخ ٣١ / ١٠ / ١٧٧٨ صادر من المستر لاتوش والمستر ابراهام مجلس إلى الادارة في " نهاية شهر سبتمبر عام ١٧٧٨ " وصل الكويت قادماً من حلب الماركيز الفرنسي دي كاليرن ، وكان يعتزم السفر إلى الزبارة ومنها إلى مسقط عن طريق البحر . ويبدو انه من الضباط الفرنسيين الذين يعملون في بوندي شيري . راجع نفس المصدر .

(٤) راجع ص ٩٢

(٥) راجع ص ٩٣ .

المجال للزعماء العرب لكي ينتهجوا سياسة مستقلة . ويمكن ان نعتبر هذه الحقبة بداية لافول نجم النفوذ الفارسي في الخليج وفي نفس الفترة تقريبـــا اكتسب الخليج (اهمية ا كبر) على اثر صدور اوامر من الباب العالي تحظر على السفن التابعة للمسيحيين ارتياد موانيء السويس (١) » وبهذا القرار زادت اهمية موانيء الخليج كممر للبضائع التي كانت ترد من الهند والشرق الاقصى في طريقها الى حلب والقسطنطينية) ومما لا شك فيه في ان الكويت استفادت هي الاخرى من هذا الوضع .

اما في الجنوب حيث الموطن الثاني للعتوب ، فقد وصل الازدهار الى درجة جعل جيرانها يتحفزون للانقضاض عليها في اي لحظة ، حسدا مما حققته من تقدم وازدهار لنفسها (٢) . وهكذا اخذ ناصر شيخ ابوشهر ، الذي كان يسيطر على البحرين كذلك يعد العدة للهجوم على الزبارة . ومن ناحية اخرى يبدو ان النزاع القديم بين عتوب الكويت وبني كعب قد تجدد. وبحكم تحالف شيخ بندررق مع بني كعب وشيخ ابو شهر فقد كان الجميع على اتم استعداد للانضمام الى بقية الاطراف المناوئة للعتوب وشن هجوم مشترك على مدنهم . وعلى اي حال فان العتوب في سنة ١٧٧٩ كانوا قد انتهوا من بناء اسطول مسلح يستطيع صد اي عدوان يقع على دولهم (٤) . وفي عام ١٧٨٠ اشتبك عتوب الكويت والزبارة في حرب مع بني كعب (٥) . وعلى الرغم من ان

(١) أنظر حاشية كتاب لو ص ١٧١ مجلد ١ .

(٢) راجع دانفرز (*Danvers*) ص ٤٤ والفصل السادس ص ١٧٤ .

(٣) راجع مقتطفات من ارشيف حكومة بومباي مجلد ٢٥ ص ٣٦٤ .

(٤) في خطاب بعث به المستر لاتوش والمستر ابراهام إلى مجلس الادارة من فرعها في البصرة بتاريخ ١٢ / ١٠ / ١٧٧٩ ، طلب إلى شيخ الكويت بأن يرسل على ظهر إحدى سفنه اثنين من الانجليز كانا قادمين من لندن في طريقهما إلى مسقط إلا أنه رفض الطلب ، لأنه كان يتوقع هجوماً من بني كعب يومئذ .

(٥) لوريمر في " التقويم الجغرافي للخليج مجلد ١ ص ١٠٠٣ ..

ظروف تلك الحرب لم تعرف ، فمن الواضح ان العداوة التي بدأت بين العتوب وبني كعب في اوائل عام ١٧٦٠ استمرت قائمة بينهما (١) .

وكان من المفروض ان ينضم العتوب الى باشا بغداد في الحرب التي اثارها المذكور ضد بني كعب في اخريات سنة ١٧٨٠ (٢) ، غير ان العداء بين العتوب وبني كعب لم يؤثر على نجاح العتوب بقدر ما اثر عليهم استيلاء الفرنسيين على احدى السفن التابعة لمسقط في سنة ١٧٨١ وقد قدر ثمن حمولة السفينة المذكورة بما لا يقل عن ثمانمائة الف روبية » وزعت حصيلتها على تجار البصرة والقطيف (٣) . ولقد حاولت السفينتان الفرنسيتان ، خلال هجومهما على بعض السفن المبحرة في الخليج اعتراض سفن البريد البريطاني ايضا (٤) .

وعلى أي حال ، فان التهديد الحقيقي لمركز العتوب لم يأت من جانب الفرنسيين وانما من بني كعب وحلفائهم ، عرب ابو شهر وبندررق . ولسنا بحاجة الى تقصي هذا التهديد خلال الفترة التي سبقت ١٧٨٠ ، ويكفي ان نقول : « بان العتوب في ذلك الوقت كانوا يتوقعون هجوماً عليهم من عرب ساحل الخليج » . وتوقعاً لهذا الخطر قام العتوب في الزبارة والكويت بوضع اسطولهم في حالة الاستعداد ، ولعل العداء بن العثمانيين والعتوب يومئذ قد ادى الى تأجيل ذلك الهجوم وربما كانت المساعدة التي قدمها بنو كعب للفرس خلال هجومهم على البصرة في ١٧٧٥ من أسباب العداء بن الطرفين ومن هنا لم يكن بنو كعب على وفاق مع والي البصرة ، او مع العتوب .

---

(١) نفس المصدر .

(٢) أنظر خطاب من.لاتوش إلى مجلس الادارة بتاريخ ٢٥ / ٤ / ١٧٨٢ .

(٣) نفس المصدر خطاب بتاريخ ١٢ / ١٠ / ١٧٨١ .

(٤) نفس المصدر خطاب بتاريخ ٢٠ / ٧ / ١٧٨١ كان الهجوم على سفن حكومة مسقط وغيرها دليلا واضحاً على أن الفرنسيين كانوا يعلمون بأن البريد الانجليزي ينقل على سفن غير انجليزية .

ومن ناحية أخرى كانت العلاقة بين والي البصرة والعتوب، على خير ما يرام بحيث كانا على اتم استعداد للانضمام اليه لو اراد حرباً مع بني كعب . او انهم ، كما كانوا يصرحون ، سوف ينتظرون إلى ان يتخذ الوالي قراراً في هذاالشأن . الا انهم على وجه العموم كانوا على اتم الاستعداد لخوض المعركة معه (١) .

لقد تضافرت عوامل كثيرة على العتوب جعلتهم يهتمون بانشاء قوة بحرية خاصة لهم . فلقد كان العتوب من امهر رجال التجارة وكانوا كلما توسعوا في اعمالهم التجارية اضافوا وحدات جديدة الى اسطولهم ، واذ كنا لا نعلم علم اليقين عن حجم تجارة العتوب ، ومدى ما وصلت اليه من تقدم ، الا ان من المؤكد انهذه التجارة قد تطورت كثيراً بعد حصار الفرس للبصرة واحتلالها في ١٧٧٥ — ١٧٧٩ . كما ان الاطراد في نمو عدد السفن التجارية كان يصاحبه شراء او بناء سفن حربية اخرى لحماية الاسطول التجاري . وكانت وفاة كريم خان من الاسباب التي ادت الى اتخاذ مثل هذه الاحتياطات والواضح ان قراصنة رأس الخيمة ومسقط كانوا يخشون كريم خان الذي كان يطاردهم باستمرار ، ويحاول القضاءعلى اعمال السلب والنهب التي كانوا يمارسونها في المنطقة . وبعد وفاة كريم خان نشبت حرب بين عرب القواسيم وبين مسقط . وقد اخذت السفن العربية التي تستخدم طريق الخليج تتعرض لغارات مستمرة بينما كانت الدول البحرية الواقعة على الخليج في خصام مع

---

(١) يتحدث المستر لاتوش في خطاب له من البصرة بتاريخ ٢٥ / ٤ / ١٧٨٢.، عن وجود " سفينتين تركيتين في الكويت " كان من المتوقع أن تبحرا إلى البصرة " تحت حراسة السفن الكويتية ولما كان الباشا في حرب مع بني كعب فان الاستنتاج الوحيد الذي يمكن أن نخرج به من ذلك هو أن الاسطول الكويتي قد أصبح في وضع يسمح له بتحدي بني كعب ويتضح هذا من ارسال بعض سفن هذا الاسطول لحراسة المراكب المتجهة إلى البصرة . وكان الشيخ عبد الله الصباح في ١٧٨٠ يعد من الزعماء اصحاب الحول والطول ولهذا السبب عرضت عليه شركة الهند الشرقية الانجليزية هدايا . لأنه كان يستطيع لو شاء أن يعرقل تجارة الشركة وبريدها في المنطقة .. .

بعضها البعض (١) .

« كذلك عبدالله شيخ هرمز فقد كان هو الآخر على خصام مع اهل خارج، بينما كان شيخ الحرم في خصام مع اهل الجمعية ، كذلك لم يكن العتوب في الزبارة والقرين (الكويت) على وفاق مع بني كعب (٢) » .

وهكذا شجع غياب دولة قوية كبرى في الخليج ، الدول البحرية الواقعة على جانبي الساحل على التناحر فيما بينها بتأثير ما كان بينهما من الحزازات القديمة والجديدة .

ومن الامثلة على ذلك ، الخصومة التقليدية بين العتوب (٣) وبني كعب كنتيجة لتحالف العتوب مع عرب ابو شهر وبندررق اثناء حصار الفرس للبصرة وقد انعكس الصراع الذي ظهرت بوادره في سنة ١٧٧٩ على مناطق النفوذ بين العتوب وعرب الساحل الفارسي ، في مشكلة البحرين (٤) . ثم وانتهى بسيطرة العتوب على تلك الجزر وانهيار سلطان ابو شهر ، وبالتالي سلطان ملوك الفرس .

ويثير احتلال العتوب لجزر البحرين تساؤلات عديدة كلها تتطلب الاجابة سواء من المصادر التي عاصرت ذلك الانتصار او التي عاشت بعد هذه الفترة

---

(١) يقول واردن في معرض تعليقه على نشاط القواسم في أعقاب وفاة كريم خان : أخذ أسطول رأس الخيمة ، كنتيجة لانهيار سيطرة الفرس على الخليج ، وهو الاسطول الذي كان يقوم بدوريات مستمرة في المنطقة ، على تحريض رؤساء القبائل على ارسال قوارب مسلحة يقودها بعض الملاحين الخارجين على القانون للقيام بأعمال السلب والنهب والقرصنة في المنطقة . وقد كانت هذه الاوضاع نتيجة للحرب التي نشبت بين رأس الخيمة ومسقط ." راجع ص ٣٠١ مجلد ٢٤ من مقتطفات " وثائق حكومة بومباي "

(٢) نفس المصدر .

(٣) راجع ص ٩٦ من الكتاب ..

(٤) يقول لوريمر في " التقويم الجغرافي الخليج " مجلد ١ ص ٨٣٩ " ان كريم خان زند ، اعتمد الشيخ ناصر حاكم المحمرة لاخضاع الزبارة في تلك السنة .

وأول هذه الاسئلة من هم الذين استولوا على البحرين أولاً ؟ هل هم عتــوب الكويت ام عتوب الزبارة ؟ اما السؤال الثاني فهو متى احتل العتوب البحرين وهناك اسئلة اخرى تتناول هذا الاحتلال والاسباب التي ادت اليه .

اما بالنسبة للسؤال الاول فتختلف الروايات المحلية والمصادر المعاصرة لذلك الاحتلال فبينما يقول آل خليفة نقلا عن مصادرهم المحلية ، ان عتوب الزبارة وهم آل خليفة وانصارهم يمثلون القوة الوحيدة التي استولت على البحرين (١) تقول البيانات المستقاة من تقارير مركز الشركة في البصرة وغيرها ممن تعتمد معلوماتها على نفس التقارير ، ان عتوب الكويت هم اول من احتل (٢) جزر البحرين . وما من شك على الاطلاق في ان المصادر المعاصرة هي الاصح لانها بالاضافة الى تحليلها للاحداث ، فهي قد افاضت في الحديث عن هذه المعركة ، وجاءت بمعلومات لم تهتد اليها المصادر المحلية .

اما عن عملية الاحتلال نفسها (٣) ،فان المعلومات المتوفرة لا تتفق على رأي موحد رغم انها ترجع بوجه عام ان احتلال الجزر وانتقال السلطة من الشيخ ناصر حاكم ابو شهر الى آل خليفة حكام الزبارةقد تمفي سنة ١٧٨٣ (٤)

(١) علم المؤلف بهذه الحادثة من الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة في شهر يوليو ١٩٥٩ ويذكر النبهاني في " التحفة " تحت باب " تاريخ البحرين " ص ١٢٣ — ١٢٥ ان آل خليفة وأهل الزبارة هم الوحيدون الذين هاجموا البحرين وهو لا يشير بهذه المناسبة إلى اشتراك عتوب الكويت ، بل ولا حتى الجلاهمة في المعارك المذكورة .

(٢) راجع رسالة لاتواش " المقيم البريطاني في البصرة " إلى مجلس الادارة بتاريخ ٤ / ١١ / ١٧٨٢ كذلك " التقويم الجغرافي للخليج " مجلد ١ ص ٨٣٩ و١٠٠٣ و " نبذة من تاريخ قبائل العتوب العربية . . . الخ " .

(٣) في محاولة الدكتور عباس فاروغ لاضفاء صفة الشرعية على مطالبة ايران بالبحرين ، في كتابه " جزر البحرين " (٧٥٠ — ١٩٥١) (طبعة نيويورك عام ١٩٥١) ص ٧٠ — ٧١ " إن آل خليفة أقنعوا شيخ ابو شهر ، الذي كان يمارس السلطة على البحرين ، بأن يؤجرهم الجزيرة وإذا صح العرض على الاطلاق ربما يكون قد تم في ١٧٧٠ . أما الكابتن تايلور فيقول أن العتوب اخضعوا البحرين لسلطانهم في ١١٩٤ — ١٧٧٩ .

(٤) التقويم الجغرافي مخليج ص.٨٣٩ مجلد ١ لوريمر ..

وعلى اي حال فبعد استتباب الحكم لآل خليفة في الزبارة ١٧٦٦ ، وكنتيجة للنمو السريع في قوة العتوب البحرية لا بد ان تكون سفن الصيد والسفن التجارية التابعة لهم قد استخدمت ميناء البحرين في رحلاتها اي قبل وقوع الجزر في ايديهم (١) . ومع هذا فهناك وثيقة ضمن ارشيف شركة الهند الشرقية بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٧٨٢ ، تنص صراحة على « ان العتوب قد استولوا اخيرا على البحرين وانهم نهبوها » وبالتالي فان هذه الوثيقة تزيل كل شك من ان احتلال قد تم قبل عام ١٧٨٣ . ويبدو ان هذا الحادث ان هو الا حلقة في سلسلة من هجمات عديدة شنت على البحرين قبل عام ١٧٨٢ (٢) . وعلى كل فان رأي المقيم المستر لاتوش يعتبر رأياً حاسماً ولا يدع اي مجال للشك . يشير بأن حاكم ابو شهر في الوقت الذي كان يقوم باعداد حملة انتقامية ضد دولتي العتوب في الكويت والزبارة (٣) . كان يحاول الوصول الى اتفاق مع العتوب .

ومن المؤكد ان العتوب لم يكونوا على وفاق مع بني كعب ، وعرب بندررق وابو شهر بسبب المنافسة التجارية في الخليج ، او بسبب احتقار العتوب لبني كعب وحلفائهم بسبب زواجهم من غير العرب ، او لعله بسبب الخلاف المذهبي بين الشيعة والسنة ، او لكل هذه الاسباب مجتمعة . والحق ان العتوب كانوا يعطون دائما ، تحسباً لاي هجوم قد يقع عليهم من الجانب الآخر لساحل الخليج ، خاصة بعد احتلال الفرس للبصرة ١٧٧٦ .

وعلى اي حال ، فان توسع العتوب في البحرين ينبغي ان يؤخذ كظاهرة طبيعية ، فالدولة التي أنشأها العتوب في الزبارة ، والتي اخذت تتطور بسرعة

---

(١) راجع تقرير سلدهانا الذي يتناول ١٧٨٠ ولا يشير إلى ١٧٨٢ .

(٢) راجع مجموعة حكومة بومباي ص ٣٦٤ — ٣٦٥ .

(٣) راجع تقرير رقم ١٢٣٠ مجلد ١٧ من وثائق الحكومة .

(٤) نفس المصدر .

الى مدينة حصينة ومسورة (١) لم تكن لتلبي احتياجات مجتمع العتوب ، الذي اخذ تعداد نفوسه يتضاعف بعد انضمام مجموعات جديدة اليه وصلت من نجد (٢) ، املا في الحصول على نصيبها من الزرع والماء . ولم يفكر العتوب في توسيع رقعة نفوذهم ضمن الجزء الداخلي من شبه الجزيرة العربية ، لأنهم كانوا متحالفين مع بني خالد وأتباعاً لهم . كما لم تكن الحرب ضد العرب في الداخل عملية سهلة . كما كان في مقدور العتوب من ناحية اخرى تحدي القوة البحرية الاخرى في المنطقة بفضل ما كان لديهم من السفن والدفاع عن جزيرة البحرين في نفس الوقت . ولعل ادراكهم المبكر للخطر الوهابي على نفوذهم هو الذي اضطرهم الى احتلال البحرين . ومن المعروف ان الشيخ خليفة . شيخ الزبارة كان من المعادين للوهابيين (٣) ولعل مغاصات اللؤلؤ ومزارع النخيل التي تحفل بها البحرين هي التي جعلت الكثيرين يتنافسون بل ويحاولون الاستيلاء عليها .

ومهما يكن فان الظروف في الخليج سنة ١٧٨٠ لم تكن مواتية على ما يبدو لاحتلال العتوب للبحرين فحسب . وانما كان الاحتلال ضرورة تفرضها الظروف فقد استطاع عرب الساحل الفارسي ، في غضون الفترة التي خلت فيها فارس من ملك قوي ان يتصرفوا كدول مستقلة لا تخضع لاوامر الشاه او تعليماته . وهكذا اصبح الهجوم الذي كان الناس يتوقعونه منذ وقت طويل وشيك الوقوع ، كما باتت الحرب بين الطرفين امراً حتمياً .

بتحول القسم الاكبر من تجارة البحرين الى الزبارة اصبحت مسألة

---

(١) راجع ص ٦٥ .

(٢) بسبب حصار البصرة اضطر قسم كبير من التجار إلى الهجرة إلى الزبارة . وتشير المؤلفات التي عاصرت هذا الحادث بوضوح إلى ذلك ، راجع خطاب مؤرخ ٧ / ١١ / ١٧٨٢ من المستر لاتوش إلى مجلس الادارة . " اضطر التهديد الوهابي لتجد اعداد أخرى من المواطنين إلى الهجرة منها .

(٣) " تاريخ البحرين للنبهاني " ويستشهد فيه ببيتين من الشعر للشيخ خليفة يدل على أنه لم يكن يؤيد الوهابيين في عقيدتهم .

اخضاع تلك المنطقة هدفاً اساسياً لحكومة فارس ، ومنذ سنة ١٧٧٧ قام شيخ ابو شهر بمحاولات عديدة وبتحريض من الحكومة الفارسية لاحتلال الزبارة ولكن محاولاته كلها منيت بالفشل (١) ، وفي عام ١٧٨٠ نشبت الحرب بين بني كعب والعتوب في كل من الكويت والزبارة ، ربما لنفس الاسباب ، او على افضل الاحتمالات لاسباب تتعلق بالقرصنة التي كان يمارسها بنـــو كعب (٢) . ويروي آل خليفة ، ان اهل البحرين بحكم انتمائهم الى الشيعة منعوا عمال آل خليفة في سنة ١٧٨٠ من شراء جذوع النخيل من سترة احدى جزر البحرين . وقد ادى ذلك الى مصرع احد عمال آل خليفة الذين اتخذوا من الحادث ذريعة لمهاجمة سترة وقتل خمسة من سكانها وعندئذ (٣) قام الاهالي بابلاغ الامر للشيخ ناصر الذي اخذ يدبر حملة انتقامية ضد سكـــان الزبارة (٤) .

وايا كانت اسباب تلك الحرب ، فقد كان الجانبان على اتم استعداد لدخول المعركة الفاصلة من اجل البحرين في ١٧٨٢ . ويبدو ان كلا الجانبين قد وجد فيه انصار بين القوى البحرية المختلفة في الخليج .

فالى جانب ابو شهر انحاز شيوخ بني كعب ، وبندررق ، وهرمز والقواسم حنما لا نستطيع ان نحدد الدول التي وقفت الى جانب العتوب الذين اتخذوا موقف الدفاع في المراحل الاولى للقتال . وعلى اي حال ، ففي اوائل عام ١٧٧٩ بعث سلطان عمان كما قيل باحدى سفنه الى الزبارة في مهمة ودية (٥).

---

(١) التقويم الجغرافي للخليج ص ٧٨٨ ، مجلد ١ لوريمر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) راجع تاريخ البحرين ص ١٢٣ — ١٢٤ .

(٤) نفس المصدر . كانت سيادة الفرس على البحرين تمارس عن طريق شيخ ابو شهر العربي الذي كان سيد الجزيرة بلا منازع ، وكان ولاؤه لسلطان الفرس على البحرين وغيرها من المناطق في ابو شهر ولاءاً اسمياً فحسب .. .

(٥) لوريمر مجلد ١ ص ٧٨٨ .

وكان طبيعياً ان ينحاز السلطان الى جانب العتوب ، وذلك بحكم انحياز اعدائه التقليديين الى جانب الطرف الاخر . وعلى كل ، فليس هناك ما يدل على ان السلطان قد انضم حتى ١٧٨٢ الى اي فريق فيما يتعلق بموضوع البحرين حتى سنة ١٧٨٢ وفي بداية ١٧٧٩ انحاز عرب قطر الى جانب العتوب في دفاعهم عن الزبارة ضد الذين اعتدوا عليها .

وبالرغم من ان العتوب اتخذوا موقف الدفاع في بداية المعارك التي نشبت على البحرين ، الا انهم ، كما يقال ، قد استولوا في بداية عام ١٧٨٢ على « عدد من السفن التابعة لابو شهر وبندررق بينما كانت في طريقها الى شط العرب (١) » .

ومما قيل في هذا الصدد ان الشيخ ناصر ، حاكم ابو شهر :

« قد قام بجمع قوة بحرية وعسكرية في ابو شهر ، وبندررق وغيرهما من موانيء الخليج ، واخذ يعلن عن نيته في الانتقام من العتوب بمهاجمته للزبارة (٢)

كما قيل ايضا انه كتب الى مراد خان في اصفهان يطلب مدد من المال والمؤن ويعلق المستر لاتوش على هذا الموضوع بقوله (٣) :

« وبالرغم مما ابداه الشيخ ناصر من نشاط ، فانه على حد ما يقال ، قد اتصل بالقرين يعرض السلم ، غير ان حاكم القرين اشترط على الشيخ ناصر بأن يدفع اليه نصف ايراد البحرين ، بالاضافة الى جزية كبيرة عن ابو شهر (٤)

ويستطرد المستر لاتوش فيقول :

« قبل مضي وقت طويل اضطرت القرين الى دفع جزية كبيرة الى بني كعب . ويومها لم يكن قد لمع اسم الزبارة . وعندما هاجم الفرس البصرة ،

---

(١) من لاتوش إلى مجلس الادارة في ٤ / ١١ / ١٧٨٢ .
(٢) نفس المصدر . (٣) نفس المصدر .
(٤) من لاتوش إلى مجلس الادارة في لندن .

انتقل احد شيوخ القرين وبصحبته عدد كبير من اعيان البلاد الى الزبارة ، كما هاجر اليها عدد من تجار البصرة وبذلك تحول جزء كبير من تجارة اللؤلؤ وتجارة الهند الى الزبارة كما تحول جزء منها الى القرين ايضاً » .

وابان سيطرة الفرس على البصرة ، ازدادت اهمية تلك الاقطار ومكانتها بحيث استطاع سكانها ان يتحدوا سلطان بني كعب ، بل وان يتفوقوا عليهم الى حد كبير بحيث لم يعودوا يعبأون بالقوة التي اخذ يهددهم بها الشيخ ناصر (١) »

وعلى كل فقد اضطر الشيخ الى المضي قدماً في عملية المجابهة ضد الزبارة انتقاما من العتوب على اعمال السلب والنهب التي قاموا بها خصوصا استيلاءهم على « سفينة اهل ابو شهر وكانت في طريقها الى البحرين لاحضار الجزيــة السنوية (٢) » ولهذا اعد ناصر حملة للقضاء على خصومه وكان يؤيده في هذه الجهود شيوخ بندررق ، ودوشستان ، وغالفوا وغيرها من المناطق الساحلية في ايران . وقد ابحر الاسطول من ابو شهر وعلى ظهره الفا عربي بقيادة الشيخ محمد ، ابن اخ الشيخ ناصر (٣) . وعلى الرغم من انه كان في امكان هذا الاسطول مهاجمة الزبارة الا ان الشيخ ناصر ، لم يكن يهدف على ما يبدو الى اكثر من اجبار العرب على الاتفاق معه ، عن طريق فرض حصار عليهم ولهذا ظل الاسطول يتردد بين الزبارة والبحرين (٤) . »

* * *

---

(١) نفس المصدر .
(٢) مقتطفات من أرشيف حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ٣٦٤ .
(٣) يذكر النبهاني في كتابه." تاريخ البحرين " ص ١٢٤ ، أن الشيخ ناصر كان هو القائد .
(٤) مقتطفات من أرشيف حكومة بومباي ص ٣٦٤ .

وساطة شيخ القواسم

وفي الوقت نفسه كان راشد بن مطر ، شيخ القواسم السابق يسعى للتوسط في الخلاف (١) ، الا ان مساعيه لم تكلل بالنجاج وكان اقصى ما وافق عليه العتوب هو رد الغنائم التي اخذوها من البحرين (٢)، وعندما فشلت المفاوضات تحركت قوات ابوشهر في طريقها الى الزبارة في محاولة للاستيلاءعلى قلعتها التي كانت هذه القوات تتوقع سقوطها دون مقاومة ، ولكن قبل ان تتمكن القوات المغيرة من النزول ، استهدفت لهجوم مضاد بقوات لم تكن تتوقعها جاءت اليهم من القلعة . وبعد قتال عنيف القي المغيرون السلاح ولاذ من لاذ منهم بالفرار عن طريق البحر ، وانتهت المعركة بمصرع الشيخ محمد ، وبعض اكابر القوم من اتباع حاكم هرمز وابن اخ الشيخ راشد (٣) .

ويبدو ان عتوب الكويت لم يشتركوا في هذه المعركة . ربما لانهم كانوا يتوقعون ان توجه الحملة ضدهم اولا ، بحكم وجودهم بالقرب منمواطن بني كعب وابو شهر . ويبدو ان خبر الهجوم على الزبارة وصل متأخراً ، اذ يقال «ان عتوب الكويت استولوا على سفينة للشيخ ناصر . كانت تنقل اخبار الهزيمة التي منيت بها قوات الشيخ ناصر الذي ظل يحث ابنه في البحرين على

---

(١) يرجع اعتزال الشيخ راشد الحكم إلى سبب الشيخوخة وقد خلفه إبنه صقر . وقد تحالف القواسم مع الفرس لان العتوب ، كما قيل.، استولوا على سفينة للقواسم وذبحوا ١٨ من ملاحيها راجع لوريمر مجلد ١ ص ٦٣٤ .

(٢) قبل الشيخ راشد.، حاول شيخ بندر رق التوسط في الخلاف ، الا أن محاولته لم يكتب لها النجاح ص ٣٦٤ مقتطفات من أرشيف حكومة بومباي مجلد ٢٤ .

(٣) من مقتطفات أرشيف حكومة بومباي نفس المجلد والصفحة . ومن الجدير بالذكر أن العتوب في الزبارة تلقوا مساعدة من غالبية القبائل التي تسكن قطر لفك الحصار ونخص بالذكر منهم " آل بو علي " سكان فريحة راجع النبهاني ص ١٢٥ " تاريخ البحرين " ويشير لوريمر إلى قبائل أخرى ساعدت أيضاً في عملية احتلال البحرين " التقويم الجغرافي للخليج " مجلد ١ ص ٨٤٠ .

بذل اقصى ما في وسعه للدفاع عن الجزيرة، ريثما تصله امدادات جديدة (١) الا ان الاسطول الكويتي استولى على تلك السفينة المشؤومة ومنها وقف على حقيقة الاوضاع في الزبارة والبحرين .

اما اسطول الكويت فقد كان يتألف على ما يبدو ، من خمس سفن كبيرة وعدد كبير من السفن الصغيرة ، وكان في طريقه الى الزبارة لفك الحصار عن البلدة . وقد ساعدت المعلومات التي وقعت في يد العتوب الاسطول الكويتي على اتخاذ « قرار سريع وحاسم » اذ اتجه الاسطول الى البحرين مباشرة واستولى على موانئها الرئيسية (٣) .

ولم يتضح لنا ما اذا كان عتوب منطقة الزبارة قد اشتركوا مع ابناء عمومتهم الكويتيين في المراحل الاولى من المعركة التي دارت على ارض جزيرة المنامة بالبحرين (٤) . وعلى الرغم من ان مصادر آل خليفة ترجع اسباب النجاح في الاستيلاء على الجزيرة الى احمد بن خليفة (٥) والقبائل العربية في قطر الا

(١) مقتطفات من حكومة ارشيف حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ٢٨ يشير المستر تايلور في « مقتطفاته » الى ان الشيخ ناصر كان على رأس القوة المحاصرة ولكن في طريق عودته الى المحمرة بعث بالخبر الى ابنه الذي تركه وراءه للاشراف على الجزيرة . راجع نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر لوريمر مجلد ١ ص ٨٣٩ .

(٣) لوريمر في « التقويم الجغرافي للخليج » مجلد ٢٤ ص ٥٦٣ - يقول في تسجيله لهذا الحادث ان الحملة الكويتية اتجهت الى المنامة عاصمةالبحرين واستولت عليها ثم اشعلت النار فيها واحتجزت الحامية الفارسية في القلعة . اما ما يعنيه لوريمر بالحامية الفارسية فهو « حامية رجال الشيخ ناصر » الذين كانوا ، في اغلب الظن ، عرباً .

(٤) واما رواية آل خليفة فتتلخص في ان الكويت لم تقم بايدور في فتح البحرين وان كانت تؤكد المساعدة الكبيرة التي قدمتها قبائل قطر . كذلك لا يشير اليها النبهاني الى اشتراكعتوب الكويت في حملة البحرين ولعله استقى معلوماته من مصادر آل خليفة .

(٥) كان ينوب عن والده الشيخ خليفة ، حاكم الزبارة الذي كان متغيباً في رحلة للحج بمكة راجع « تاريخ البجرين » ص ١٢٢ .

انها لا تشير الى الدور الذي قام به عتوب الكويت في تلك العملية (١) . اما المصادر القديمة عن الموضوع فتؤكد على حد المستر واردن والكابتن تايلور بأن الكويت لعبت دوراً حاسماً في فتح البحرين (٢) .

نعود الى موضوع فتح البحرين . لقد انضم الى عتوب الكويت وبأقصى سرعة ممكنة عتوب منطقة الزبارة والرويس (٣) ، بالاضافة الى كتائب اخرى من قبائل قطر على اختلافها . وكان من هؤلاء آل مسلم سكان الهولة ، وآل بن علي سكان الفويرات ، والسودان من الدوحة والنعيم من داخلية شبه جزيرة قطر (٤) . ولما كانت القوة المهاجمة تفوق في عددها رجال الحامية ، فانها لم تصادف اي صعوبة في الاستيلاء على المنامة والمحرق ، المعقلين الرئيسين في البحرين . كما لا يبدو ان القوات المهاجمة تعرضت لاية مقاومة تذكر في القرى الاخرى ، لان الجيش المرابط في القلعتين كان يضم كل القوات المدافعة عن البلاد .

ويبدو ان احتلال البحرين قد تم بعد شهر من عودة الشيخ ناصر من معركته الفاشلة ضد الزبارة . وتقول رواية اخرى ان الشيخ ناصر قد عاد الى المحمرة وم ١٢ يونيو ١٧٨٢ وان حامية البحرين قد سقطت في يد العتوب يوم ٢٨ يوليو من نفس العام وبتاريخ ٥ اغسطس ١٧٨٢ وصل العتوب الى المحمرة في طريق عودتهم من البحرين (٥) . وهكذا ففي اخريات عام ١٧٨٢(٦)

---

(١) الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة يؤيد وجهة نظر اسرته فيما يختص بهذا الموضوع .

(٢) « نبذة تاريخية » من مقتطفات ارشيف حكومة بومباي ص ٢٨ / ٢٩ وص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٣) استقر الجلاهمة وهم فرع من العتوب في الطرف الشمالي من الجزيرة .

(٤) راجع لوريمر ص ٨٣٩ - ٨٤٠ مجلد ١ .

(٥) مقتطفات من ارشيف حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص.٣٦٥ ويقول المصدر نفسه ان الشيخ راشد شيخ رأس الخيمة قد رافق افراد الحاميات الى المحمرة .

(٦) انظر ادناه .

انتقلت البحرين من يد الفرس الى يد العتوب واصبحت جزءاً لا يتجزأ من دولتهم .

والواقع ان فقدان البحرين كان يعد خسارة جسيمة بالنسبة للشيخ ناصر وملك الفرس ، ولهذا فقد قام الاثنان بمحاولات عديدة لاستعادةالجزر والقضاء على سلطان العتوب في الزبارة والكويت . ومن ناحية اخرى لم يدخر الشيخ احمد جهداً ، بعد ان اطلق عليه العتوب اسم (فاتح البحرين) في تدعيم سلطان حكمه في الجزيرة . وفي عام ١٧٨٣ انتخب الشيخ (١) اول حاكم على البحرين والزبارة ، وفي نفس العام توفي والد خليفة بينما كان يؤدي فريضة الحج في مكة .

وقد قام الشيخ احمد بتوزيع غنائم الحرب بين الذين اسهموا مع آل خليفة في معركة البحرين وذلك تدعيماً لحكمه في الجزيرة ولا نعرف على وجه التأكيد ما حصل عليه من الغنائم . وعلى كل ، فقد عاد آل صباح ، كما يبدو ، الى الكويت بعد توقيف العمليات الحربية . اما الجلاهمة وهم فصيلة هامة اخرى من العتوب ، وقد كان لهم نصيب في احتلال البحرين ، فيبدو انهم كانوا يتوقعون نصيباً اكبر من الغنائم المذكورة كما انهم طالبوا بالاشتراك في حكم الجزيرة (٢) . ولم يتضح من المصادر المتوفرة ما الذي طالب به الجلاهمة بالتحديد . ومهما يكن من أمر ، فان مطالبهم لم تتحقق ، ولذلك غادروا البحرين غير راضيين وقاموا فترة من الوقت في جزيرة خارج وفي ابو شهر (٣) . وقد كان يحكم الجلاهمة يومئذ اربعة من انجال جابر . ولعل

---

(١) تنتهج المصادر المحلية لفظة « خليفة » قصصاً كثيرة ، وهي تؤرخ فتح البحرين بالعبارة التالية « سوى احمد في اوال (اسم البحرين القديمة) خليفة ومعناها ان احمد اصبح خليفة على اوال وتشير الارقام العربية ان فتح البحرين قد تم في عام ١١٩٧ — ١٧٨٣ . وقد سمعت هذه الرواية من الشيخ عبدالله آل خليفة كما اوردها النبهاني ايضاً في « تاريخ البحرين ص ١٢٦ » .

(٢) تعرض الجلاهمة سابقاً الى عملية اذلال من آل خليفة الذين طردوهم من الرويس .

(٣) راجع مقتطفات من ارشيف حكومة بومباي ص ٥٢٢ .

جدهم وهو رحمه قد اغتصب السلطة من اخوته بعد خلاف معهم كما ان اخا آخر لهم ، وهو عبدالله بن جابر قد لجأ الى مسقط ، حيث كان يأمل في الحصول على مساعدة لقتال اخيه رحمة (١) . ولا يبدو ان الجلاهمة اقاموا طويلا في خارج او ابو شهر (٢) فقد عادوا للاقامة في قطر ، على ما يبدو ، واتخذوا من خور حسن شمالي الزبارة موطنا لهم بدلا من الرويس . وبتسنم رحمة الحكم اتخذ من القرصنة سياسة له ولانصاره من القبائل. حتى اصبح اكبر نقمة على آل خليفة (٣) .

ويبدو ان الشيخ خليفة ، لم ينقل مقر الحكم من الزبارة الى البحرين بهعد استيلائه على الجزيرة مباشرة وانما عاد كما يقال ، الى الزبارة بعد ان خلف احد اقاربه على البحرين ، الذي اتخذ من قلعة الديوان بالمنامة مقراً له وذلك لحكم الجزيره وحمايتها من تهديدات الفرس (٤) .

وكان من عادة الشيخ احمد ان يقضي شهور الصيف في البحرين وبقية ايام السنة في الزبارة الى ان توفي في ١٧٩٦ . ودفن بالمنامة ، وقد خلفه على حكم الجزيرة نجله سليمان الذي اختار الرفاع مقرا لاقامته (٥) .

وعلى الرغم من ان آل خليفة قد احتفظوا بالزبارة كمقر لحكمهم ومركزا لنشاطهم التجاري الا ان استيلاءهم على البحرين كان له آثار بعيدة المدى في

---

(١) مقتطفات من ارشيف حكومة بومباي مجلد.٢٤ ص ٥٢٢ وقد اشار اليه لوريمر في تقويمه الجغرافي مجلد ١ ص ٨٤٠ .

(٢) لا يعرف حتى الآن لم اختار الجلاهمة ابو شهر مقراً مؤقتاً لاقامتهم بعد طردهم من البحرين وما اذا كانوا قد اعتقدوا ان الشيخ ناصر قد يستولي على البحرين من جديد وبالتالي سيمكنهم هذا من العودة الى الجزيرة لانهم كانوا يفضلونها على قطر .

(٣) راجع لوريمر مجلد ١ ص ٨٤٠ .

(٤) انظر تاريخ البحرين للنبهاني ص ١٢٧ .

(٥) ربما تم هذا الاختيار لاسباب صحية ، لان الرفاع تقع فوق ربوة ، على خلاف المنامة ، التي تقع على منخفض من الارض فوق السهل ، واللفظة العربية الرفاع تعني العلو .

التطور السياسي والاقتصادي لدولة العتوب . فبحكم الموقع الجغرافي للبحرين، وما وصل اليه العتوب من ثراء عظيم نسبيا ، تهيأت الفرصة لكل تاجر نشيط بان يحقق دخلا سريعا وثابتا لنفسه (١) . ويبدو ان هذه الحقيقة لم تغرب عن بال العتوب فضلا عن ان تعقد الامور في البصرة واضطرابات الاحوال في فارس ، قد سهلا للعتوب الاستفادة من الاراضي الجديدة التي اكتسبوها وبذلك غدت تجارة اللؤلؤ — التي كانت البحرين مركزها الرئيسي دائما — خالصة لهم وحدهم وهكذا غدت مدينة الزباره محط انظار كبار التجار الذين كانت لهم مصالح تجارية كبيرة مع الهند (٢) . كما ان اسطول العتوب في وضع يسمح له بأن يقوم بدور فعال في تجارة النقل في منطقة الخليج العربي (٣)

على ان هذا النجاح التجاري والسياسي قد أثار خلافات وخصومات لم تكن موجودة من قبل . فاستيلاء العتوب على البحرين قد ألب كلا من الشيخ راشد حاكم رأس الخيمة ، ونجله ، والشيخ عبدالله حاكم هرمز ضد بني كعب وغيرهم من عرب ابو شهر وبندررق المنافسين القدامى للعتوب . غير ان الخطر الاكبر على مركز العتوب يتمثل في سلطان مسقط الذي سبق له ان ادعى بالسيادة على هذه الجزر (٤). وهو خطر لم يتبلور قبل السنوات الاخيرة من القرن الثامن عشر . والمعروف عن سلطان مسقط انه كان يقف « موقفا محايداً جداً » من النزاع الذي كان قائماً بين العتوب وخصومهم خلال الاستيلاء على البحرين وبعد ذلك (٥) . ويبدو ان السلطان قد اتخذ موقفه هذا على اساس العوامل التالية :

---

(١) عقدت هذه المقارنة بين قطر وغيرها من المناطق غير الزراعية في مفرق الجزيرة العربية كالكويت نفسها .

(٢) راجع رسالة لا توش الى مجلس ادارة الشركة بتاريخ ٤ / ١١ / ١٧٨٢ .

(٣) سلدهانا في « تقرير عن تجارة شبه الجزيرة العربية » .

(٤) راجع ص ٣٤ .

(٥) مقتطفات من ارشيف حكومة بومباي ص ١٧١ .

لم يكن بين السلطان والعتوب الذين كانوا يومئذ يحاولون الأستيلاء على البحرين اي نزاع او عداء سابقاً ، فالعرب من سكان الساحل الفارسي ، بما فيهم القواسم اعداء مسقط التقليديين ، كانوا من اعدائه ايضاً فلو انحاز السلطان الى العتوب فانه سوف يفقد دعواه بالبحرين (١) . ولتعذر عليه الانضمام الى الطرف الآخر الذي كان سيقف منه موقفا معاديا . ومن جهـــة اخرى كان السلطان احمد بن سعيد سنة ١٧٨٠ قد كبر كثيرا ولم يعد في قدرته القيام باي حرب . وقد تمخضت وفاته في اليوم الخامس عشر من ديسمبر ١٧٨٣ عن نشوب صراع بين ابنائه الثلاثة على الحكم (٢) . ولهذا لم تكن مسقط في وضع يسمح لها بالتدخل في البحرين .

وعلى كل فان هذا لم يمنع عرب الساحل من المضي قدما في محاولاتهم لاستعادة البحرين ، وغيرها من اراضي العتوب في قطر والكويت . غير ان العتوب ، على ما يبدو ، قد تمكنوا في سنة ١٨٧٠ من بناء قوة بحرية هائلة في وسعها الصمود لاي عدوان قد يقع على بلادهم .

« وفي اواخر عام ١٧٨٢ كانت الاستعدادات تسير على قدم وساق لتحريك حملة كبيرة كان يعدها شيوخ ابو شهر ، وهرمز ، بمساعدة قوات الفرس وشيخ القواسم ضد الزبارة والكويت ، الا ان هذه الحملة لم تغادر قواعدها على الاطلاق (٣) .

وفي نهاية العام التالي تجددت المحاولات لغزو اراضي العتوب ففي اليوم الثاني عشر من فبراير ١٧٨٥ ، تحرك موكب الشيخ عن طريق البر الى كانجون

(١) راجع ص ٣٤ .
(٢) راجع مايلز مجلد ٢ ص ٢٨١ .
(٣) مقتطفات من ارشيف حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ٣٦٥ وكذلك لوريمر مجلد ١ ص ٨٤ في رسالة من البصرة الى اللجنة السرية بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٧٨٣ ، يتحدث المستر لا توش عن الاستعدادات التي قام بها بنو كعب للهجوم على الكويت والبصرة ، كما يتحدث عن الشيخ ناصر ، حاكم ابو شهر فيصفه بانه كان حليفا لبني كعب .

وفي الحادي والعشرون منه تبعه اسطول بندررق الى المكان المذكور ، وقد جرى الاتفاق على ان ينضم اليهم هناك شيخا هرمز ورأس الخيمة كما تحركت قوة عسكرية صغيرة من شيراز وانضمت الى الحملة (١) .

« غير ان وفاة علي مراد الشيرازي خان ابعد الخطر عن آل خليفة لبضع سنوات . وفي الوقت نفسه كانت حكومة شيراز تتعرض لمشاكل داخلية . مما حال بينها وبين التفكير في غزو البحرين (٢) . »

كما ان وفاة الشيخ ناصر يوم ١١ ابريل ١٧٨٩ قد اضافت عاملا جديدا الى الوضع (٣) .

وفي الكويت فقد كان العتوب يواجهون بعض المتاعب مع سليمان باشا بغداد الذي كان قد فقد سيطرته على البصرة في ١٧٨٧ بعد ان حاول واليها مصطفى آغا ان يستقل بالسلطة عنه . وان سليمان الذي تولى الحكم في قبل احتلال الفرس لها ١٧٧٦ يأمل في ان يحتفظ بسلطانه على البصرة قبل ان يتمكن الفرس من احتلالها وذلك بعد توليه الحكم في بغداد سنة ١٧٨٠ ولهذا اعد حملة لاخضاع البصرة لنفوذه . وقد عقد تحالفا مع اقوى قبيلة عربية تقطن ضواحي البصرة . وفي ١٧٨٧ نصب تويني نفسه حاكما على البلاد واوفد مفتي البصرة الى القسطنطينية لحمل السلطات هناك على تعيينه حاكما معتمدا على البصرة وضواحيها .

واسفرت حملة سليمان عن لجوء مصطفى آغا ، واخيه معروف آغا ، وتويني وكثيرين غيرهم ممن اشتركوا في التمرد الى حاكم الكويت الشيخ عبدالله الصباح . ولما طالب الباشا بتسليمهم رفض الشيخ طلبه . فما كان من الباشا الا

(١) مقتطفات من ارشيف حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ٣٦٥ – ٣٦٦ .

(٢) لوريمر مجلد ٨٤٠ .

(٣) ورد خبر وفاة الشيخ ناصر في خطاب مانسيّ وجونز الى اللجنة السرية وكان الخطاب صادرا من البصرة بتاريخ ٢٩ / ٦ / ١٨٧٩ .

ان طلب من المركز التجاري البريطاني في البصرة التدخل في الأمر . غير أن المركز رفض الاشتراك في الحملة التي اعدها الباشا ضد الكويت (١) .

وفي ١٧ من ابريل ١٧٨٩ كتب المستر مانستي ، المسئول عن المركز رسالة الى شيخ الكويت اعرب فيها عن اعتزام الباشا غزو الكويت ، اذا لم يتم تسليم اللاجئين اليه (٢) غير ان الشيخ عبدالله رد على خطاب مانستي يقول بأنه يفضل ان يخوض حربا مع الباشا من ان يسلم ضيوفه اليه (٣) . ولكنه في الوقت نفسه أكد لكل من المقيم البريطاني وسليمان باشا بانه لن يسمح لاي لاجيء عنده بتدبير عدوان على البصرة طالما بقي(٤) مثل هذا الشخص في حمايته .

غير ان مخاوف الباشا كان لها ما يبررها فما ان حل مطلع شهر يوليو حتى تمكن تويني من حشد قوة عسكرية في قرية الجهرة بالقرب من بلدة القرين ، انضم اليها مصطفى آغا ، الوالي السابق ، بالاضافة الى ١٥٠ من الخيالة الاتراك .

« تقدمت القوة الصغيرة الموحدة الصفوف في اتجاه البصرة وفي يوم ٢٠ يوليو عسكرت في صفوان وهي مرتفع يقع على بعد ٣٠ ميلا من الجهرة » وهناك انضم اليهم حمود بن تامر ، زعيم المنتفك الجديد ، كما انضم اليهم ايضا والي البصرة الجديد ، ولكن حملة تويني ومصطفى منيت بالهزيمة ، وقد لجأ الاول الى غثبان شيخ بني كعب ، بينما فر الثاني برفقة اخيه وبعض الاتراك الى الكويت وهناك باعا جيادهما ثم سافرا الى مسقط على امل ان يتوجها منها

(١) راجع خطاب المستر اس مانسني ، المقيم ، ومساعده المستر اج.جونز الى اللجنة السرية بتاريخ ٢٩ / ٦ / ١٨٧٩ ومن الطريف ان الكاتبين قد لاحظا رئيس وزراء الباشا لم يكن جادا في مطالبته بتسليم مصطفى اغا ، لانه كان منافسا خطيرا له ولهذا كان يخشى لو اعفي عنه ان يعود الى بغداد (نفس المصدر) .

(٢) خطاب من المستر مانستي الى الشيخ عبدالله الصباح .

(٣) خطاب من الشيخ عبدالله الى المستر مانستي ٣٠ / ٤ / ١٧٨٩ .

(٤) يمكن الرجوع الى نصوص هذه الخطابات في الملحق ص ١٩١ — ١٩٢ .

الى مكة (١) .

على ان صلابة موقف حاكم الكويت من هذا الحادث تقوم دليلا واضحا على مدى القوة التي كان يملكها الشيخ لردع اي هجوم محتمل على اراضيه . فقد لاحظنا مما سبق كيف استطاع هذا الحاكم ففي ١٧٨٢ ان يتحدى كلا من بني كعب ، والشيخ ناصر حاكم البحرين . وكيف استطاع الاسطول الكويتي ان يقود الهجوم على البحرين في نهاية العام المذكور (٢) .

ان تركز السلطة في الشيخ عبدالله الصباح ، فضلا عما كان يتحلى به من محاسن السلوك قد اكسبه احترام المركز التجاري البريطاني في البصرة ، فلقد اقتنع كل من المستر مانستي ، ومساعده المستر جونز من خلال الازمات التي قامت بين الشيخ وكل من والي البصرة وباشا بغداد ، بأن الكويت هي اصلح موقع بديل للمركز البريطاني في البصرة اذا ما دعت الظروف الى (٣) ذلك كما ان الصداقة بين المركز والشيخ « كانت قد توطدت منذ وقت طويل »(٤)

قبل ان نتعرض لعلاقة بريطانيا بالكويت ، يجدر بنا ان ندرس موقف الانجليز من القوى العربية المتصارعة في الخليج .

كان الانجليز يلتزمون بموقف الحياد من ذلك الصراع وفقا للتعليمات التي تلقاها المركز من حكومة بومباي وكان كل ما يهم شركة الهند الشرقية في ذات الوقت هو توفير الامن لتجارتها مقابل عدم تدخل سفنها ضد القراصنة طالما ظل هؤلاء يحترمون العلم البريطاني الذي ترفعه سفنهم . وعندما هاجم

(١) خطاب من مانستي وجونز الى السير روبرت اينلي *Sir Robert Oaslie* السفير البريطاني في القسطنطينية اما قصة تمرد تويني فقد وردت بالتفصيل في مطالع آل سعود لا بند سند ص ١٢١ – ١٢٥ .

(٢) راجع اعلاه .

(٣) خطاب من المستر مانستي والمستر جونز الى اللجنة السرية بتاريخ ٢٩ / ٦ / ١٧٨٩ .

(٤) نفس المصدر .

القواسم احدى السفن البريطانية في ١٧٧٨ واستولوا عليها. لم يتخذ المقيم البريطاني في البصرة اي اجراء قبل ان تصله تعليمات وقوة تكفي للقضاء على نشاطهم . وحتى لو كان المقيم يملك القوة اللازمة الا انه لم يكن يستطيع التصرف من تلقاء نفسه « قبل ان تصله موافقة الحكومة في بومباي » (١) وعلى كل فقد كانت تعليمات الشركة لمركزها التجاري في البصرة في ١٧٨٠ هي الاحتفاظ بعلاقات مع كافة القوى في الخليج بما فيها بني كعب ، وعرب بندررق ، واهل القرين وغيرهم من قبائل العرب والساحل الفارسي للخليج ، الذين كان في امكانهم تهديد تجارتنا .. وذلك حماية لبريد الشركة ، والتجارة البريطانية والبريطانيين الذين يسافرون الى المنطقة عن طريق البصرة ، وحلب وبغداد .

« وان تقديم الهدايا في المناسبات هو من اكبر العوامل التي تساهم في الحفاظ على التفاهم والصداقة (٢) . »

لقد سبق ان اشرنا الى ان علاقة الشيخ عبد الله بممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية في عام ١٧٨٨ كانت على احسن ما يرام حيث سمح الشيخ للمركز التجاري في البصرة باعتقال الضابط الفرنسي (الكابتن دي بورج) وقد استمرت العلاقات طيبة عبر الثمانيات من القرن الثامن عشر وكان هذا، على ما يبدو ، امرا طبيعيا لكونه في مصلحة الطرفين . ولفترة طويلة ظلت الشركة تعتمد على الكويت في نقل بريدها كما كان الشيخ بدوره يحصل على فوائد كبيرة في العملية . كذلك لاحظنا كيف كادت هذه العلاقات الودية

---

(١) في خطاب صدر من المستر لاتوش بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٧٨٣ ، اعرب المرسل عن أمله في أن تحين الفرصة في يوم من الايام فيتم القضاء على اسطول القواسم . ويبدو انه كان يؤيد موقف العتوب ضد القواسم . .

(٢) من المستر لاتوش إلى مانستي .– البصرة في ٦ / ١١ / ١٧٨٤ كذلك خطاب من المستر مانستي إلى اللجنة السرية للاطلاع على الخطاب كاملا راجع الملحق ص ١٨٩ .

ان تتدهور عندما حاول الشيخ الكويت « حماية ضيفه » ثم عندما حاول المستر مانستي التدخل في موضوع الشيخ تويني ومصطفى آغا وعلى اي حال فقد بقيت الصداقة قائمة بين الفريقين وفي عام ١٧٩٠ ، اعتزل المستر هارفورد جونز (الذي اصبح السير هارفورد جونز فيما بعد) الخدمة وقام بزيارة الكويت لتغيير المناخ (١) وقد دأب المسئولون عن المركز التجاري في البصرة ، على التهديد بنقل المركز من البصرة الى الكويت كلما تأزمت الامور بين المركز وباشا بغداد (٢) . وقد استمرت هذه الخلافات منذ بدايتها في سنة ١٧٨٠ على ايام ولاية سليمان باشا على بغداد حتى ١٧٩٢ ، عندما اتخذ المستر مانستي والمستر جونز قرارهما النهائي بنقل المركز من البصرة الى الكويت .

غير ان الخطر الذي كان يهدد مركز العتوب في كل من الكويت والزبارة ثم في البحرين لم يعد يأتي هذه المرة من عرب الخليج او من باشا بغداد ، وانما من اواسط الجزيرة العربية ، حيث ظهرت الى الوجود قوة جديدة مرهوبة الجانب واخذت تشق طريقها نحو الساحل العربي من الخليج وهي قوة الواهابيين .

* * *

---

(١) تشتهر الكويت بين بلدان المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية. بجفاف مناخها وهو أفضل من مناخ البصرة ، لان البعوض لا يمكن أن يتوالد أو يعيش فيها .

(٢) في ٧ مارس ١٧٩٠ قام المستر جونز بزيارة للكويت بقصد تغيير المناخ " أنظر خطاب مانستي وجونز إلى مجلس ادارة الشركة ٢٧ / ٦ / ١٧٩٠ . أعطيت من بين المناطق التي اقترحت كبديل لميناء البصرة منطقة خارج غير ان الشركة فضلت عليها الكويت . راجع خطاب مانستي وجونز إلى اللجنة السرية البصرة في ٢٩ / ٦ / ١٧٨٩ .

الفصل الخامس

الوهابيون فى شرقي الجزيره العربية

تمهيد

في معالجتنا لدور الوهابيين في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية نرى انه لا بد من إجراء دراسة تاريخية مفصلة لجماعة عن هذه الجماعة التي ظل امرها مهملا حتى الآن ، ونعني بهم بني خالد ، الذين كانوا من أقوى العناصر التي عاشت وسيطرت على الساحل العربي من الخليج ابتداء من قطر في الجنوب حتى البصرة في الشمال وذلك خلال الفترة التي يتناولها هذا الكتاب . وعلى الرغم من ان تاريخ بني خالد قد ظل مجهولا في غمار الحركة الوهابية القوية ، الا انهم في الواقع يرتبطون بكل مرحلة من مراحل تطور الحركة الوهبابية في شبه الجزيرة العربية .

وقد تردد اسم بني خالد في خطابات وتقاريرممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية في الخليج في القرن الثامن عشر اكثر من مرة ، وعلى كل فان هذه التقارير والمراسلات لا تقدم تفصيلات عن فترة حكمهم في شرقي الجزيرة العربية غير أن المؤرخين الوهابيين ، ابن غنام ، وابن بشر ، لم يغفلا ان يشيرا في مؤلفاتهما الى دور بني خالد ومقاومتهم العنيدة للتوسع الوهابي في المنطقة وأغلب المعلومات التي تتناول بني خالد قبل التوسع الوهابي في المنطقة مصدرها كتاب « السوابق » (١) لابن بشر . وبالتالي فان تطرق مؤرخ كابن بشر الى الدور الذي لعبه بنو خالد قبل هذه الفترة انما يعكس اهمية الدور الذي قاموا

---

(١) انظر اعلاه صفحة ٤ .

به في الحروب التي نشبت ضد الوهابيين في اواسط وشرقي الجزيرة العربية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر . ولم تبذل أي محاولة حتى الآن لوضع شجرة نسب شيوخ بني خالد (١) .

وسوف نفرد في مكان من هذا الكتاب قائمة باسماء هؤلاء الحكام ، على ضوء ما جاء في مؤلفات ابن غنام وابن بشر ولمع الشهاب . ومن ناحية اخرى تلقي دراساتنا للعلاقة بين الوهابيين وبني خالد كثيرا من الضوء على موقف الدول التي أقامها العتوب خلال الصراع الذي دار بين الجانبين وبعده وعلاقة العتوب بالوهابيين عن الفترة نفسها الا اننا سوف نعتمد في هذه الدراسة على مؤلفات الوهابيين وغيرهما من الكتب التي ظهرت في تلك الفترة. وقد كانت المؤلفات العربية ، لا الاوروبية هي المصدر الرئيسي لما نعرفه عن الصراع الذي احتدم بين بني خالد والوهابيين .

اما فيما يختص بظهور دولة العتوب وتطورها في المنطقة ، فقد استقينا معلوماتنا عنها من المؤلفات الاوروبية ومن سجلات الشركة البريطانية في البصرة .

* * *

أ - الحركة الوهابية :

في حديثنا عن الحركة الوهابية نرى انه لا بد اولا من تلخيص للمبادىء الاساسية للحركة الوهابية ، لان الحروب التي نشبت بين الوهابيين وبني خالد كانت تقوم الى حد كبير على اساس مفهوم الوهابيين للدين الاسلامي وقد

---

(١) يقدم اوبنهايم في كتابه (*Die Bedumne*) شجرة نسب عدد من القبائل العربية ، ولكنه على الرغم من اشارته لبني خالد ، فانه لم يفرد لهم شجرة نسب خاصة بهم . راجع مجلد ٣ ص ١٣٣ - ١٤٢ .

ادرك الوهابيون من خلال المعارك التي خاضوها مع خصومهم بني خالد انها لم تكن من النوع الذي اعتادوه ضد صغار الشيوخ في نجد ، وبالتالي لم يفكر الوهابيون في ايصال هذه الحرب الى الحسا قبل اواخر سنة ١٧٨٠ ، كادراك منهم لقوة خصومهم هؤلاء . وعلى اي حال فان القبائل التي قاتلت الى جانب آل سعود . انما قاتلت بدافع الحماس الديني لتعاليم محمد عبد الوهاب .

وخلاصة القول أن دعوة محمد عبد الوهاب كانت تقوم على مبدأ التوحيد، او الوحدانية ، وفكرتها منبثقة من الايمان « بوحدانية الله وعصمته (١) » وليس ثمة شيء جديد في مذهب الشيخ محمد عبد الوهادب ، كما انه لم يفكر في استحداث شيء جديد من عنده (٢) ، وان كل ما كان يسعى اليه هو تحرير قومه من الخطايا بعد ان حادوا عن جادة الشريعة الاسلامية كما نزل بها القرآن واتخذوا لهم في الحياة سبيلا يتعارض مع هذه العقيدة ، طبقاً لمفهوم محمد عبد الوهاب وتفسيره لها . لقد دعا عبد الوهاب الى اتباع جادة الله وتطبيق ما جاء به النبي وانصاره من المتقين . هذا هو جوهر الدعوة التي نادى بها الشيخ محمد عبد الوهاب (٣) .

---

(١) كان الوهابيون يطلقون على انفسهم عبارة اسم الموحدين وقد جاءت هذه التسمية من خصومهم في داخل شبه الجزيرة وخارجها .

(٢) المؤلفات الاوربية والاسلامية المعاصرة للشيخ مضللة جداً ، فقد استهدفت لنقد مرير من ... الكتاب الاوربيين الأواخر امثال برخاد في مذكراته عن " البدو الوهابيين " ، ص ٢٧٧ أما ... الاخر على ذلك فهو الشيخ منصور ، الطبيب الايطالي وقائد قوات السيد سعيد سلطان مسقط في مؤلفه التاريخي " السيد سعيد " ص ٣٦ .

(٣) راجع ص ٢٦٣ – ٢٧٧ من كتاب " لمع الشهاب " للاطلاع على موجز تعاليم الشيخ سعيد. على الرغم من ان المؤلف لم يكن وهابيا فانه على ما يبدو ، كان ملماً كل الالمام بتعاليم الشيخ محمد وآراؤه لا تختلف عن آراء ابن غنام في كتابه " روضة الافكار " ان اشد ما كانت تناهضه العقيدة الوهابية هو الشرك بالله والبدع . وكان الشيخ وانصاره من الموحدين يعتقدون انهم لو تمكنوا من القضاء على الشرك والبدع ، بحيث يؤمن الجميع باله واحد لا شريك له ويتبعوا طريق الحق التي وضعها الخالق لهم ، فان جميع المسلمين سيصبحون اخوة وسوف يعم السلام والرخاء الدنيا كلها .

وقد مرت حياة الشيخ محمد بثلاث مراحل واضحة . المرحلة الاولى وهي التي اقتصرت على تلقي تعليمه الديني على يد والده الشيخ عبد الوهاب الذي كان قاضياً في العينية بنجد (١) . وغيره من علماء نجد ، ثم المرحلة الثانية التي تبدأ برحلاته وتنقلاته الواسعة (٢) . اما المرحلة الثالثة فتبدأ بعودته من العينية عندما بدأ في نشر الدعوة الوهابية .مما ادى الى طرده من العينية واستقراره نهائياً في الدريعية (٣) . ويعتبر سليمان بن محمد آل حمد شيخ بني خالد . المسئول الاول عن ابعاد الشيخ محمد من العينية غير ان هذه لم تكن هي المرة الاولى التي يتدخل فيها بنو خالد في شئون نجد فلقد كان أهل نجد يعرفون ان شيخ بني خالد هو أقوى الزعماء المجاروين لهم ، وانهشخصية لا بد لهم من كسبها عن طريق تقديم الولاء والهدايا اليه (٤) .هكذا كان الوضع في نجد بان القرنين السابع عشر والثامن عشر . وعندما كان زعماء القبائل العربية في نجد يمتنعون عن تقديم مثل هذه الهدايا لبني خالد ، كان هؤلاء يردون عليهم بشن الغارات والعودة بالغنائم الى الحسا (٥) .

---

(١) بريدجز يطلق خطأ اسم محمد على اسم ابيه." الوهابي " ص ٧ .. .

(٢) بدأ الشيخ محمد رحلاته وهو في العشرين من عمره مسافر إلى الحسا والبصرة وبغداد ، وكردستان وهمدان ، واصفهان ، وقم ، وحلب.، ودمشق والقدس ، والقاهرة ، والسويس.، وينبع ، ومكه ، والبريده ، ثم عاد إلى العينيه بعد غياب دام عشرين عاماً وقد زودته رحلاته هذ بفكرة متكاملة عن احوال العالم الاسلامي ، كما أتاحت له زيارته لدمشق دراسة مؤلفاتالمصلح الحنبلي العظيم.، ابن تيميه . اما عن البلدان التي زارها الشيخ محمد فأنظر " لمع الشهاب ص ١٧٥ .

(٣) يعتقد آخرون انه عاد إلى اليمامة في نجد ، اما لمع الشهاب فيشير إلى الاثنين راجع ص ١٧ بينما يعتقد ابن غنام وابن بشر انها العينية راجع كتاب " الغزوات البيانية " ص ٣٠ و" عنوان المجد " ١ ص ٦ .

(٤) قبل ظهور الوهابيين كقوة على المسرح في الدريعيه ١٧٥٠ ، كان أقوى زعيم قبلي في نجد هو ابن معمر ، شيخ العينيه " انظر لمع الشهاب " ص ٤١ .

(٥) يمدنا كتاب." السوابق " لابن بشر بمعلومات عن هذه الغارات على امتداد عشرة سنوات من النصف الاول من القرن الثامن عشر والتي قام بها زعماء بني خالد الواحد تلو الاخر ففي عام ١١٢٦ / ١٧١٤ أغار سعدون بن محمد بن غرير على اليمامه وكان معه عبد الله بنمعمر شيخالعينية=

ولا يعني هذا ان نفوذ بني خالد في نجد لم يتعرض لاي تحديات حتى قبل ظهور الوهابيين على مسرح الاحداث . ففي ١١٤٢ – ١٧٢٩ اوفد سليمان بن محمد بن غرير ، حاكم الحسا احد أقاربه على رأس بعثة للحج (عن طريق قطر والبحرين والحسا) وبينما كان الركب في طريقه الى نجد هاجمته قبيلة مطير واستولت على كميات كبيرة من ممتلكات وأموال الحجاج كما قتلت عددا كبيرا من أعيان الحسا والقطيف والبحرين (١) . ومن المحتمل ان يكون الهجوم على القافلة قد وقع بسبب اشتراك بني خالد في حراستها ، لان عائلة آل حمد انقسمت بعد وفاة سعدون في ١١٣٥ – ١٧٢٢ على نفسها بعد صراع دار بين زعمائها . على السلطة (٢) وكان هذا الصراع بين اخوي المرحوم سعدون وهما علي وسليمان مـــن جهة ودجيان ومانع ابني سعدون ، من جهة اخرى ، وقد منيت قوات دجيان ومانع بالهزيمة في البداية رغم مساعدة قبائل الظافر والمنتفك لهما (٣) . وقد تجدد القتال بين الطرفين في ١١٣٦ – ١٧٢٣ ولكن النصر لم يكن حليف دجيان (٤) وفي عام ١١٣٩ – ١٧٢٦ اعاد الكرة بمعاونة قبائل الظافر والمنتفك فهاجم الحسا ولكنه اندحر على يد علي بن محمد وعادت القبائل ادراجها الى موطنها (٥) .

وقد استؤنف الصراع الداخلي بين شيوخ بني خالد بعد وفاة علي في ١٧٣٦

=(انظر ابن بشر مجلد ١ ص ١٨٣) وفي عام ١١٣٢ / ١٧١٩ أغار وهاجم بمدفعيته الدريعيه (انظر نفس المصدر ص ٢١٢ / ٢١٣ وفي ١١٤٠ / ١٧٢٧ هاجم محسن شريف مكة الظافر في الخرج واشترك معه في الهجوم المذكور علي بن محمد بن غرير ، شيخ بني خالد . وفي العام التالي هاجم بمعاونة بعض قبائل الظافر وزعيمها ابن الصويت وارغمه على الفرار إلى الرياض .

(١) راجع ابن بشر مجلد ٢ ص ١٧٣ .

(٢) فيما يلي قائمة بأسماء حكام بني خالد خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر والنصف الاول من القرن الثامن عشر . أما الجدول الكامل لحكام بني خالد فقد أوردناه بالملحق ص ١٩٩ .

(٣) براك بن غرير من آل محمد (١٦٦٩ – ١٦٦٨٢)

(٤) محمد بن غرير (١٦٨٢ – ١٦٩١) .

(٥) سعدون بن محمد بن غرير (١٦٩١ – ١٧٢٢) .

بينما استمر سليمان في حكم بني خالد ابتداء من ١٧٣٦ حتى ١٧٥٢ .

ان اول اشتباك يقع بين الوهابيين وبني خالد كان في ايام حكم الشيخ سليمان . اما في العينية ، فقد اصدر عبد الوهاب واتباعه فتوى تقضي برجم امرأة اتهمت بالزنا وقد استغل اعداء الحركة هذا الحادث للقضاء على الحركة المذكورة قبل ان يتاح لها الانتشار في ربوع نجد . ولما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقيم في حماية عثمان بن معمر شيخ العينية يومئذ ، فقد انحاز زعماء القبائل الضعيفة المجاورة الى شيخ بني خالد . الذي كان في وسعه التأثير على ابن معمر على تلبية رغبات اولئك الزعماء . ونظراً لما كان يتمتع به سليمان من نفوذ ومكانة (٦) فقد رضخ ابن معمر لاوامره على الفور (٧) . وهكذا غادر الشيخ محمد عبد الوهاب العينية الى الدريعية في ١١٥٨ — ١٧٤٥ (٨) ، وهناك عقد حلفاً مع زعيمها محمد بن سعود . وهو حلف كان لا بد ان يؤدي الى صدام بين القوة الوهابية الناشئة في شبه الجزيرة العربية ، وبين قوة بني

(١) علي بن محمد بن غرير (١٧٢٢ — ١٧٣٦) .

(٢) سليمان بن محمد بن غرير (١٧٣٦ — ١٧٥٢) .

(٣) ابن بشر مجلد ١ ص ٢١٨ .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر ص ٢٣٥ كانت الخروج الواقعة إلى الشرق من الحسا ، موطن قبيلة الظافر في النصف الاول من القرن الثامن عشر على حد قول ابن بشر . الا ان هذه القبيلة انتقلت في نهاية القرن إلى منطقة قريبة من مدينة البصرة .

(٦) المعروف عن الوهابية انها حركة واحدة ممتدة ، بمعنى انها بدأت بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العينيه ١٧٤٥ قبل ابعاده منها إلى الدريعية .

(٧) كان ابن معمر حاكم العينيه أقوى زعماء نجد ، ولذلك لم يكن في وسع أي زعيم آخر الاعتداء على الشيخ عبد الوهاب راجع " لمع الشهاب " ص ٣٢ .

(٨) راجع نفس المصدر ص ٣٣ لم يكن نفوذ الشيخ سليمان مقصوراً ، على حد ما جاء في " لمع الشهاب " على الحسا والمناطق المجاورة لها فحسب ، ولكنه امتد إلى الجزيرة العربية خصوصاً المناطق المتاخمة للعراق ، كما وإلى نجد نفسها وإلى ضواحي الشام وسورية .

خالد القائمة فعلا في المنطقة (١) .

على ان الحرب بين القوتين لم تنشب ، كما كان الحال بالنسبة لابعادالشيخ محمد من العينية ، لاسباب دينية فقط فمن خلال الصراع بين الوهابيين وبني خالد على السلطان والنفوذ في اواسط الجزيرة العربية وشرقها يلمح المرء العوامل الدينية والسياسية والاقتصادية جميعها . فلقد كان الوهابيون بالنسبة لبني خالد يشكلون خطراً جسيماً يتعين حصره وتطويقه قبل ان يمتد الى ما وراء الدريعية ، وعلى اي حال ، فلم يكن في وسع بني خالد القيام باي خطوة فعالة في هذا المجال ، بسبب الخلافات العائلية التي كانت تهدد زعامة سليمان ، وبصورةخاصة الصراع الذي كان يشنه دجيان ومانع نجلي سعدون ، وقد انتهى هذا الصراع في ١٧٥٢ ، بعد ابعاد سليمان من الحسا الى الخرج حيث قضى نحبه في نفس العام (٢) .

وخلفه على الزعامة غرير بن دجيان ١١٦٦ — ١٧٥٢ (٣) . الذي استمر حكمه اكثر من عشرين عاما . وطوال هذه الفترة كان بنو خالد يخوضون حربا في نجد . وفي ذلك الوقت لم يكن قوة الوهابيين تسمح لهم بغزو (٤)

---

(١) يحدد ابن بشر هذا العام لهجرة الشيخ راجع " ابن بشر " مجلد ١ ص.١٥ وقد عقد محمد بن سعود ومحمد عبد الوهاب حلفاً فيما بينهما ، تقلد الاول بمقتضاه الزعامة السياسية للموحدين بينما تزعم الثاني الحركة الدينية." لمع الشهاب " ص ٣٤ — ٣٦ وابن غنام مجلد ٢ ص ٤ وابن بشر مجلد ١ ص ١٢ وعلى كل ، فيبدو ، مما كتبه مؤلف لمع الشهاب ان دور الشيخ محمد عبد الوهاب كان دوراً رئيسياً في كل ماكان يتعلق بشؤون الوهابيين السياسية والدينيه طيلة حياته .

(٢) انظر ابن بشر مجلد ١ ص ٢٧ .

(٣) يقول ابن بشر أنه كان لغرير منافساً بين بني خالد وقد جاهد طويلا حتى استطاع أن يثبت وجوده كزعيم لبني خالد (انظر نفس المرجع ص ٢٧) .

(٤) مرة واحدة فقط على عهد غرير استطاع فيها الوهابيون أن يغيروا على الحسا بقيادة عبد العزيز ولم تكن الغارة خطيرة (انظر ابن غنام مجلد ١ ص ٧٢) .

الحسا . ومن ناحية اخرى لم يكن غرير ليقلل من القوة الوهابية النامية (١) في نجد . وفي عام ١١٧١ — ١٧٥٨ بدأ يعد العدة لحملته على الدريعية (٢) . الا ان رد الفعل بين الوهابيين كان سريعا. فقد أخذوا على الفور يقيمون التحصينات في الدريعية وغيرها من المدن الوهابية (٣) .

وفي التالي حشد غرير قوات جديدة من بني خالد ، واهالي الحسا كما عقد احلافا مع عدد من قبائل نجد . الا انه لم يصل في حملته هذه الى الدريعية ، لان قواته عجزت عن احتلال الحبيلة احد معاقل الوهابية الحصينة (٤) . وبعد مرور سنوات على هذه الحملة اي في ١١٧٨ — ١٧٦٤ هاجم حسن الكرمي زعيم نجران ، الوهابيين بالقرب من الدريعية ، واباد قواتهم ورغم ذلك استطاع الوهابيون الوصول الى حل سلمي مع زعيم القوات المهاجمة . كما عقدوا في الوقت نفسه اتفاقا مع الامير على القيام بهجوم مشترك على الدريعية . الا ان هذا الاتفاق لم ينفذ ، ونتيجة لذلك حاول غرير احتلال الدريعية بمفرده ولكن النجاح لم يحالفه في هذه المحاولة (٥) وقد كشف فشل غرير في احتلال الدريعية والحبيلة عن التحصينات القوية في هاتين المدينتين من ناحية وعن ضعف وسائل الحصار من ناحية اخرى . وعلى كل فقد ظل غرير يقاوم الوهابيين وفي عام ١١٨٨ — ١٧٧٤ استولى على البريد ، وكان في طريقه الى

(١) يعتقد *Rents* أن غرير لم يكن يهتم كثيراً في البداية لوجود جماعة الموحدين في نجد البلد المجاور واجع كتاب « محمد عبدالوهاب ص ١٠٤ » ولكنه يقدم تفسيراً لهذا الرأي ص ١٠٤ ان غرير كان مهتماً بالموضوع الا انه في الحقيقة لم يكن في وسعـــه القيام بهذه الخطوة قبل ان يتمكن من تثبيت سلطته على مختلف الفئات القبيلية من بـــني خالد . وطوال حكمه لم يكن الوهابيون يستطيعون التوغل في اراضيه وقد خاض اكثر من معركة ضارية ضدهم ،

(٢) ابن غنام مجلد ٢ ص ٦١ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) لمع الشهاب ص ٤٢ — ٤٣ .

(٥) كان حسن الكومي شعبيا لمع الشهاب ص ٤٤ وجاء فيه ان عزيز حاول المستحيل لاقناع حسن بالانضمام اليه في القضاء على الحركة الوهابية وقد عرض عليه الف قطعة ذهبية تدفع له كل عام لو وافق على فسخ اتفاقه للوهابيين الا ان الاخير رفض ذلك .

الدريعية ولكن الأجل وفاه وهو في الخبية دون أن يحقق هدفه (١) .

بعد أن تولى بطيان ، اكبر أبناء غرير قيادة قوات بني خالد ، حاول ان يعاودوا الكرة ، الا ان قبيلته لم تظهر رغبة في التعاون معه . فعاد ادراجه الى الحسا ، حيث اغتاله اخواه دجيان وسعدون خنقا وفي عام ١١٨٨ – ١٧٧٤ تولى سعدون مشيخة بني خالد ، بعد ان اغتال اخيه بوضع السم في طعامه (٢) وبما ان زعماء بني خالد لم يتضامنوا مع سعدون ، فقد استطاع عبد العزيز تأليب فئات بني خالد ضد البعض (٣) . وما ان حل عام ١٧٧٣ ، وقبل وفاة غرير ، حتى كان الوهابيون قد اخضعوا الرياض وما جاورها من المناطق لسلطانهم (٤) وبذلك انشأوا لهم ركيزة للانطلاق منها الى الخرج . وهكذا لم يصبحوا في وضع يتيح لهم التدخل في الصراعات الداخلية لرؤساء بني خالد فحسب ، بل ومد الحرب الى الحسا نفسها .

وعلى اي حال ، ففي ذلك العام دعم سعدون مركزه في الحسا بحيث اصبح في وضع يمكنه من الرد على اي هجوم وهابي على اراضيه . وقد ظل حكم سعدون خلال الاثني عشر عاما التي عاشها حكماً منيعا على خصومه . وعلى الاقل في الحسا ، مما اضطر الوهابيين الى الجلوس معه على مائدة واحدة في نجد (٥) . وقد استنجدت به مناطق عديدة في نجد في محاولتها بالاطاحة بسلطان

---

(١) ابن غنام مجلد ٢ ص ١٠١ وابن بشر مجلد ١ ص ٦١ – ٦٢ .

(٢) يرجع رنتز في مؤلفه « محمد عبد الوهاب » ص.٩٠ هذه الحادثة الى ١١٨٩ . ربما تأثر بابن غنام الذي ارخ ١١٨٩ حيث يقول بطلان عرض المساعدة على زعيم نجران في معركته مع الوهابيين غير ان ابن بشر الذي يلتزم بالدقة فيما يتعلق بتواريخ حكام بني خالد يرى ان الحادث وقع في ١١٨٣ .

(٣) انظر لمع الشهاب ص ٧٩ – ٨٣ .

(٤) كان دهام بن دواس ، زعيم الرياض خصما عنيداً للوهابيين . وقد استغرق الاستيلاء على معقله ثمان وعشرين سنة .

(٥) يعتقد زنتز خطأً انها كانت عشرين سنة.، راجع مؤلفه « محمد عبد الوهاب » ص ٢١٦ او لمع الشهاب ص ٣٠ فقد كان على صواب حيث يقول ان حكم سعدون دام اثني عشر عاما وهو يتفق في ذلك مع ابن بشر .

الوهابيين (١) .

وعلى الرغم من هذا فان الحكم الوهابي في نجد كان قد وطد اركانه في ١٧٨٠ . ولما كان سعدون ، واثقا من قدرته على صد اي هجوم يشنه عليه بنو خالد . فقد أخذ في استخدام سلاح جديد في صراعه ضدهم ، وقد اتضح من خلال الصراع الذي نشب على مشيخة بني خالد ، عند وفاة غرير ان بعض الزعماء لم يكونوا يؤيدون سعدون بصورة جماعية . وبالتالي عمد سعدون ، كما يرى مؤلف لمع الشهاب الى الرشوة كسلاح لتحقيق اهدافه وهو تدمير قوة بني خالد في شرق الجزيرة العربية . وعلى حد ما جاء في المصادر التي سبق ان اشرنا اليها آنفا . فان عبد العزيز بعث برسائل الى اخيه سعدون والى غيره من زعماء القبيلة ، لتحريضهم على التمرد على اخيهم والاستيلاء على زمـــام السلطة. ومما جاء في تلك الرسالة ان سعدون لم يعد يصلح للحكم وان من حق اخوته ان يشاركوه في حكم البلاد (٢) .

وهكذا افلح زعماء بني خالد في تسوية خلافاتهم الداخلية دون اي تدخل من الخارج . وفي عام ١٧٥١ بعد خلع سليمان بن محمد ، استطاع غرير وبدون مساعدة من الخارج ان يفرض نفسه كزعيم على البلاد لفترة تزيد على عشرين عاما . كذلك استطاع سعدون بعد وفاة غرير بالاحتفاظ بالحكم بغير مساعدة من الخارج . وبمضي الوقت وكنتيجة للمؤامرات التي كان يحيكها الوهابيون وانهيار قوة خصوم سعدون ، اسفرت كل هذه الخلافات عن انهيار بني خالد انهيارا تاما . واضطرارهم الى طلب المساعدة من الخارج .

وفي عام ١٢٠٠ ــ ١٧٥٨ قرر عبد المحسن بن عبدالله ، من قبيلة آل حمد

---

(١) في ١١٩٢ / ١٧٧٨ هاجم سعدون الوهابيين في منطقة خارج ، وفي١١٩٣ / ١٧٧٩ في منطقة الجمعة ، وفي ١١٩٥ / ١٧٨٠ في منطقة الخارج ثم في البريده في ١١٦٦ / ١٧٩١ راجع « ابن بشر » . (٢) « لمع الشهاب » ان كلا من المؤرخين الوهابيين ابن غنام وابن بشر يعترفان ان عبد العزيز قد استخدم الرشوة والتضليل ص ٨٠ .

أن يقود ثورة ضد سعدون ربما بتحريض من الوهابيين (١) . وحين تبين عبد المحسن (٢) ان انصار ابن اخيه من بني خالد لم يتمكنوا من التغلب على سعدون طلب المساعدة من تويني رئيس قبائل المنتفك (٣) .

وقد استجاب الاخير للطلب وحققت الحملة انتصارا على قوات سعدون في موقعه جدا (٤) . وظلت تطارده حتى الدريعية حيث استنجد بخصمه اللدود عبد العزيز آل سعود وقد ظن الوهابيون ان هذه الهزيمة ستضع حدا لمؤامراتهم . ويبدو ان ابن غنام كا ن على حق في تنبؤاته ، وهو يؤرخ لوصول سعدون الى الدريعية بنهاية حكم بني خالد في شرقي الجزيرة العربية (٥) .

وعلى حد ما يذكر مؤلف « لمع الشهاب » ان سعدون تقدم الى عبد العزيز طالبا تزويده بقوات لاستعادة الحسا ، غير ان الاخير ظل متمسكا بسياسة ضرب زعماء بني خالد بعضهم ببعض الى ان واتته الفرصة لشن هجوم حاسم عليهم وفي ١١٩٨ — ١٧٨٤ اغار سعدون ابن عبد العزيز على الحسا في محاولة لاختبار قوة بني خالد ومدى صمودهم لاي هجوم وقد كشفت الحملة عن ان بني خالد ما يزالون اقوياء . وبانحياز سعدون الى جانب عبد العزيز تأكد للاخير ان بني خالد لديهم زعيم قوي يعتمدون عليه غير ان قوات بني خالد كانت حتى ذلك الوقت تؤيد عبد المحسن والدويهي ، وعلى كل فقد سارع الوهابيون الى غزو اراضي بني خالد . وفي ١٢٠٢ — ١٧٨٧ اغار سليمان بن عفيصان ، القائد الوهابي على بعض اجزاء من قطر ، كما هاجم في طريق العودة العفيره .

---

(١) « لمع الشهاب » ص ٨١ حيث يبين المؤلف الى ان الدويهي واخيه محمد كان اول من أعلن الثورة وانهما طلبا مساعدة من خالهما عبد المحسن بعد ان فشلا في الاطاحة بسعدون .

(٢) كان ابنا اخيه هما الدويهي ومحمد ، اخوي سعدون .

(٣) « لمع الشهاب » ص ٨١ .

(٤) ابن غنام مجلد ٢ ص ١٣٩ .

(٥) نفس المصدر .

(٦) « لمع الشهاب » ٨٣ — ٨٤ .

(٧) انظر ابن غنام مجلد ١ ص ١٥٣ وابن بشر مجلد ١ ص ٨٣ .

كما ان سعود زار الدهناء في نفس العام ربما للتجسس على بني خالد . .

وبتسنم عبد المحسن وأبناء أخيه للسلطة ، اتضح أن الخلافات العائلية ستظل تمزق شمل بني خالد وهكذا أصبح عبد المحسن من آل العبدالله ، الامير غير المتوج لبني خالد بينما كان أبناء أخيه من آل عزيز مجرد صنائع لآل غرير . توفي سعدون بعد عام من وصوله الى الدريعة وكان الوهابيون خلال هذه الفترة يواصلون محاولاتهم للايقاع بين بني خالد وكانوا ينادون بالاطاحة بنفوذ أبناء أخ سعدون واعادته الى السلطة وعلى الرغم من أن دعايتهم هذه لم تحقق أي نجاح . الا أنهم ظلوا يضغطون على قبيلة سعدون بعد وفاته لكي تمنح ولاءها الى زايد بن غرير ، وهو أخ آخر لسعدون (١) .

ويحيط بتاريخ حكام بني خالـــد على الحكم بعد وفاة سعدون شيء من الغموض ومؤلفات ابن غنام ، وابن بشر ولمع الشهاب هي المصادر المعاصرة الوحيدة لتلك الفترة والتي يمكن الاعتماد عليها في تحديد هذا التاريخ ، الا أن هذه المصادر بالرغم من ذلك لا تعتبر قاطعة . فهي أحياناً كثيرة تناقض بعضها مع البعض (٢) مما يتعذر معه تكوين رأي قاطع عن تاريخ حكم بـــني خالد بعد سنة ١٢٠٤ — ١٧٨٩ .

ان الإطاحة برؤساء بني خالد بسبب المشاحنات الداخلية ، والمؤامرات التي كان يحيكها الوهابيون كانت من الاسباب المحتملة لانهيار حكمهم ، فقد تميز عهدهم بثلاث مراحل واضحة فيما بين ١٧٨٩ ، ونهاية القرن ، أولها المرحلة التي تولى فيها الزعامة الدويهي ومحمد وكانت وصاية العهد فيها لعمهما عبد المحسن

(١) من السعودية بمكان تأويل وجود زايد في الدريعة . ويرى فيلبي (*Philby*) في كتابه « السعودية العربية » ص ٢٨ انه قد ابعد هو اتباعه من قبيلته بعد تمرده على سعدون . .

(٢) يذكر ابن غنام الدويهوي وعبد المحسن بعد الهزيمة التي منيا بها في معركة الغراميل ١٢٠٧ لجآ الى الزبارة بينما يرى ابن بشر انهما لجآ الى شمال العراق عند قبائل المنتفك . راجع ابن غنام مجلد ٢ ص ١٦٠ وابن بشر مجلد ١ ص ٥ .

وقد استمرت هذه المرحلة حتى ١٢٠٤ – ١٧٨٩ ، وخلفهما على الحكم زايد بن غرير (من ١٢٠٤ – ١٧٨٩ حتى ١٢٠٨ – ١٧٩١)ثم خلفه براك بن عبد المحسن من (١٢٠٨ – ١٧٩١ حتى ١٢١١ – ١٧٩١) .

ومذ عام (١٢٠٠ – ١٧٨٥ حتى ١٢٠٨ – ١٧٩١) اتخذت غارات الوهابيين على المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية طابعا شرسا . وكان الهدف منها على ما يبدو إثارة سكان تلك المناط ضد حكامهم (١)وعلى كل فان الوهابيين لم يتمكنوا من غزو الحسك وإخضاعها لسلطانهم على عهد عبد المحسن والدويهي . أما الغارات التي شنوها على المنطقة خلال عامي ١٧٨٧ و ١٧٨٨ فكانت غارات خاطفة وقصيرة (٢).

وقد تحالف تويني ، زعيم المنتفك مع عبد المحسن والدويهي كما عقد اتفاق بين تويني والوهابيين ايضاً . ولهذا فقد استاء تويني من قرار منح سعدون حق اللجوء في الدريعة ، وبالتالي فقد ابدى استعدادا لمساعدة زعماء بني خالد أما تويني فقد فشل في الثورة التي قادها ضد باشا بغداد ، والتي كان يهدف من ورائها الى تنصيب نفسه واليا على البصرة (٣). وفي عام ١٧٨٧ منيت قوات تويني بالهزيمة على يد سليمان باشا بغداد ، فر بعدها تويني وبعض انصاره الى قرية الجهرة شمالي الكويت . وقد انبرى سعود ، القائد الوهابي الى استغلال هزيمة ويني بشن هجوم عليه في قرية الجهرة وتمكن من إبادة قواته . وهكذا حيل بين بني خالد وبين الحصول على اي مساعدة من تويني ، وعلى الرغم من هذا كله، فلم يكن سعود في وضع يسمح له بمهاجمة الحسا ومواجهة عبد المحسن والدويهي في معركة سافرة ولهذا قصر نشاطه على شن الغارات على الاجزاء الشمالية

(١) يضرب المثل على ما حدث لاهل قرية الفضل الذين ذبحوا كالاغنام – راجع ابن غنام مجلد ٢١ ص ١٥٩ ..

(٢) لمعرفة طبيعة تلك الغارات راجع ابن غنام مجلد ١ ص ١٥٨ – ١٥٩ وابن بشر مجلد ١ ص ٨٣ – ٨٤ – ٨٥ .

(٣) انظر اعلاه .

والجنوبية من اراضي بني خالد (١) .

في عام ١٢٠٤ — ١٧٨٩ وجد سعود انه قد أصبح في وضع يسمح له بمهاجمة الحسا وقد اشرك معه في الزحف على الحسا ، معقل بني خالد ، وليد بن غرير ورهطه ، وبعد اشتباكات استمرت ثلاثة أيام ، فر الدويهي (٢) وعبد المحسن (٣) من الميدان وربما يكون قد ولجا الى العتوب في الزبارة (٤) او الى شمال العراق (٥) عند قبائل المنتفك . وعلى كل فان النصر الذي حققه الوهابيون في هذه المعركة لم يكن نصراً حاسما ، لانهم اولا لم يتمكنوا من الاستيلاء على معاقل بني خالد في الحسا ، والحفوف ، والمبرز ، والعقير ، والقطيف ، ولان الوالي ، الذي اعتمده سعود حاكما على المنطقة بدلا من عبد المحسن ، ونعني به زايد بن غرير لم يكن في مستوى المسئولية . وقد تولى غرير فيما بعد زعامة بني خالد ، الا انه ، على ما يبدو ، لم يكن يدفع الزكاة للوهابيين وقد انضم زايد فيما بعد الى غيره من رجال قبيلته وأعلنوها حربا شعواء على الوهابيين .

في ذلك الوقت كان لبني خالد ، على ما يبدو ، زعيمان معترف بهما ، زايد ابن غرير ، امير الحسا ، وكانت منطقة نفوذه تمتد من العقير في الجنوب الى القطيف في الشمال ، وعبد المحسن الزعيم القبلي للمناطق الواقعة الى الشمال من اراضي بني خالد (٦) . وقبل ذلك بوقت قصير اغتيل عبد المحسن من جانب

(١) في عام ١٧٨٨ هاجم سعود بلدة المبرز في الحسا ، كما هاجم قوات المنتفك في منطقة قريبة من صفوان انظر ابن بشر مجلد ١ ص ٨٤ / ٨٥ .

(٢) لمع الشهاب ص ٨٦ يذكر المؤلف ان محمد بن عزيز وبمعيته عبد المحسن والدويهي ، كانوا من بين الذين لجأوا بعد هزيمتهم الى قبائل المنتفك .

(٣) ابن غنام مجلد ٢ ص ١٦٠ وابن بشر مجلد ١ ص ٨٥ .

(٤) ابن بشر مجلد ١ ص ٨٥ وكذلك ص ٨٦ من لمع الشهاب .

(٥) ابن غنام مجلد ٢ ص ١٦١ .

(٦) لمعرفة حدود ارض بني خالد يمكن الرجوع الى ص ٣٨ — ٤١ اعلاه .

زايد . وقد وقع هذا الحادث ، على ما يبدو ، بتحريض من الوهابيين وكـان ذلك في ١٧٠٦ – ١٧٩١ (١) . وفي ١٢٠٧ – ١٧٩٢ هاجم سعود فصائـل قوات البدو والموالية لبني خالد بزعامة براك بن عبد المحسن وابادها وهي المعركة التي دارت بالقرب من الجهرة (٢) .

وكان من الواضح حتى ذلك الوقت ، ان قبائل بني خالد منقسمة على نفسها الى فئتين ، فئة البدو والموالين لاسرة عبدالله ، والتي كان عبد المحسن أول رؤسائها ، والفئة التي تضم كلا من الحضر والبدو بزعامة زايد بن غرير . على ان العداء بين هاتين الفئتين وبين الوهابيين ظل مستعرا حتى بعد معركة الغراميل ربما لسبب القلاقل السياسية التي انفجرت في الحسا عقب هجوم الوهابيين عليها مباشرة . وقـد زحف سعود بقواتـه صوب الجنوب إلا أن زايـد على ما يبدو تمكن من تهدئة الموقف في المنطقة واقناع سعود بالعودة الى نجد. على أن كلا من ابن بشر وابن غنام لا يقدمان رأياً واضاً فيما يتعلق بالأضطربات التي شهدتها الحسا خلال هذه الفترة فابن بشر يرى ان زايد قد انحاز الى الوهابيين وبأن الفضل في إخماد الثورة يعود اليه ، اذ لم يعد أمام سعود اي مبرر للتدخل(٣) بينما يعتقد ابن غنام ان زايد كان بين المتآمرين ، وانه امضى بعض الوقت في الكويت ، ربما لوضع خطة للهجوم على نجد (٤) والذي يمكن استخلاصه من رأي المؤرخين هو انه حتى عام ١٧٩٢ ، لم يكن الوهابيون قد تمكنوا بعد من القضاء على نفوذ بني خالد .

(١) ابن بشر مجلد ١ ص ٨٨ الذي يذكر ان زايد حث عبد الرحمن على العودة من الشمال الى الحسا بعد ان امنه على حياته .

(٢) نفس المصدر .

(٣) علم المؤلف ان بني خالد ظلوا محتفظين بعدائهم ضد العائلة السعودية وعندما كان الملك يتوجه للصيد ويقيم مخيمه بالقرب من مخيمات بني خالد ، لم يكن احد من بني خالد يؤم مجلسه لتقديم الولاء اليه او الحصول على منح منه بينما كان القبائل الاخرى تفد الى مخيمه وتتناول الطعام وتتسلم الهدايا وتعرب عن ولائها له . وهذا يكشف عن حدة العداء بين السعوديين وبني خالد .

(٤) ابن غنام مجلد ١ ص ٩٨ .

(٥) راجع ابن غنام مجلد ١ ص ١٨٦ .

وخلال عامي ١٧٩١ – ١٧٩٢ (١) شن الوهابيون غارات ارهابية على مدن الحسا الا انه حتى سنة ١٧٩٣ لم تكن قد وجهت حملة عسكرية واسعة ضد الحسا وبني خالد وفي نفس العام شنت قوة كبيرة من الوهابيين هجوما على الحسا ، بقوات لم تجمعها من الدريعة فحسب ، بل ومن مدن وهابية اخرى . وقد يبدو ان براك قد لعب دورا هاما في هذه الحملة لصالح الوهابيين ويقال انه قام بدور الوسيط بين سعود وبني خالد في الحسا (٢) . اما زايد بن غرير الذي كان يتمتع بتأييد الوهابيين سابقاً ، فقد تولى زعامة بني خالد في المنطقة الجنوبية ووقف سدا منيعا في وجه الزحف الوهابي نحو الشرق . اما الدويهي ، ومحمد ، وماجد ، ابناء عزير فقد عادوا من الزبارة (٣). وانضموا الى غيرهم من محاربي بني خالد ، الذين كانوا مرابطين في حصن المبرز (٤) . ويستنتج من هذا ان ابناء عزير الاربعة واخوه سعدون تناسوا خلافاتهم (٥) . في وجه الخطر الذي اخذ يتهددهم . ورغبة من الوهابيين في الابقاء على الفرقة والانقسام ، بين رجال بني خالد ، حاول سعود استدراج براك بن عبد المحسن الى جانبه . وعندما اتضح لبراك ان الحملة الوهابية في ١٧٩٣ لم تحقق اهدافها في احتلالى مدن الحفوف ، والمبرز والقطيف الحصينة (٦) ، تمكن بالخديعة من الدخول الى المبرز ، وتولى

---

(١) عن الخراب الذي حل بمدن الحسا ومزارعها وعن طبيعة الغارات الوهابية عليها راجع ابن غنام مجلد ٢ ص ١٧٣ و ١٨٢ وابن بشر مجلد ١ ص ٨٨ و ٩٧ و ١٠٠ .

(٢) انظر ابن غنام مجلد ١ ص ١٨٨ / ١٨٩ .

(٣) انظر اعلاه .

(٤) ابن غنام مجلد ١ ص ١٩٠ .

(٥) انظر اعلاه كان الوهابيين ١٢٠٤ / ١٧٨٩ يؤيدون زايد حتى انه اصبح زعيما لبني خالد .

(٦) ابن بشر مجلد ١ ص ١٠٠ وابن غنام مجلد ١ ص ١٨٨ – ١٨٩ ، الا ان المؤرخين لا يشيران الى نوع الخديعة التي لجأ اليها براك .

الزعامة بعد ان نفض ابناء عزيز (١) يدهم منها . لم يكن الوهابيون حتى ذلك الوقت قد تمكنوا من الاستيلاء على اي معقل من معاقل بني خالد . وعلى الرغم من ان الوهابيين قد تمكنوا بالفعل من انزال الهزيمة بقوات بني خالد في موقعة الجهرة ، الا ان المدن القريبة من ساحل الخليج لم تسقط في ايديهم . وظل الحكم الفعلي للمنطقة المحتلة في يد شيخ بني خالد . وعلى اي حال فان زايد لم يستمر في حكم الحسا كنائب عن الوهابيين .

وهكذا تحول براك الى خصم عنيد . وانضم الى الدويهي ومحمد في محاولـــة لاستعادة نفوذ بني خالد في شرقي الجزيرة العربية . وبرغم الهزيمة التي مني بهـا ابناء عزيز وانتقال السلطة الى آل عبدالله الذين كان يمثلهم براك بن عبد المحسن ، لم يتخل الوهابيون عن محاولات الايقاع بين بني خالد تحقيقا لاطماعهم الخاصة . وكانوا على يقين من ان براك قد اصبح أضعف من ان يتآمر عليهم بعد الهزيمة التي حاقت به في الشمال (٢) .

ويجمع ابن غنام وابن بشر على ان انهيار حكم بني خالد في الحسا بدأ مـــع سقوط زايد واستيلاء براك على الحكم (٣) . على ان نهاية هذا الحكم لم تحل قبل ١٧٦٥ فقد قام سعود ، بعد حرب ١٧٩٢ – ١٧٦٣ بشن حرب وحشية

---

(١) لم يتضح اين توجه ابناء عزيز في هذه المرة ، فان ابن بشر (ص ١٠٠ مجلد ١) يقول نهم اتجهوا شمالا ، بينما كل ما يذكره ابن غنام مجلد ٢ ص ١٩٠ انهم لاذوا بالفرار اما لمع الشهاب فقد جاء فيه انهم التجأوا الى بغداد عند سليمان باشا وذلك في ١٧٩٢ –) .

(٢) ابن بشر مجلد ١ ص ٩٧ – ٩٨ – يقول ان سعود حرك قواته في ١٧٩١ في هجوم على المنطقة الشمالية من اراضي بني خالد ، حيث كان يوجد رأس الافعى ، بمعنى ان براك كان اخطر ازعماء بني خالد كلهم .

(٣) يشير ابن بشر (مجلد ١ ص ١٠٢) الى براك على انه حكم الحسا بتكليف من « عبد العزيز آل سعود » وفيما يلي نص عبارة ابن غنام (مجلد ٢ ص ١٩٧ في هذا الموضوع) كان براك والي الحسا من تحت امام المسلمين » ويعني بالامام عبد العزيز . .

انتقامية على كل مدن الحسا وقبائلهاممن اشتركت في الحرب مع بني (١)خالد الا انهم لم يتمكنوا من تسيير حملة كبيرة الى الحسا قبل سنة ١٧٩٥ ، لانهم في سنوات ١٧٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ كانوا يتعرضون لهجمات مستمرة من الغرب من جانب اشراف مكة . كما كانوا يتوقعون هجوما عليهم من باشا بغداد ، الذي كان في وسعه حشد قبائل الظافر ، وعنزة والمنتفك ضدهم . ولئن كانت حملة تويني ضدهم في ١٧٩٦ قد منيت بالفشل الا ان مخاوفهم من بني خالد في ١٧٩٦ - ١٧٩٨ لم تكن على غير أساس .

لقد اصبح الوهابيون الآن متفوقين على بني خالد. ففي ١٧٩٥ عين عبد العزيز آل سعود ناجم وهو من اسرة غير معروفة وكان اول حاكم على الحسا من غير اسرة بني خالد (٢). وبتعيين ناجم واليا على المنطقة ينتهي الفصل الاخير من انهيار حكم بني خالد . اما المراحل التي سبقت ذلك فيمكن تلخيصها فيما يلي :

المرحلة الاولى وتبدأ بغارات الوهابيين في الثمانيات (٣) من القرن التامن عشر . وكان الهدف الاساسي منها هو بث الرعب في صفوف القبائل والمدن الموالية لبني خالد ، وتبدأ المرحلة الثانية بمحاولة الايقاع بين صفوف بني خالد كمحاولة لاضعاف ولائهم لزعمائهم . اما المرحلة الثالثة فتتمثل في استيلاء

(١) فر براك الى الجهة الشمالية من اراضي بني خالد حيث وجد الامان بين قبائل المنتفك وفي الحريات ١٧٩٦ اشترك في حملة تويني ضد الوهابيين والمعروف عنه انه عاد وانتقم بالانضمام الى جيوش الوهابيين وقتل خلال احدى غاراتهم على سوق الشيوخ وسماوه في العراق وذلك في ١٢١٢ / ١٧٩٧ انظر ابن بشر مجلد ١ ص ١١٢ .

(٢) يصفه ابن بشر (مجلد ١ ص ١٠٦) بانه احد سكان الحسا . وكانت سياسة الوهابيين بالنسبة للمناطق والقبائل المحتلة تقوم على اختيار زعيم جديد من اسرة الحاكم ، او الابقاء على الحاكم السابق - وواضح ان الوهابيين قد حاولوا تعيين زايد وبراك في اكثر من مناسبة ، الا ان كلا من الزعيمين لم يتكشف عن اخلاص وولاء للوهابيين .

(٣) يعتبر برهارد احسن من وصف الحرب الوهابية في كتابه المسمى « ملاحظات عن البدو » ص ٣١٢ و ٣٢٠ .

الوهابيين على مدن الحسا وتدمير الاسوار ، والابراج والقلاع ، والمعاقل ، واقامة تحصينات جديدة غير بعيدة عن المدن المذكورة (١) . وقد بنيت هذه الابراج خارج منطقتي المبرز والحفوف ، ولعب دورا هاما في صد الحملة التي اوفدها علي باشا الخرجي ، حاكم بغداد في ١٧٩٨ – ١٧٩٩ .

ويعتبر عبدالله بن سليمان من فصيلة المحاشير المتفرعة من بني خالد هو آخر زعيم من هؤلاء الزعماء يتصدى للغزو الوهابي . وقد ظل يقاومهم من مقل الى معقل في كل من القطيف ، وسيحات (٢) حتى جزيرة ثاروت . ويعتبر كتاب « لمع الشهاب » المرجع الوحيد عن تفاصيل استيلاء الوهابيين على القطيف وقد جاء فيه :

« بعد ان افتتح عبد العزيز جميع اراضي بني خالد ، والمناطق الحضرية والبدوية فيها بعث بجيش الاحتلال الى القطيف ، اقوى المعاقل الدفاعية لبني اخالد (٣) .

فقد كانت القطيف محاطة الاسوار ، ومحصنة بالابراج ، ففي البداية لقي عبدالله بن سليمان التأييد من احمد بن غانم القطيفي شيخ السكان الحضر فاستولى لجيش المهاجم بقيادة عفيصان على سيجات احد المعاقل القروية الحصينة وتقع على بعد ٣ فراسخ جنوبي القطيف وما ان علم عبدالله بن سليمان بسقوط سيجات حتى تحرك من القطيف وزحف بجيشه على عفيصان واجبره على التراجع .

وعلى كل،فان الوهابيين بقيادة عفيصان استمروا في شن غاراتهم على القرى المجاورة.الا ان عبدالله كان ينقصه الجنود للصمود في وجه الوهابيين عندما

---

(١) لا شك ان هدم منازل بني خالد بالذات وبناء قصر « حصن » للجنود الوهابيين.، لم يقصد به سوى ايقاع المذلة لبني.خالد وقد وقع هذا الحادث في ١٧٩٢ بعد غارة وهابية في المنطقة كما سجلها ابن غنام في مؤلفه مجلد.٢ ص.١٨٣) .

(٢) قرية محصنة تقع جنوب القطيف راجع « لمع ،الشهاب » ص ٨٧ .

(٣) نفس المصدر .

كروا عليه وحاصروا البلدة وقد هزم عبدالله في المعركة التي دارت رحاها وعاد الى البلدة.ومن المحتمل ان يكون سبب سقوط المدينة نهائيا في يد عفيصان الى خيانة ابن غانم (١). وقد اعتزل عبدالله في جزيرة ثاروت آخر معقل بني خالد الوحيد الذي لم يسقط في يد ابن عفيصان (٢) . الا ان هذه الجزيرة سقطت هي الاخرى في ايدي الوهابيين نتيجة للخيانة ايضا . اما عبدالله (٣) فقد تمكن من الفرار واللجوء الى قبائل المنتفك في الشمال (٤) .

بهذه الهزيمة التي مني بها بنو خالد حقق الوهابيون اكثر من نصر عسكري فقد كان انتصارهم انتصارا سياسيا واقتصاديا ودينيا في نفس الوقت . ومن ناحية اخرى فان توسع الوهابيين هذا جاء في غير صالحهم فكان سببا في الاطاحة بنفوذهم لا في شرقي الجزيرة العربية فحسب ، بل وفي نجد ايضا لانه استفز العثمانيين الذين اخذوا في تجهيز الحملات ضدهم (٥) .

من الوجهة السياسية كان النفوذ الوهابي في شرقي الجريرة العربية قد توطد بشكل جعل القوى الاخرى المهتمة بالمنطقة تحس بمفعول هذا النفوذ ولهذا فقد

---

(١) يقول صاحب «لمع الشهاب» في معرض تعليقه على سقوط القطيف ان سبب سقوطها يعود الى ان اهل القطيف شأنهم شأن (اهل البحرين) لم يكونوا متحمسين لقتال.راجع «لمع الشهاب» ص ٩٢ وص.٨٩ .

(٢) هذه الجزيرة منفصلة عن البر بواسطة بحيرة ضحلة ، يستطيع الناس والدواب ان يعبروها .

(٣) لمع الشهاب ص ٩٢ .

(٤) راجع نفس المصدر بخصوص احتلال القطيف راجع ايضا ابن غنام مجلد ١ ص ١٧٢ . لكي ينقذ اهل القطيف ميناءهم دفعوا ، على حد ما ذكره ابن غنام مجلد ٢ ص ١٧١ مبلغ ٣٠٠٠ زر وعلى حد قول ابن بشر (مجلد ١ ص.٨٨) ٥٠٠ احمر (الزر والاحمر عملتان ذهبيتان) ..

(٥) ان اول حملة ضد الوهابيين تحركت بتحرير العثمانيين هي التي قادها تويني في ١٧٨٧ . اما الحملة الثانية التي نظمها تويني ، بعد حوالي عشر سنوات من ذلك التاريخ فقد انتهت باغتياله على يد احد المتطرفين الوهابيين ويدعى تعيس وكان عبدا لبراك بن عبد المحسن احد شيوخ بني.خالد وقد عبر ابن غنام (مجلد ١ ص ٢٦٦ – ٢٧١) عن ابتهاج مواطنيه الوهابيين بهذا الحادث في قصيدة من ٨٨ بيتاً .

عمدت هذه القوى الى سلاح التهدئة أو الابادة . وكانت شركة الهند الشرقية هي احدى هذه القوى التي كان اهتمامها يتركز في الناحية التجارية ولهـذا كانت تتحاشى الصدام مع الوهابيين . فقد كان اقصى ما يطمح اليه البريطانيون هو ان لا يتعرض بريدهم لاي عمل عدائي (١) ، وفي مقابل ذلك كانوا على استعداد لتقديم المنح للزعماء الوهابيين نظير هذا التعهد . اما بقية القوى فقد كانت امام خيارين : اما ان تقبل لتعاليم الوهابيين ، او ان تواجه المصير الذي واجهه بنو خالد . وسنتعرض هنا الى فئتين من هذه القوى القواسم الذين اعتنقوا العقيدة الوهابية ، والعتوب الذين لم يعتنقوها . اما العثمانيون الذيـن سيطروا على الحسا قبل احتلال بني خالد لها فقد كانت لهم مصالح في شبه الجزيرة العربية وبالتالي فقد شعروا بالقلق من امتداد النفوذ الوهابي الى حدود البصرة .

وبفضل الانتصارات التي حققها الوهابيون على المستوى الديني ، استطاعوا ان يفرضوا تعاليمهم على سكان شرقي الجزيرة العربية . وتطبيقا لسياستهم هذه عمدوا الى محو كل ما يمت بصلة الى الشرك فقاموا بتدمير كل الاوثان والتماثيل واقاموا دعايتهم في الجوامع (٢) .

ولقد كان من السهل على الوهابيين ان ينشروا عقيدتهم ، لو لم يكن بعض سكان الحسا وخاصة القطيف من الشيعة. فكان هذا يمثل نقطة ضعف في النفوذ الوهابي وسيطرته على المنطقة ، اذ أدى كما سبق ، ان أشرنا الى خلق المتاعب للوهابيين بعد استيلائهم لبعض أجزاء من تلك البلاد في سنة ١٧٩٢ وبعد هذه الفترة ايضا (٣) .

---

(١) راجع « الوهابي » ص.١٥ لبريدجر .

(٢) راجع ابن غنام مجلد ٢ ص.١٩٧ – ٢٠٩ وابن بشر (مجلد ١ ص ٩٨ و ١٠٦) اما ابن بشر فقد تحدث في (مجلد ١ ص ٨٨) عن الاضرار التي لحقت بالجوامع التي يسميها كنائس والكتب الدينية التي احرقت .

(٣) انظر اطلاه .

اما من الناحية الاقتصادية فقد استفاد الوهابيون كثيرا من احتلالهم لمناطق اغنى من مناطقهم ولعل ميوسل (*Musil*) على حق في افتراضه ان الوهابيين في اندفاعهم صوب المشرق ، كانوا يتطلعون الى منفذ الى البحر (١) . غير ان هذا لم يكن الميزة الاقتصادية الوحيدة التي حققوها فبيت آل سعود لم يوزع غنائم البلاد التي احتلها على رجاله المحاربين فحسب ، بل جمع ثروة خيالية عن طريق ضم أجزاء كبيرة من اراضي بني خالد الى مكة .

كانت الحسا مشهورة بكثرة ثمارها وغنى محاصيلها ، كما كانت موانيها تزود نجد وبطن الجزيرة العربية بالسلع الاوربية والمنتجات الهندية (٢) اما المناطق الوحيدة التي استعصت على التوسع فهي مناطق العتوب في شمال وجنوب الحسا .

وقبل ان نتناول موضوع العلاقة بين العتوب والوهابيين يتعين علينا ان نمر على التطورات التي شهدتها دولة العتوب فيما بين عام ١٧٩٠ ونهاية القرن ..

ب — سير التطورات في دولة العتوب (١٧٩٠ — ١٨٠٠) (٣)

أما في الكويت فقد حافظ الشيخ عبد الله على السياسة السلمية التي انتهجها في الحكم ، بينما ظل الحكم في البحرين والزبارة في يد احمد الخليفة ، إلى

---

(١) راجع « نجد الشمالية » ص ٢٦٠ .

(٢) انظر اعلاه ص ٩٥ / ٩٦ للتعرف على الثورة الزراعية للحساء . اما للاطلاع على الحالة التجارية في القطيف والعقير فانظر ادناه .

(٣) المصدر الرئيسي من المعلومات عن تطور دول العتوب في التسعينات من القرن الثامن عشر ، والذي تلقي شيئاً من الضوء على تاريخ هذه الدول في سجلات المركز التجاري لشركة الهند الشرقية . اما المصادر التي عاصرت مرحلتهم . وخاصة المصادر الوهابية منها ، فلا تحوي غيرب معلومات ضئيلة عن العتوب . فابن غنام وابن بشر يسجلان قصة الهجومين الوهابيين على الكويت والزبارة في ١٧٩٨ ، غير ان هذا الكتاب لا يقدم اي معلومات عن تطور دول العتوب بالنسبة للسجلات فهي لا تحوي معلومات واسعة عن المنطقة الجنوبية لدولة العتوب في قطر والبحرين.

حين وفاته في ١٧٩٦ ، وقد خلفه على الحكم ابنه ، الذي حكم حتى ١٨٢٥ .

أما في الشمال حيث كان الحكم للعتوب فقد ظلت البلاد تسير قدما في طريق التطور والازدهار خلال التسعينات من القرن الثامن عشر ، كما استطاع العتوب الافلات من قبضة التوسع الوهابي الذي كان يمثل الخطر الحقيقي على كافة القوى في شرقي الجزيرة العربية . وعلى الرغم من أن الضغط الوهابي على هذه المنطقة كان قوياً في ذلك الوقت فقد تضافرت عوامل كثيرة لابعاد الكويت عن دائرة الخطر الوهابي .

لقد عرفنا كيف استفاد العتوب من المصير الذي آل اليه غيرهم من الدول والموانى على الخليج (١) . وعلى الأخص من عملية حصار الفرس للبصرة ١٧٧٥ — ١٧٧٩ . وفي ١٧٩٠ ، أجبرت المشاكل التي واجهها المسئولون البريطانيون (٢) عن المركز التجاري في البصرة مع العثمانيين إلى الانسحاب من المنطقة . وفي ٣٠ (٣) من شهر إبريل ١٧٩٣ تم نقل مركزهم من البصرة إلى الكويت حيث بقوا هناك حتى شهر أغسطس ١٧٩٥ (٤) .

وقد عين « سمويل مانستي » رئيسا للمركز ، كما عين هرفورد جونز رئيسا مساعدا .

---

(١) راجع اعلاه ص ٤٩ — ٥٠ .

(٢) تحوي خطابات مانستي وجونز الى مجلس ادارة الشركة والسفير البريطاني السير روبرت اينلسلي في القسطنطينية معلومات مفصلة عن هذه المشكلات .

(٣) في بداية ١٧٩٢ غادر مانستي وجونز البصرة الى المعقل ، على بعد ٥ اميال شمال البصرة ، حيث انشأت الشركة منتجعاً لرجالها . وكان معظم خطابات المركز ترسل منه ، ولهذا كان المعقل او المأفل كما يسميه مانستي ، المكان الذي نقلت عن طريقه الشركة مركزها الى الكويت .

(٤) غادر مانستي وزملاؤه الكويت على ظهر سفينة تركية (راجع خطاب مانستي الى المستر روبرت لستون السفير البريطاني في القسطنطينية) الصادر من البصرة بتاريخ ١٣ / ٩٨ / ١٧٩٥ .

وإذا دل اختيار الكويت (١) كبديل عن البصرة على شيء فانما يدل على أن الكويت كانت فعلا دولة تتمتع بالاستقلال ولم تكن بلدا تابعا للعثمانيين (٢). وثمة أسباب عديدة لاختيار الكويت . فقد كانت الكويت منطقة هامة بالنسبة للشركة كمركز ارسال بريدها خلال احتلال الفرس للبصرة(١٧٧٥ – ١٧٧٩) وبعملية نقل المركز إلى الكويت لم تتأثر فكرة الاحتفاظ بمركز البصرة كما استطاع مانستي اقناع رؤسائه بأن نفقات المركز في الكويت لن تزيد على نفقاته في البصرة (٣) » زد على ذلك ان علاقته بالشيخ عبد الله الصباح بالبريطانيين كانت علاقة ودية ومن الجدير بالذكر ان الشيخ أقام احتفالا بمناسبة نقل المركز إلى الكويت (٤). كما كان هرفورد جونز يعرف الكويت إذ سبق له أن مضى فيها بعض الوقت في ١٧٩٠ عندما تدهورت صحته (٥) وربما اعتقد انستي ان ميناء الكويت يصلح لرسو سفن الشركة وبالتالي يمكن تفريغ البضائع عن طريقه على الرغم من ان مثل هذا الافتراض لو صح لكان عديم الجدو ، وبصرف النظر عن هذه المميزات كلها لم يجد مانستي منطقة أخرى يلجأ اليها بعد ان فشلت تهديداته ضد باشا بغداد واصبح مضطرا إما إلى سحب تهديده للباشا ، أو مغادرة البلاد (٦) .

(١) في خطاب بتاريخ ٢٢ / ١١ / ١٧٩٢ بعث به المستر مانستي من المعقل بالقرب من البصرة ، تحدث عن وجود مكانين يمكن ان يحلا محل مركز البصرة ، احدها الكويت والثاني جزيرة خارج .

(٢) لوريمر مجلد ١ ص ٤٠٠ نقلا عن بكنجهام في كتابه « رحلات في بلاد الاشوريين » ص ٤٦٢ – ٤٦٣ وذلك في ١٨١٦ وجاء فيه « ان ثاني ميناء هام على الساحل باسم الكويت ويسمى في خرائطنا الانجليزية بالعرين على الرغم من انه معروفاً بين العرب باسم الكويت . ولقد حافظ هذا الميناء على ما يبدو على استقلاله دائما واهله يعروفون بانهم من اشجع سكان الخليج وأكثرهم حرية وحبا للمغامرة ..

(٣) من مانستي الى اللجنة السرية بتاريخ ٢٢ / ١١ / ١٧٩٢ (البصرة) .

(٤) من مانستي الى اللجنة السرية في ١٨ / ٧ / ١٧٩٨٣ .

(٥) انظر اعلاه ..

(٦) من مانستي الى اللجنة السرية البصرة في ٢٢ / ١١/ ١٧٩٢ .

وقد ابلغ مانستي قراره هذا لحاكم بومباي ، وللسفير البريطاني في القسطنطينية ، ولمقر الشركة العام في لندن . وبهذا تم ارسال أول بريد إلى الهند من القسطنطينية عن طريق الكويت يوم ١٩ مارس ١٧٩٣ أي قبل مغادرة رجال المركز التجاري البصرة ووصل بريد الكويت قبل وصول رجال الشركة اليها (١) .

على ان انسحاب مانستي وهيئة الموظفين من البصرة لم يؤد إلى اغلاق المركز . فقد استخلف مانستي عليه احد وكلاء الشركة للاشراف على مصالح الشركة التجارية هناك . ولم ينس مانستي في الوقت نفسه أن يخطر ربابنة السفن البريطانيين بالرسو في الكويت وتفريغ شحناتها هناك بدلا من البصرة ، كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . وقد ارسلت خطابات بهذا الشأن إلى والي البصرة وإلى المستر نيكولاس هانكي سميث *Mr. Nicolas Hanki Smith* المقيم البريطاني في ابو شهر (٢) . ولم يظهر ربابنة السفن في البداية استعدادا للمجازفة بالرسو في ميناء كانوا يجهلون كل شيء(٣) عنه . بسبب ما كان ينطوي عليه مثل هذا العمل من مخاطره . ولكن بعض السفن زارت الكويت فيما بعد (٤) ، وأفرغت حمولاتها هناك ، ومن ناحية أخرى استمرت

(١) وصل هؤلاء يوم ٥ مايو ١٧٩٣ . كما جاء في خطاب من مانستي الى اللجنة السرية من القرين بتاريخ ١٨ / ٧ / ١٧٩٣ وكان اول خطاب ارسلته الشركة من الكويت بعنوان هرفورد جونز وكان يحمل تاريخ ٧ مايو ١٧٩٣ . برقم ١٦٥٤ وفي هذا الخطاب يقترح مانستي على المستر جونز بأن يتوجه الى المحمرة ومعه رسائل هامة كانت قد وصلت الى القرين من السفير البريطاني الى حكومة بومباي ..

(٢) انظر رسائل مانستي إلى حاكم البصرة وإلى المستر سميث بتاريخ ٦ / ١٢ / ١٧٩٣ .

(٣) رفض جي . هاملتون (*Gay Hamilton*) قبطان الباخرة الامتثال لتعليمات المستر مانستي (بسبب مسؤوليته عن حماية السفينة . وحمولتها من الركاب الذين كانوا على ظهرها) لانه لم يكن يعرف شيئاً عن ميناء الكويت (راجع خطاب من الكابتن هاملتون إلى المستر مانستي بتاريخ ٢٧ / ٥ / ١٧٩٣) وكان الخطاب صادراً من بيجم شاه ، على مدخل خليج البصرة)

(٤) كمثل على هذا نشير إلى موضوع الباخرة " لوريبل " التي وصل بها ربانها الكسندر فوجو إلى جزيرة فيلكة وبعث رسالة منها إلى المستر مانستي يطلب تعليمات جديدة انظر خطاب مؤرخ وليو ١٧٩٣ .

المفاوضات بين الباشا ومانستي ويلوح لنا أن مانستي لم يصر على تفريغ السفن في الكويت ، طالما كان المركز التجاري موجودا في البصرة .

إلا ، ان مانستي على ما يبدو قد ادرك بعد مرور عام على إقامة المركز الجديد في الكويت ان تقديراته عن التسهيلات التي توخاها من إقامة المركز في الكويت لم تكن تقديرات سليمة تماما . أولا ، لان الكويت بدأت تستهدف لتهديد الوهابيين الذين هاجموها أكثر من مرة فيما بين عامي ١٧٩٣ و ١٧٩٥ وثانيا ، لان حاكمها الشيخ عبد الله الصباح قد طعن في السن حتى لم يعد يستطيع الاضطلاع بمسؤليات الحكم (١) .

وهكذا اتضح لمانستي ان الكويت لم تكن بديلا صالحا عن البصرة . وقد اسفرت المفاوضات التي دارت في شهر أغسطس ١٧٩٥ عن اعادة المركز إلى البصرة ، بعد ان ظل سنتين وأربعة أشهر في الكويت . ولقد اعرب المستر مانستي في خطاب بعث به إلى مجلس الادارة بتاريخ ٨ يوليو ١٧٩٥ عن ارتياحه إلى « الطريقة المشرفة » التي اعيد بها فتح المركز في البصرة (٢)وفي ٢٧ أغسطس ١٧٩٥ غادر مانستي القرين على ظهر باخرة عثمانيه تحرسها سفن عثمانيه أخرى والسفينة « فايير » التابعة لشركة الهند الشرقية ، وفي الثاني من شهر سبتمبر وصلت القافلة إلى البصرة ، وبتاريخ ٤ سبتمبر أعلن عن وصول المستر مانستي إلى البصرة (٣). من جهة نظر الشركة ، لم تحقق إقامة المركز في الكويت أغراضها ، ولكنها اقنعت الباشا بسلامة وجهة النظر

---

(١) انظر خطاب من مانستي إلى مجلس الادارة بتاريخ ١٥ / ٧ / ١٧٩٤ من القرين .

(٢) من مانستي إلى مجلس الادارة (القرين في ١٣ / ٩ / ١٧٩٥) الخطاب صورة عن خطاب مؤرخ ٢٣ اغسطس ، مؤرخ ٨ يوليو من نفس العام الا ان المؤلف لم يعثر على الخطابين الاخريين ومن المحتمل ان يكونا قد فقدا .

(٣) في خطابين من المستر مانستي بتاريخ (البصرة في ١٣ سبتمبر ١٧٩٥) وصف مانستي الزهو الذي استولى عليه . وكان احد الخطابين موجه إلى مجلس الادارة والثاني إلى المستر روبرت لستون ، القنصل البريطاني في القسطنطينية .

البريطانية أما بالنسبة لحاكم الكويت ، فقد كانت إقامة المركز في الكويت عاملا هاما في تعزيز المركز الاقتصادي ، إلا أن المصادر المحلية لم تذكر شيئا عن نشاط المركز في الكويت ، وكذلك المؤرخون العرب لم يذكروا أي شيء عن هذا النشاط وعلى كل حال فيمكن استخلاص هذه الاهمية من تقارير ورسائل الشركة التي كانت تبعث بها من الكويت ومن المعلومات التي وردت على لسان بريدجز في كتابه « الوهابى » وفي كتاب « شهريات مراسل » للدكتور سيتزن (١) .

ومن الواضح ان الكويت قد استفادت كثيراً من مرور السلع التي كانت ترد عن طريقها . ومع انه لا توجد احصاءات دقيقة عن حجم السلع والبضائع المذكورة ، الا انها كانت حتماً تفوق كميات السلع التي كانت تصل البلاد قبل اقامة المركز (٢) .

كما استفادت الكويت على ما يبدو من بريد الشركة الذي كان يتم ارساله بالنظام البري السريع الذي تقوم بنقله مجموعة من راكبي الجمال يتم اختيارهم من بين الاهالي العرب سكان المنطقة او ممن يعتمدون في معيشتهم على هذاالمورد

هذا وفي سنة ١٧٩٠ قويت الاتصالات الشخصية بين مانستي وشيخ الكويت ،

---

(١) جاء في خطاب بتاريخ ٢٢ ابريل ١٨٠٩ من مالطة من الرحالة برهارت إلى السير.جوزيف بانكس.، سكرتير جمعية اكتشاف المناطق الداخلية في افريقيا ، يقول فيه عن الدكتور سيتزن ما يلي " ان الدكتور سيتزن طبيب الماني ، اوفده منذ نحو ٥ او ٦ سنوات ديوك اوف ساكس جوثا إلى الشام لجمع المخطوطات والتحف الشرقية . وقد امضى الدكتور وقتاً طويلا في القسطنطينية ، كما امضى الثمانية عشر شهراً الاخيرة في القاهرة من.حيث بعث بخطابه (المؤرخ ٩ فبراير المنصرم) إلى المستر بيكر (شقيق القنصل البريطاني ني مالطة). وبعد ان قام بارسال مجموعة قوامها الف وخمسمائة مخطوط وثلاثة آلاف من مختلف التحف قرر التوجه إلى السويس وإلى بلاد النوبة " طبعة لندن ١٨٢٢ " ص ٦ كذلك يتحدث برهارت عن رحلات سيتزن إلى سوريا والاراضي المقدسة في كتابه " رحلات إلى سوريا والاراضي المقدسة " (طبعة لندن ١٨٢٢) ص ٥ .

(٢) للاطلاع على بعض الا حصاءات والتفاصيل انظر الفصل التالي ص ١٨٠ .

كما شملت هذه الاتصالات بعض تجار الكويت الذين كان المركز التجاري في البصرة يستأجر سفنهم أحياناً لتقوم بنقل بريد الشركة إلى الهند ، لتتفادى اعتراض الاسطول الفرنسي للسفن البريطانية لو قامت بنفسها بنقل البريد كما سمح شيخ الكويت لممثلي المركز البريطاني بتفتيش المبعوثين الفرنسيين والبريد الفرنسي الذي كان ينقل بالسفن الكويتيه .

شهدت التسعينات من القرن الثامن عشر نشاطاً فرنسياً واسع النطاق ، في ارجاء الخليج العربي . وفي عام ١٧٩٣ نشبت الحرب بين انجلترا وفرنسا ، كما ضاعفت فرنسا من نشاطها في الهند والمحيط الهندي ومن جهة أخرى توسع الفرنسيون في استخدام الطريق البري عبر صحراء الشام والخليج العربي كطريق إلى الهند . على ان المبعوثين الفرنسيين والبريد الفرنسي قد اصبحا معرضين للتفتيش من جانب المركز البريطاني في الخليج . ان البحث في تفاصيل التنافس الانجلو – فرنسي في الخليج ، لا يدخل في نطاق هذا الكتاب . ولعله يكفي ان نقول بأنه صراع ترك بصماته على المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية وعلى العتوب أيضاً .

وكان صراع الفرنسيين ضد الانجليز في الهند يرمي إلى اغلاق طريق الخليج في وجه البريطانيين ، وفتحه امام الملاحة الفرنسية والبريد الفرنسي إل الهند ، ولهذا توافد المبعوثون الفرنسيون على الاقطار المتاخمة للخليج (١) ، محاولين بذلك كسب (٢) صداقتها ورافق هذه الخطوات وصول وحدات من الاسطول الفرنسي إلى المحيط الهندي والخليج العربي للقيام بدورات في مياهها(٣)

---

(١) انظر خطاب من وليم ويكهام ، الوزير البريطاني المفوض إلى اتحاد دول السويد بتاريخ ٣٠ / ٦ / ١٧٩٦ من برن .

(٢) من السير ريتشارد وورسلي الوزير المقيم في فينيسيا ، وكبير المشرفين أو عميد الوكلاء في البصرة بتاريخ ١٥ / ٣ / ١٧٩٦ من فينيسيا .

(٣) راجع في هذا الصدد الخطابين المرسلين من المستر مانستي إلى اللجنة السرية بتاريخ اولهما ٢٣ / ٨ / ١٧٩٥ صادر من القرين والثاني من البصرة بتاريخ ٢٠ / ١١ / ١٧٩٦ بالاضافة إلى خطاب ثالث كان قد ارسله المستر مانستي إلى المستر ويكهام من البصرة بتاريخ ١٥ / ١١ /١٧٩٦ .

وفي نفس الوقت بعث الفرنسيون بعدد من الطرود البريدية إلى البصرة عبر الطريق البري ، كما حاولوا ارسال طرود أخرى إلى الهند عن طريق السفن العربية.

ومن خلال هذا الجانب للنشاط الفرنسي في الخليج وقد وقع الاحتكاك بين العتوب والفرنسيين وقد استغلت الصداقة التي كانت تربط بين المستر مانستي وعبد الله آل صباح لاحباط محاولات الفرنسيين للتعاقد على استئجار سفن العتوب لنقل المبعوثين والطرود البريدية الفرنسية عن طريقها وكان السبب الرئيسي لاستخدام السفن العربية انه لم يكن للانجليز او الفرنسيين خطوط برية منتظمة في الخليج ، فضلا عن الرغبه في المحافظة على سرية التقارير وهو ما لم يكن يتأتي الا عن طريق استخدام السفن الشراعية العربية ، التي كان يقودها ربابنة عرفوا بالامارة (١) .

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر كان النفوذ البريطاني يسود منطقة الخليج ، غير ان ارسال الطرود والمراسلات البريدية لم يكن مقصوراً على المراكز التجارية البريطانية وحداها . وكان جزء كبير منها يرسل إلى الهند عن طريق المحيط الهندي ويتعرض لتهديد السفن الفرنسية كلما تأزم الموقف بين فرنسا وانجلترا في اوربا او غيرها من البلدان (٢) ويقال بأن الانجليز والفرنسيين كانوا يفتشون السفن العربية ، إلا أن مثل هذا الاجراء لم يكن يحدث ، على ما يبدو ، إلا في الحالات التي كانت ترسل فيها الطرود البريدية في سفن مجهولة الجنسية . وكان من الصعب ، وغير العملي ان يستطيع كلا الاسطولين اعتراض

---

(١) يمكن ان نضرب مثلا على ذلك الشيخ ابراهيم الغانم ، الذي سافر على ظهر سفينه من مسقط إلى البصرة اثنان من الرعايا الفرنسيين وقد رفض الغانم ان يسمح باعتقال الفرنسيين رغم المبالغ الكبيرة التي عرضها عليه البريطانيون . ولكنه وافق في النهاية بعد ان تسلم خطاب بتوقيع شيخ الكويت يطلب فيه تسليم الفرنسيين للانجليز (تفاصيل هذا الحادث وردت في خطاب مانستي إلى رينو من القرين بتاريخ ١٠ / ٧ / ١٧٩٥) .

(٢) المعروف ان السفن الحربية الفرنسية زارت الخليج في شهر يوليو ١٧٩٣ ، وقيل انها كانت تمثل تهديداً خطيراً لرحلات البريد البريطانية راجع خطاب مانستي إلى اللجنة السرية من القرين بتاريخ ١٨ / ٧ / ١٧٩٣ .

طريق كل سفينة عربية ، لأن مثل هذا الاجراء لا بد ان يثير لهم مشاكل مع الشيوخ العرب ، اللذين كانوا يعارضون مثل هذه الاجراءات . وبالاضافة إلى كل هذا كانت السفن العربية مجهزة بالمدافع مما يجعل عملية اعتراض طريقها(١) أمراً محفوفاً بالمخاطر .

لم يكن موقف العتوب من عمليات تفتيش السفن او اعتراض طريقها يتفق كل الاتفاق مع رغبة الانجليز ، على الرغم من الخدمات العظيمة التي كان يقدمها المركز البريطاني للكويت (٢).وعلى الأخص بعد نقل المركز إلى الكويت في ١٧٩٣ . وعلى الرغم من أن شيخ البلاد كان ميالا إلى الانجليز إلا أنه لم يكن يقر تصرفاتهم تجاه السفن العربية التي تنقل المواطنين الفرنسيين وطرود البريد الفرنسية. هذاما كان عليه الموقف في شهر يناير ١٧٩٣ ، عندما اصدر مانستي أوامره إلى رينو باعتقال السنيور غاليمو فيسانزو فيستي *Signor Guliclmo Vicenzo Vissti* نجل قنصل فرنسا في حلب ، بينما كان مسافراً على ظهر احدى السفن الكويتية(٣) وجدير بالذكر أن مانستي الذي لم يكن متأكداً من اعتقال فيستي في الكويت ، سلم رينو رسائل إلى كل من شيخ البحرين وابن خلفان ، وإلى مسقط(٤) يطلب

---

(١) يتحدث المستر مانستي عن قوة تسليح السفن العربية عموماً في خطاب بعث به من القرين بتاريخ ٢٣ / ٨ / ١٧٩٥ إلى اللجنة السرية تنبأ فيه ان هذه السفن سوف تشكل خطراً كبيراً على التجارة البريطانية في الخليج . وفي خطاب آخر من القرين ايضاً بتاريخ ١٧ / ١ / ١٧٩٥ إلى اللجنة السرية تحدث مانستي عن السفن الكويتية وقال انها كانت مسلحة تسليحاً كاملا مما يجعلها قادرة على الدخول في عمليات حربية

(٢) من مانستي إلى رينو بتاريخ ١٧ / ١ / ١٧٩٥ من القرين . يتحدث فيه عن استياء الشيخ عبد الله من هذا الحادث فقد ورد في رسالة أخرى من مانستي إلى اللجنة السرية بتاريخ ١٨ / ١ / ١٧٩٥ ان السنيور فيستي لم يكن في حوزته أي مراسلات فرنسية ولذا سمح له بمواصلة رحلته إلى الهند .

(٣) رسالة من مانستي إلى رينو صادرة من القرين بتاريخ ١٧ / ١ / ١٧٩٥

(٤) انظر ادناه ص ١٦٢ — ١٦٣ بشأن موقف المركز التجاري من الوهابيين الذين أغاروا على الكويت خلال اقامة المركز القصيرة في الكويت .

فيها تسهيل مهمة رينو . أما كيف استجاب الحاكمين لطلب مانستي فلا يزال أمراً مجهولاً حتى الآن لأن القبض على فيستي قد تم في الكويت قبل ارسال الخطابين ، على ان ارسال خطاب إلى أحمد آل خليفة شيخ البحرين تعني انه كان على صلة طيبة بالبريطانيين .

وفي نهاية العام تغير موقف الشيخ عبدالله من موضوع مصادرة البريد الفرنسي . ففي يوم ١٠ يوليو تلقى المركز البريطاني في الكويت معلومات عن سفينة كويتية ابحرت من ميناء مسقط إلى البصرة وعلى ظهرها فرنسيان يحتمل أنهما يحملان بريداً فرنسياً من جزر موريشيس ولهذا طلب مانستي من الشيخ عبدالله ان يكتب إلى ربان السفينة الكويتية بأن يسمح لرينو مصادرة البريد المذكور . غير ان هذه الاوامر لم تنفذ ، بسبب مرض رينو بعد مغادرته الكويت مباشرة . وقد يكون من الطريف ان نلاحظ بأن الشيخ لم يكتب الرسالة بمحض رغبته (١).

بعد ٣ اشهر وقع حادث مشابه لهذا الحادث ، ولاسباب غير معروفة اتخذ منه الشيخ موقفاً مغايراً لموقفه السابق إلى حد كبير . ففي ٢٥ اكتوبر صدر أنستي أمراً بمصادرة رسائل كان يحملها أحد الفرنسيين ويدعى جيرار وكان مسافراً عن طريق البصرة إلى سورت على ظهر سفينة شراعية كويتية ، تابعة للشيخ ابراهيم غانم (٢). وقد سلم مانستي إلى رينو خطاباً بهذا المعنى موجهاً للشيخ عبد الله يطلب منه تبليغ ابراهيم بالسماح لرينو بالاستيلاء على الرسائل التي كانت في حوزة الفرنسي . وقد لبى الشيخ مانستي ، الا أنه أعرب عن شكه فيما إذا كان الربان سيمتثل للطلب ، ولانجاح مهمته حمل رينو معه مبلغ ٤٠٠ ريالا ليدفعها إلى ابراهيم مقابل تنفيذه لطلب الشيخ . وقد وافق ابراهيم

(١) من مانستي إلى رينو ، القرين في ١٠ / ٧ / ١٧٩٥ .
(٢) عائلة الغانم هي من أغنى الاسر الكويتية الان .

على الطلب (١)بعد أن أطلع على خطاب شيخ الكويت (٢) .

وبتاريخ ١٣ نوفمبر من نفس العام أصدر الشيخ عبد الله امراً بتخويل المقيم البريطاني في البصرة سلطة تفتيش جميع سفن العتوب التي تنقل بريد المبعوثين الاجانب (٣) إلى البصرة ومن الطريف ان نلاحظ ان السفن التي جرى تفتيشها بهذه المناسبة كانت سفن الشيخ ابراهيم الغانم . وقد كان لهذا الاجراء أهميته بالنسبة للبريطانيين لانه سهل لهم عملية مصادرة البريد الفرنسي قبل وصول المبعوثين الفرنسيين إلى البصرة والاتصال بالقنصل الفرنسي هناك . وهكذا انفسح المجال أمام البريطانيين لكي يزاولوا نشاطهم في اراضي الدولة العثمانية .

ويبدو ان الفرنسيين قد تنبهوا إلى خطة الانجليز في مصادرة المراسلات ولهذا لم نعد نسمع عن سفن للعتوب تقوم بنقل المندوبين والمبعوثين الفرنسيين ، أو المراسلات البريدية الفرنسية خلال السنوات الاربع التي اعقبت ذلك . وثمة

(١) من مانستي إلى رينو بتاريخ ٢٥ / ١٠ / ١٧٩٥ (البصرة) ينبغي ان نتذكر ان المركز البريطاني أعيد فتحه في البصرة يوم ٢٧ اغسطس ١٧٩٥ يمكن الاطلاع على المعلومات عن العملات المحلية والاجنبية التي كانت متداولة في الخليج وهي كتيب مجهول بعنوان " بيان عن العملات ، والاوزان والمقاييس الخ . " ضمن محتويات المتحف البريطاني . وقد صدر في لندن ١٧٨٩ .

(٢) لعل ابراهيم قد تعرف على رينو خلال إقامة الاخير في الكويت كعضو في هيئة المركز البريطاني .

(٣) جاءت هذه الموافقة بعد طلب تقدم به مانستي إلى الشيخ وحمله إليه رينو في رحلته الاخيرة انظر رسالة رينو إلى مانستي الصادرة بتاريخ ١٣ / ١١ / ١٧٩٥ من البصرة ففي هذه الرسالة يدلي رينو بتفصيلات طريفة عن مهمته وكيف تردد ابراهيم في بادىء الامر ثم كيف ساعد في النهاية على مصادرة المراسلات البريدية .

(٤) يشير مانستي في رسالة أخرى منه إلى رينو إلى شخصيتين كويتيتين اخريين كانتا تملكان سفناً خاصة بهما وكانتا تقودان تلك السفن احداهما محمد بكر الدويسري ، وهو من أسرة لا تزال تعيش في الكويت وان لم تكن في ثرائها كثراء عائلة الغانم والشيخ علي بن سليمان . ويقال ان سفن هؤلاء التجار كانت مسلحة تسليحاً يجعلها قادرة على خوض الحرب . راجع نفس المصدر .

سبب آخر لعله اتفاقية ترثار اغاس [1] . التي تقرر بموجبها تسليم المراسلات الفرنسية الوارده باسم المسيو روسو ، قنصل فرنسا في بغداد إلى المستر رينو [2] . وينبغي الاشارة هنا إلى أن المناورات التي قامت بها الدبلوماسية الفرنسية في القسطنطينية وبغداد وايران ، ومسقط خلال الفترة من ١٧٩٣ و ١٧٩٨ ، لم تشمل دولة العتوب ونستنتج من ذلك ان وجود المركز البريطاني في الكويت فيما بين ١٧٩٣ و ١٧٩٥ فضلا عن السياسة الموالية للانجليز التي كان يسير عليها الشيخ ، حالتا بين الفرنسيين وكسب تأييد شيخ الكويت [3] لهم .

باحتلال الفرنسيين لمصر وما حققه البريطانيون من نجاح دبلوماسي في مسقط ، وفي بلاط الفرس ١٧٩٨ ، لم يعد ثمة أي مجال للمبعوثين الفرنسيين أو للمراسلات الفرنسية في المنطقة .

وباستثناء هذا النشاط الاوربي فثمة جانب هام من تاريخ العتوب لم يتناوله المؤرخون ، ألا وهو علاقتهم بالوهابيين .

حـ ـ علاقات العتوب بالوهابيين ١٧٩٣ ـ ١٨٠٠ :

إنطلاقاً من هذه الخلفية التاريخية للاوضاع في شرقي شبه الجزيرة العربية عموماً ودول العتوب خصوصاً يمكننا دراسة العلاقة بين العتوب بالوهابيين .

---

(١) كانت المراسلات البريدية من الكويت والبصرة إلى حلب تنقل عادة عن طريق قوافل الجمال السرية السريعة بينما كانت المراسلات البريدية القادمة من القسطنطينية تنقل عن طريق الرسل الاتراك وكان يسمون " الك " بالتركية .

(٢) بموجب هذا الاتفاق استطاع رينو ارسال البريد الفرنسي مختوماً «خطاب من رينو ببغداد إلى مانستي بالبصرة بتاريخ ٢٥ / ٨ .

(٣) عندما وصل المسيو بوشام وغيره من المبعوثين الفرنسيين إلى حلب قادمين من تركيا في طريق رحلتهم المزمعة إلى مسقط ، كتب المستر روبرت ابوت ، المعتمد البريطاني في حلب إلى مانستي في البصرة يبلغه بأن الفرنسيين ربما يسافرون إلى مسقط عن طريق ايران وليس عن طريق الكويت ، أو الحسا ، او الزبارة (انظر خطاب ابوت لمانستي من حلب بتاريخ ٢٧ / ١ / ١٧٩٨ وبتاريخ ١ / ٢ / ١٧٩٨) .

ويمكن تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة اجزاء فتتناول في الجزء الاول منها أوضاع العتوب واستفزازاتهم للوهابيين ثم الاحتكاك معهم . أما في الجزء الثاني فسنتناول العمليات العسكرية التي وقعت بالفعل بين الطرفين . وفي الجزء الثالث فنحاول أن نبين كيف استطاع العتوب ان يتفادوا الوقوع في قبضة النفوذ الوهابي حتى نهاية القرن الثالث عشر .

وينبغي ان نتذكر ان دول العتوب كانت تؤلف جزءاً من المنطقة الشرقية للجزيرة العربية ، حيث بدأت في انشاء مدن صغيرة تحت حماية زعماء بني خالد [١] ، كما ظل موقف بني خالد من زعماء العتوب في كل من الكويت والبحرين على ما هو عليه حتى بعد ان ازدادت اهمية المدن التي انشأها العتوب ، واحتلالهم البحرين . وهكذا استمرت العلاقات الوديةبين بني خالد والعتوب كما قدم العتوب المساعدات إلى بني خالد خلال بعض الازمات التي مرت بهم .

ان اقامة زايد بن عريعر المؤقتة في الكويت ١٧٩٣ ، بعد فشل الهجوم الوهابي على الحسا [٢] ، ولجوء عبد المحسن في ١٧٩٥ ، اليها لنفس الاسباب ، يعتبر في نظرنا دليلا على ذلك التضامن .

أضف إلى ذلك ان عدداً لا يستهان به من سكان الحسا الذين فروا [٣] في ١٧٩٥ منها على اثر الهجوم الوهابي ، قد منحوا حق اللجوء السياسي في الزبارة ، معقل العتوب [٤] .

وينطبق هذا القول على قبائل بدو بني خالد ، الذين اعتادوا اللجوء إلى

---

(١) انظر " نشأة الكويت " ص ٤٥ وانشاء مدينة الزبارة ص ٦٥ .

(٢) راجع اعلاه .

(٣) نفس المصدر .

(٤) يقول المؤرخ ابن غنام مجلد ٢ ص ٢٠٥ " ان عدداً كبيراً من سكان الحسا سمح لهم باخلاء معاقلهم بشرط مغادرتهم البلاد . وقد غادروها فعلا وابحروا بقواربهم ولجأوا إلى الزبارة وأبلغوا زعماءها بما وقع لهم في الحسا .

الزبارة كلما اضطرهم الوهابيون إلى ذلك بينما كان سكان المدن يستقلون السفن إلى الزبارة او إلى الجزر الساحلية مما لم تكن قد خضعت بعد للسيطرة الوهابية[1]. وكان العتوب يقومون بدور الحماية ، كما كانوا يعززون مقدرتهم على القتال ، ولعل تدفق اللاجئين قد نبههم إلى مكمن الخطر . غير ان تدفق اللاجئين على دول العتوب من ناحية أخرى قد اكد للوهابيين ضرورة اخضاع العتوب لسلطانهم .

غير ان ايواء العتوب للاجئين من الاضطهاد الوهابي لم يكن — السبب الوحيد للصراع بين الوهابين والعتوب . فقد كانت معتقدات الوهابيين تفرض عليهم ، محاربة أهل الشرك وأهل البدع أياً كانوا . ولهذا لم يستثن الوهابيون العتوب من هذه القاعدة سيما وان العتوب كانوا يمارسون الاسلام بنفس الطريقة التي كان يمارسه بها غيرهم من المسلمين والتي تتعارض مع مفهوم الوهابيين للاسلام كما كانوا يعتبرون سكان البحرين من أهل الشرك والرفض (الشيعة) [2] . وبالتالي فان مثل هذه الاقطار ، وفقاً للعقيدة الوهابية يجب ان تخضع لسلطان الحكم الوهابي .

ومن المحتمل ان الوهابيين كانوا يطمعون في الثروة الواسعة التي استطاع أن يجمعها العتوب عن طريق نشاطهم التجاري . وأياً كان الدافع لمهاجمة الوهابيين شرقي الجزيرة العربية فان استيلاءهم على ممتلكات العتوب الذين كانوا في

---

(١) يعتبر الوهابيون من اقدر المقاتلين في الحروب البرية ، والعكس بالنسبة للقتال في البحر ، ولهذا وقفوا عاجزين عن مهاجمة الجزر التابعة لبني خالد . وحتى بالنسبة لجزيرة العماء التي استولوا عليها في البداية فقد كانت تقع قريبة من الشاطىء وكان في استطاعة الناس ان يصلوها سباحة او خوضا وحتى بالنسبة لهذه المعركة اضطر الوهابيون إلى الاستنجاد بقبيلة المحاشير ، وهي فرع من بني خالد (انظر ابن غنام مجلد ٢ ص.٢٢٥ / ٢٢٦) .

(٢) انظر ابن غنام مجلد ١ ص ١٥ كان الشيعة ولا يزالون يشكلون جزءاً كبيراً من سكان الكويت والبحرين . حتى الان اما في البحرين فيرجع تاريخ وجود الشيعة إلى عهد القرامطة .

نظرهم من هل الشرك لم يكن يتعارض مع مبادئهم [١] .

على أن الصدام المسلح بين العتوب والوهابيين لم ينشب بصورة فعلية قبل ١٢٠٨ — ١٧٩٣ ، يوم ان كاد الوهابيون ان يجهزوا نهائياً على بني خالد عن طريق الغارات المتلاحقة التي شنوها على مختلف مدن الحسا . ويبدو ان العتوب لم يتمكنوا من تأليف جبهة موحدة تمكنها ان تقف في وجه الوهابيين . كان اول من تعرض لغارات الوهابيين في ١٧٩٣ هم آل الصباح بينما لم يتعرض آل خليفة لهجوم كهذا قبل سنة ١٧٩٥ وحتى لو افترضنا ان آل خليفة وابناء عمومتهم من آل الصباح كانوا يعرفون مقدماً بالهجوم الوهابي الذي يدبر ضدهم إلا أن بعد المسافة بين الكويت والبحرين والزبارة كان يحول دون تحرك قوات العتوب سواء براً أو بحراً لنجدة بعضهم البعض . كذلك فان اسلوب الوهابيين في الهجوم الخاطف ثم الانسحاب لم يكن يسمح بمثل هذا العمل . لأن الوهابيين كانا يعتمدون في عملياتهم الهجومية على سرعة الحركة [٢] ويتحدث المؤرخون الوهابيون عن غارتين من هذا القبيل شنها الوهابيون على الكويت [٣] . وقعت الاولى في سنة ١٢٠٨ — ١٧٩٣ بقيادة ابراهيم بن عفيصان ، الذي سبق له ان انتصر على بني خالد في معركة [٤] الحسا . وكان جيش بن عفيصان يتألف من عرب نجديين من منطقة الحرج ، والعارض والسدير ، ولا يذكر أي من ابن بشر وابن غنام ان اهل الحسا اشتركوا في هذا الجيش [٥] . وعلى اي حال فقد اشترك اهل الحسا فعلا مع القوات الوهابية في الغارة الثانية التي شنوها ١٢١٢ — ١٧٩٧ . ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد

(١) لمع الشهاب في معالجته لغارات الوهابيين على الزبارة يذكر بأنها كانت من اهم واغنى الموانى وإنها كانت تضم بعض اغنى العائلات التجارية مثل ابن رزق، وبكر لولو وغيرهم من أسرة آل خليفة انظر ص ٩٥ .

(٢) انظر " انطباعات عن البدو " ص ٣١١ — ٣٣٢ وكتاب " الوهابي "

(٣) ابن غنام مجلد ١١ ص ١٩١ و٢٧٣ وابن بشر مجلد ١ ص١١٢ و ١١١ .

(٤) انظر اطلاه ص ١٤١ — ١٤٢ .

(٥) ابن غنام مجلد ٢ ص١٩١ وابن بشر مجلد ١ ص ١٠٢ .

أن المؤرخين الوهابيين يذكرون « بأن الكويتيين تصدوا للمغيرين خارج أسوار المدينة واستولوا على أسلحة هامة » وعاد ابن عفيصان [١] ورجاله محملين بالغنائم بعد ان قتلوا ثلاثين من الكويتيين [٢] .

أما الغارة الثانية على الكويت ، فقد وقعت على حد قول المؤرخين المذكورين في سنة ١٢١٢ — ٢٧٩٧ [٣] . ونقرأ في تقارير المركز التجاري في البصرة [٤] وكتاب « الوهابي » تأليف بريدجز [٥] ، أن الوهابيين استمروا في شن هجماتهم على الكويت المرة تلو الاخرى طوال وجود المركز التجاري البريطاني هناك . ويقدم بريدجز وصفا ممتعاً لغارة من أخطر الغارات التي شنها الوهابيون على الكويت ، ويكشف فيه كيف أن الشيخ « عبدالله آل الصباح ورجاله البواسل صدوا ذلك الهجوم [٦] . الذي وقع على ما يبدو ، قبل مغادرة بريدجز الكويت إلى بغداد ١٧٩٤ ، ومنها إلى القسطنطينية ، ثم لندن . الا أنه من المتعذر أن نقرر ، مما جاء على لسان المؤرخين الوهابيين ، في المصادر البريطانية ما إذا كان العتوب يتخذون موقف الهجوم بأستمرار . ولعل الإشارة الوحيدة عن عملية هجومية قام بها العتوب ضد الوهابيين وردت على لسان مؤرخ ابن غنام [٧] . في معرض تعليقه على أحداث ١٢١٢ — ١٧٩٧ ، حيث يقول : « أن شخصاً يدعى مشاري بن عبد الله الحسين هاجم فريقاً من الوهابيين في الكويت وكان المهاجمون يمتطون الفرسان ونحو ٢٠ جملا وأن مشاري لقي مصرعه في هذه المعركة [٨] .

---

(١) ابن غنام مجلد ٢ ص ١٩١ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) ابن غنام مجلد ١ ص ٢٧٣ وابن بشر مجلد ١ ص ٣ .

(٤) راجع خطاب مانستي وجونز إلى مجلس ادارة الشركة الصادر من القرين بتاريخ ١٥ / ٧ / ١٧٩٤ .

(٥) راجع كتاب الوهابي تأليف بريدجز .

(٦) نفس المصدر ص ١٣ — ١٥ .

(٧) لا يتعرض ابن بشر في مؤلفه إلى هذا الهجوم . (٨) ابن غنام مجلد ٢ ص ٢٧٤ .

وفي مطلع السنة المذكورة هاجم الوهابيون الكويت بقيادة مانع أبو رجلين. وان العتوب قد تصدوا للمغيرين خارج أسوار المدينة ، الا انهم عادوا وتراجعوا أمام ضغط العدو تاركين وراءهم كثيراً من الاسلحة وعشرين قتيلا [١] .

وربما كان الوهابيون يهدفون من هذا الهجوم على العتوب إلى أن يدخلوا في روعهم بأنهم قادرون على الانتقام من كل من يساعد عدوهم . الا ان تورط الوهابيين في حملات تويني ، وباشا بغداد ضدهم ، بتحريض من العثمانيين ، قد أنقذ عتوب الكويت من الوقوع في قبضة النفوذ الوهابي .

ويبدو ان العتوب قد قاموا بدور ما في صالح العثمانيين فخلال ١٢١١ و ١٧٩٦ رابطت قوات تويني نحو ثلاثة أشهر في الجهرة بالقرب من الكويت خلال انسحابهما إلى العراق وقد حدث هذا في مناسبتين أحدهما قبل أغتيال تويني على يد أحد المتطرفين الوهابيين في الحسا ثم بعد هذا الحادث

في أواخر سنة ١٧٩٥ ، بعد اخفاق ما أطلق عليه المؤرخون الوهابيون « بالمؤامرة المدبرة ضد الوهابيين في الحسا » فر عدد كبير من بني خالد وسكان الحسا إلى البصرة وبغداد . وهناك أقنعوا باشا بغداد بايفاد تويني على رأس حملة ضد الوهابيين ، الذين كانوا يستعدون لشن هجوم على البصرة باعتبارها تؤلف جزءاً لا يتجزأ من أراضيهم . وبالرغم من ان دور العتوب في حملة تويني لم يتضح تماما لان المراجع على اختلافها تشير إلى بني خالد ومن يؤيدونهم فلا بد انهم قد ايدوا تويني لأنهم كانوا مهددين دائماً من قبل الوهابيين ، فضلا عن انهم كانوا يؤيدون بني خالد .

وعلى كل فان تأييد العتوب لتويني ، قد حمل القائد الوهابي، ابراهيم بن

---

(١) ابن بشر مجلد ١ ص ١١١ حيث يقول " بأن هذا الهجوم على الكويت قد نفذ بأمر من عبد العزيز آل سعود كما ان اختيار الجيش المهاجم من اهل الحسا ، ربما كان يعني ان عبد العزيز يريد اختبار ولاء سكان هذه البلاد التي اخضعها لحكمه قبل عامين أي في سنة ١٧٩٥ .

عفيصان الذي عينه سعود محافظا للحسا بعد أخضاعها سنة ١٧٩٥ ، إلى أن يستأذن عبدالعزيز آل سعود في الزحف على مستعمرة الزبارة وضواحيها والاستيلاء عليها [١] . وكانت الزبارة المكان الذي يأوى اليه الفارون من الاحتلال الوهابي [٢] . وحيث كانوا يحيكون المؤامرات ضد الحكم الوهابي في الحسا . ولم يتضح لنا من «لمع الشهاب» الاسباب التي دعت بن عفيصان إلى توجيه طلبه إلى عبد العزيز بصورة سرية . كما لم تتضح ايضا الاسباب التي حالت بين بن عفيصان من شن هجومه على المدينة رغم تفويض عبد العزيز له بذلك ، وعلى كل حال ، فقد أستهل بن عفيصان هجومه على الزبارة بأرسال بعض الفرق للاغارة على ضواحي المدينة . وأوعز إلى هذه الفرق بفصل الجزء البري من المدينة لقطع الطريق على سكانها من ارتياد موارد المياه والمناطق الزراعية وكانت المدينة تعتمد على سد حاجتها من الماء على آبار تقع على بعد فرسخ ونصف (أي سبعة أميال) منها وقد انشئت بجانب منطقة الابار قلعة لحمايتها . وهذه القلعة (تسمى كوت) ، كان يحتمي بها الاهالي عندما يأسون موارد المياه [٣] . ويبدو ان القائد كان يأمل الاستيلاء على البلدة دون مقاومة غير ان موقعها ووجود موارد الماء فيها ، وتحصيناتها ، خيبت آماله ، فاضطرته إلى استخدام القوة للاستيلاء عليها [٤] .

قد كبد الاستيلاء على القلعة الوهابيين خسائر جسيمة . بينما استعصى عليهم أحتلال الحاميات الصغيرة [٥] . وقد دعا الشيخ سليمان آل خليفة ، حاكم

---

(١) من الغريب ان المؤرخين الوهابيين لا يتطرقون في مؤلفاتهم إلى موضوع الاستيلاء على الزبارة والمصدر الوحيد للمعلومات الخاصة بهذا الموضوع وردت في " لمع الشهاب " ص ٩٤ / ٩٦ ١٠٠ / ١٠٣ .

(٢) انظر اعلاه ص ١٣٤ .

(٣) نفس المصدر ص ٩٥ .

(٤) انظر اعلاه .

(٥) " لمع الشهاب " ص ٩٦ حيث جاء ان بناء القلاع والحصون تم بعد ان دعا أحمد آل خليفة أغنياء البلاد ليستشيرهم في الخطر الذي يهدد البلاد .

الزبارة رجال الحاميات بأخلائها بعد تدميرها . وهكذا تم عزل الزبارة عن بقية البلاد وبدأت تتعرض للحصار . وقد أخطأ العتوب حين ظنوا ان الوهابيين قد ينسحبون منها بعد ان يكلوا من الحصار . والواقع ان الوهابيين في نفس الوقت كانوا يزحفون لاحتلال مناطق أخرى في قطر مثل الفريحة ، والحولة واليوسفية والرويضة وكانت في هذه المناطق بعض الزوارق التي استولى عليها الوهابيون واستخدموها ضد سفن العتوب . وجاء في لمع الشهاب « أن عتوب الزبارة هاجموا تلك المواقع بعد توزيع قواتهم عليها ، الا انهم قرروا في الدخول في معارك سافرة مع الوهابيين . وبالتالي فعند وصول ابراهيم لنجدة المناطق المحاصرة وفرض حصار شامل على الزبارة قرر سكانها على الشيخ سليمان بن احمد آل خليفه [١] القيام بهجرة جماعية إلى البحرين كمحاولة للضغط على الوهابيين للانسحاب من المدينة [٢] وفي البحرين استقر بهم القرار في قرية الجو الواقعة على احد المرتفعات جنوبي اكبر الجزر البحرية وهناك اقاموا حامية وبعض المساكن لايواء النازحين [٣] .

ولا يعرف على وجه التحديد متى هاجر العتوب من الزبارة ، كما لم نعثر على ما يدل على أن الوهابيين ، بعد ان خلت المدينةمن سكانها قد عادوا فسمحوا لسكانها بالعودة اليها ، وكل ما يذكره مؤلف لمع الشهاب [٤] في هذا الصدد أن القائد الوهابي قد اعرب عن خيبة أمله بعد احتلال المدينة [٥] لانه لم يجد

---

(١) توفي احمد في سنة ١٧٩٦ ، واختير ابنه سليمان خلفاً له .

(٢) على حد ما جاء في " لمع الشهاب " ص ١٠٣ ان العتوب اعتقدوا بأن الحكومة الوهابية لن يكتب لها البقاء ، وانهم لا بد ان ويعودوا إلى موطنهم في النهاية . وإن خلو البلاد من السكان وتوقف الاعمال التجارية فيها ، سيرغم الوهابيين على تركها . ويتيح لسكانها العودة اليها ، نقلا عن " اخلا عرب الهولة عن البحرين ١٧٤١ في اعقاب احتلال الفرس للجزيرة " (راجع اعلاه).

(٣) لمع الشهاب ص ١٠٣ .

(٤) نفس المصدر .

(٥) كان الهجوم موجهاً ضد نقطتي الرماوة وسوق الشويخ ، راجع ابن بشر مجلد ١ ص ١١٢

فيها ما كان يتوخاه من الثروات التي كان يأمل توزيعها على رجاله ، أو لزيادة دخل خزينة الدولة الوهابية في الدريعية .

واذ فشلت حملة تويني في تحقيق هدفها تحرك سعود بالقوات الوهابية شمالا وهاجم ضواحي العراق [١] . وقد رد سليمان باشا على حملة سعود وما تمثله من تهديد على بلاده بأرسال حملة مضادة على رأسها قائد جيشه علي باشا الذي كان عبدا جورجيا وقد توجه إلى الحسا بطريق البر بينما تم نقل المشاة والمدفعية والذخيرة إلى البحرين وإلى موانيء الحسا عن طريق البحر واستقبل الجيش هناك استقبالا حارا . ولما كان هذا الجانب من الحملة متصل في أغلبه بتاريخ العثمانيين والوهابيين ،فسنقصر الكلام فيه على الجانب الذي يتعلق بالعتوب .

وجاء في رواية صاحب « لمع الشهاب » أن المدفعية والمؤونة قد نقلت بالسفن وأنزلت في موانيء الحسا ومن بين السفن التي استأجرت لهذا الغرض مائتا سفينة من الكويت [٢] .

غير ان انزال المؤن في البحرين انما يدل على وقوف آل خليفة إلى جانب العثمانيين [٣] .

---

(١) فيما يتعلق بتفاصيل هذه الحملة ،وزحفها على الوهابيين في الحسا بدلا من الدريعية والاسباب التي ادت إلى فشلها ، يمكن الرجوع إلى كتابات ثلاثة من الذين عاصروها وكانوا شهود عيان لها ، الاول " بريدجز في كتابه الوهابي " ص ١٩ – ٢٤ اما المرجع الثاني فهو "كتاب لمع الشهاب" المجهول المؤلف ص ١٧٤ – ١٨٤ اما الثالث فهو ابن سند الذي كتب بأسهاب عن الموضوع في كتابه " مطالع آل سعود " ص ١٧٠ – ١٧٥ .

(٢) " لمع الشهاب " ص ١٧٦ ان الشخص الذي قام بهذه المهمة هو عبد الله اغا متسلم البصرة وكانت تربطه على ما يبدو علاقة ودية طيبة بعتوب الكويت . وعندما علم بقدوم علي باشا وبسبب ما كان بينهما من خصومة قديمة ، غادر على ظهر احدى سفن العتوب المتجهة إلى الكويت . وبما ان الباشا قد اصدر عفواً عنه فقد عاد عبد الله اغا إلى البصرة راجع نفس المصدر ص ١٧٥ .

(٣) جاء في مقتطفات ارشيف حكومة بومباي ص ٤٢٩ بأنه كان من المقرر ان يشترك عرب الكويت في هذه الحملة إلى جانب عرب البصرة وقبائل المنتفك ، الا انه لم ترد تفاصيل عن الكيفية التي اشترك بها العتوب . ويبدو ان دورهم فيها قد اقتصر على الناحية البحرية .

العتوب يحتفظون باستقلالهم حتى نهاية القرن : ـ

أما فيما يتصل بموضوع العلاقة بين الوهابيين والعتوب ، فعلى الرغم من وقوع الجزء الاكبر من شرقي الجزيرة العربية في قبضة الوهابيين ، الا ان العتوب ظلوا متمسكين باستقلالهم. وعلى ضوء هذه الحقيقة يبدو من صواب الرأي ان نناقش دور العتوب في كل من المنطقتين الشمالية والجنوبية في مقاومة التوسع الوهابي .

فكلتا المنطقتين تشترك في موقع جغرافي واحد ، كما تقع كل منهما على ساحل الخليج ولا تفصلهما عن منطقة النفوذ الوهابي سوى أراضي بني خالد على الضفة الشرقية . وبانهيار سلطان بني خالد في أعقاب ١٧٩٢ ـ ١٧٩٣ بدأ خضوع العتوب للنفوذ الوهابي أمرا محتملا . وعلى أي حال فان تسنم كل من زايد بن عزيز في ١٧٨٩ ، وبراك بن عبد المحسن في ١٧٩٣ ، للسلطة قد رجأ وقوع منطقة شرقي الجزيرة العربية في قبضة النفوذ الوهابي المباشر عدة سنوات .

ويمثل سقوط براك في سنة ١٧٩٥ بداية النهاية لحكم بني خالد في شرقي الجزيرة العربية ، فمنذ ذلك الوقت تفاقمت الصعوبات أمام العتوب وحتى قبل هذه الفترة استهدفت الكويت لحملات عديدة من جانب الوهابيين ، الا أنهم فشلوا في الاستيلاء على البلدة في كل من حملتي ١٧٨٠ و ١٧٩٠ .

سبق أن اشرنا إلى تعاظم قوة اسطول العتوب وما وصل اليه من مستويات عالية من حيث التسليح [1] بحيث اصبح قادراً على حماية البلاد والدفاع عنها . وقد كانت هذه الاجراءات ضرورة تحتمها الظروف وعلى الاخص منذ سنة ١٧٩٣ . ولما كان العتوب من الاقطار التي تتعامل مع الهند فقد كان في وسعهم

---

(١) انظر اعلاه ص ١٠٧ .

الحصول على أسلحة أفضل مما كان عند الوهابيين . ولعل هذا يفسر بدوره اشارة المؤرخ ابن غنام إلى « الاسلحة الهامة ، التي غنمها الوهابيون من العتوب خلال هجومهم على الكويت سنة ١٧٩٣ [١] . » وقد نضيف إلى ذلك عاملا آخر كان له دوره في حماية الكويت وافلاتها من قبضة النفوذ الوهابي ونعني بذلك وجود المركز البريطاني فيها منذ سنة ١٧٩٣ حتى ١٧٩٥ .

ولا تشير سجلات المركز البريطاني في البصرة إلى شيء عن تأييد المركز للعتوب ضد الوهابيين بل لعل العكس من ذلك كما يقول المستر بريدجز المدير المساعد للمركز البريطاني في الكويت في كتابه الوهابي «[٢] ان مهمة الدفاع عن الكويت كان يضطلع بها أبناؤها الشجعان أنفسهم فلقد كان الكويتيون يثقون ثقة مطلقة في زعيمهم الشيخ عبد الله الصباح الذي كان ذو شخصية مرموقة تتحلى بالحكمة والوقار وكان الكويتيون ينظرون اليه نظرتهم إلى الاب لا نظرتهم إلى الحاكم [٣] . أما المركز البريطاني فلم يكن يتدخل فيما بين الاطراف المتنازعة وذلك طبقاً للاوامر الصادرة من الشركة ولان المركز كان يخشى هو الآخر من أن يعترض الوهابيون بريد الشركة وهو في طريقه عبر الصحراء [٤] .

وعلى كل فان هذا الرأي لا يتفق وما جاء في رسالة المستر رينو ، احد العناصر الهامة في تاريخ انشاء المركز إلى الدكتور سيزن التي أرسلها من حلب سنة ١٨٠٥[٥] . ويصف بريدجز بخصوص الهجوم الكبير الذي قام به الوهابيون فيقول بأنه كان يتألف من ٥٠٠ مقاتل انطلقوا دفعة واحدة على دوي طلقة

---

(١) انظر اعلاه ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(٢) انظر ص ١٢ — ١٦ .

(٣) انظر الوهابي ص ١٢ .

(٤) على حد اقوال كورانسيز (*Corances*) ص ٥٠ ، ان الامير تعهد بحماية المركز البريطاني طالما بقيت علاقته ، بباشا بغداد علاقة سلام كما سبق ان اصدر الشيخ حكماً بأعدام احد الاشخاص كعقاب له على عبثه ببريد الشركة .

(٥) انظر " شهريات مراسل " ص ٢٣٤ — ٢٣٥ .

من مدفع واحد قديم كان قد انزله الشيخ إلى الشاطىء من احدى السفن [1] . وخلافا لبريدجز يحدد المستر رينو قوة العدو بألفي جمل يقل كل منهما رجلين ، يحمل الراكب الامامي منهما بندقية بينما يحمل راكب المؤخرة رمحا لحماية مؤخرة زميله عند شحن المدفع . ويزعم رينو ، انه ، بناء على تعليمات صدرت من مانستي ، انزل مدفعان من احد الطردات البريطانية الذي كان مكلفاً بحماية المركز ، كما اشترك حرس المركز في صد الهجوم الذي تكبد فيه الوهابيون خسائر جسيمة عند فرارهم على امتداد الشاطىء بفعل نيران مدفعية الطراد البريطاني [2] ويستطرد رينو فيقول بأن هذا التدخل أثار ثائرة الوهابيين الذين ردوا عليه بشن غارات على بريد الشركة الصحراوي ، مما اضطر رينو الى القيام بزيارة للدريعية [3] لتسوية المشكلة .

ولم تحدد السلطات في البلدين تاريخ الهجوم الوهابي فيما عدا انه وقع خلال اقامة المركز القصيرة في الكويت . وعلى كل فمن المحتمل ان تكون وجهة نظر رينو عن دور المركز البريطاني ، هي الاقرب إلى الصواب . فثمة كثير من الادلة التي تؤيد هذا الرأي . فقد كان المركز في الكويت هو الهيئة المسؤولة الأولى عن بضائع الشركة فلو تمكن الوهابيون من الاستيلاء على المدينة ، فانهم لن يبقوا على احد من الكفرة حيا ، فضلا عن ترحيب الكويت باقامة المركز في بلادها . كذلك لم يكن في وسع مانستي ان يشير في رسائله إلى رؤسائه إلى الدور الذي قام به المركز ضد الوهابيين ، وذلك بسبب التزام الشركة بسياسة « الحياد تجاه دول الخليج حتى ذلك الوقت » ومما يبعث على الغبطة ان الشركة قد امتنعت عن اثارة موضوع الحملات الوهابية في تقاريرها على الرغم من ان تلك الحملات قد وقعت فعلا وبصورة لا تترك مجالا لاي شك .

---

(١) راجع " الوهابي " ص ١٢ .

(٢) انظر " شهريات مراسل " ص.٢٣٤ — ٢٣٥ .

(٣) اكتسب مانستي برحلته هذه شهرة كبيرة بأعتباره اول اوربي يزور هذه المدينة . أنظر « التقويم الجغرافي للخليج " مجلد ١ ص ١٠٠٤ .

بقيت الكويت خارج دائرة النفوذ الوهابي حتى بعد ، ان دانت لهم الزبارة ويرجع ذلك ، على ما يبدو ، إلى ان الوهابيين قد انشغلوا بعد عام ١٧٩٦ بصد هجمات شريف مكة من ناحية وتويني زعيم المنتفك ، في سنة ٧٩٧ وعلي باشا في ١٧٩٨ ، ١٧٩٩ من ناحية أخرى . وفضلا عن ذلك لم يكن جيش العتوب يشكل تهديداً خطيراً على النظام الوهابي المستقر في شرقي شبه الجزيرة العربية ، والذي كان بوسعه تعبئة خمسين الفا من راكبي الجمال المستعدين للدخول إلى المعركة [١] في اية لحظة . لهذه الاسباب ، ارجأ الوهابيون على ما يبدو ، اخضاع العتوب لسلطانهم .

في ١٧٩٩ هاجم سلطان مسقط البحرين متذرعاً بأن « سفن العتوب كانت ترفض دفع الضريبة المقررة عن عبورها لمضيق هرمز . » ولكنه فشل في احتلال عاصمتها ، المنامة وعاد أدراجه إلى مسقط . وفي عام [٢] ١٨٠٠ أسفرت حملة السلطان على البحرين عن احتلال الجزيرة ، وحمل الغزاة معهم إلى مسقط ٢٦ أسرة من اسر العتوب كرهائن ، بينما لاذ الباقون بالفرار إلى موطنهم الاصلي في الزبارة ومن هناك استنجدوا بالوهابيين الذين أبدوا استعدادهم [٣] لمساعدتهم عام ١٨٠١ استعاد العتوب البحرين ، غير ان النفوذ الوهابي كان هذه المرة قد امتد إلى الجزيرة نفسها .

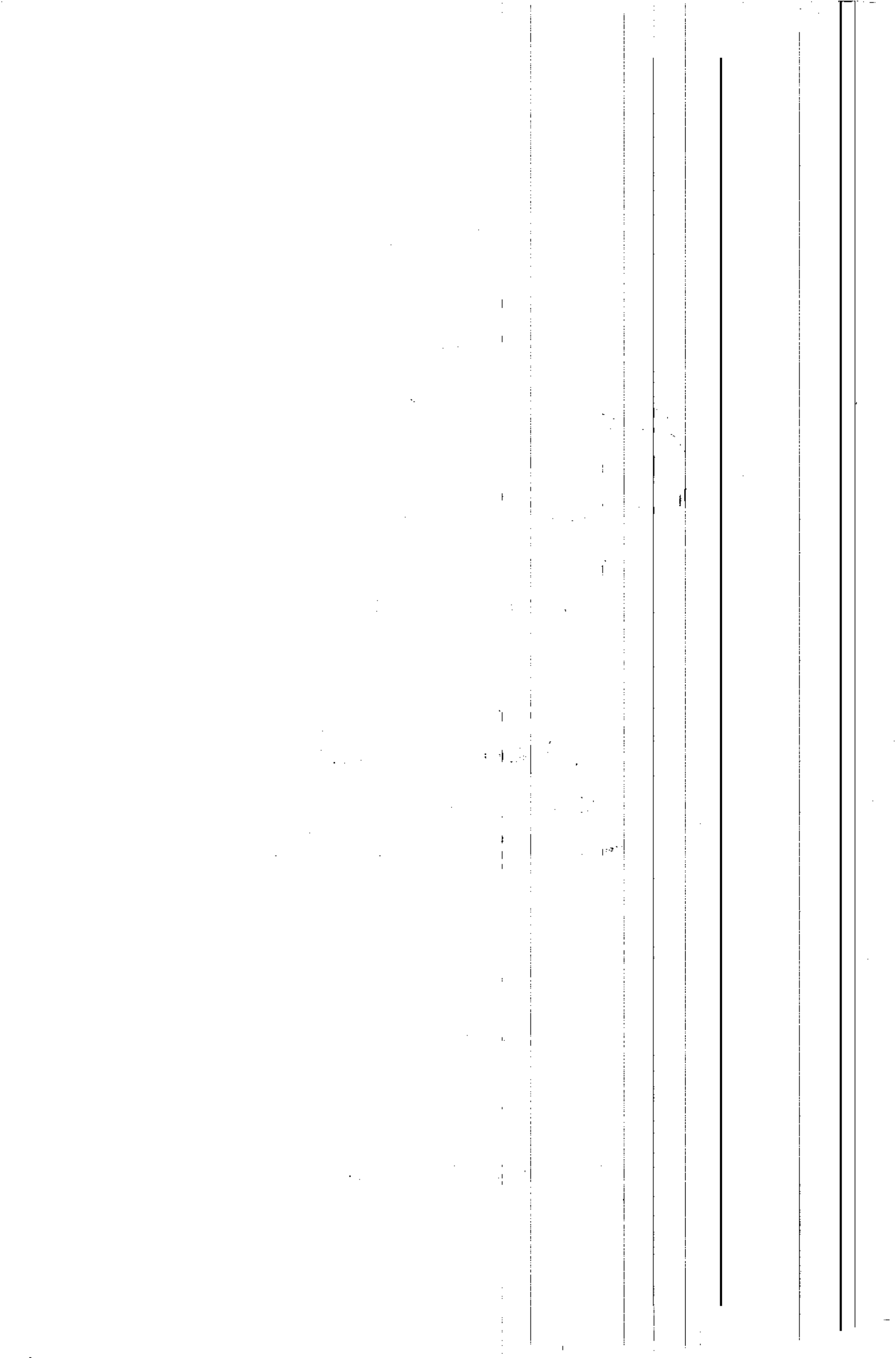
ولم يتضح لنا مدى ما وصل اليه النفوذ الوهابي في الكويت . وعلى حد قول اللفتنانت كامبل (*Lieutenaut Camball*) المقيم البريطاني المساعد في الخليج العربي أنه بحلول عام ١٨٠٠ ــ ١٨٠٢ ، كان النفوذ الوهابي قد امتد إلى كل

---

(١) راجع تلخيص خطاب بريدجز إلى جاكوب بوسانجي ، رئيس مجلس الادارة الشركة الصادر من بغداد بتاريخ ١ / ١٢ / ١٧٩٨ ..

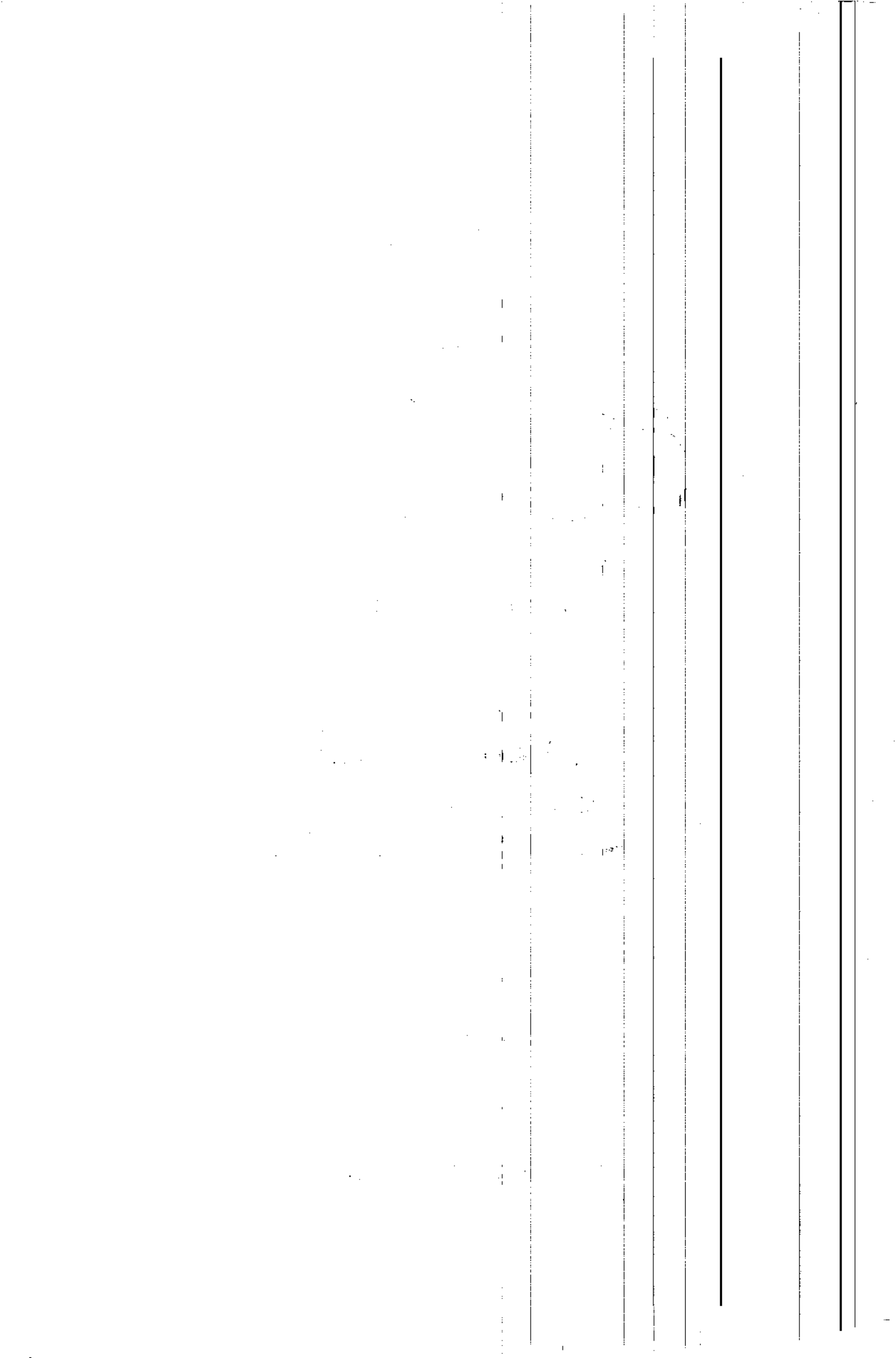
(٢) انظر " السيرة الطلية " ص ٥١ وكذلك الفتح المبين ص ١٩٣ – ١٩٤ .

(٣) ابن بشر مجلد ١ ص ١٢١ .



الفصل السادس

دولة العتوب والاوضاع التجارية
في الخليج وشرق الجزيرة
من ١٧٥٠ حتى ١٨٠٠



نستعرض في هذا الفصل بعض العناصر الهامة التي ساهمت في تنمية دول العتوب التي قامت على ضفاف الخليج على الجانب الشرقي من جزيرة العرب . وأول هذه العوامل موقع هذه الدول الجغرافي الذي وضعها على الطريق التجاري الهام في الخليج ومن هنا يتحدد دور العتوب في النشاط التجاري الذي شهدته المنطقة . والواقع ان العتوب قد برهنوا على امتداد النصف الثاني من القرن العشرين عن موهبة تجارة فائقة بل وعرفوا كيف يستفيدون من الاوضاع التي كانت تسود الخليج يومئذ .

وبفضل هيمنة المنطقة التي استوطنوها على الطريق التجاري امتداداً من قطر في الجنوب حتى الكويت في الشمال ، استطاع العتوب مزاولة عمليات نقل البضائع إلى كل من اواسط شبه الجزيرة العربية وشمالها . كذلك انشأوا صلات تجارية مع بلدان ساحل الخليج ، ومسقط والبصرة كذلك فان موقع الكويت في اقصى الزاوية الشمالية الغربية من الخليج ، قد اتاح لاهلها المشاركة في تجارة القوافل التي بين حلب ومنطقة الخليج .

وسنحاول هنا دراسة الطرق التجارية من وإلى ممتلكات العتوب ، وأنواع السلع الرائجة . واخيراً تحديد حجم التجارة التي كانت تمر عن طريق دولهم وأنواعها [1] .

---

(١) باستثناء سفن المحمرة ، يمكن القول انه لم تكن ثمة سفن نقل عربية في الخليج خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر . اما تجار البصرة ، فلم يكونوا على ما يبدو ، يملكون سفناً في ذلك الوقت " منذ احتلال العرب وقبائل بني عتبه البحرين . نشأت نوع من العداء السلبي غير الرسمي بين هذه القبائل والقرين ادت بالتالي إلى القضاء على المنفذ التجاري ، الذي كان ، قبل هذا الخلاف ، مصدر خير عميم لكلا الطرفين "

كان لا بد للتجارة من دول العتوب واليها المرور من طريقين من الطرق القديمة في المنطقة وكان نقل البضائع في منطقة الخليج عبر الطريق الاول مقصوراً على سفن العتوب وسفن أهل مسقط فحسب .

كان من عادة سفن التجارة العتوب سواء سكان الكويت ، او الزبارة او البحرين زيارة مسقط ، والبصرة وابو شهر [1] ، وغيرها من الموانيء الهامة في الخليج [2] . وفي نهاية القرن الثامن عشر بعد ان اصبح في امكان هذه التعامل مع الهند ، اسقطت موانيء مسقط من حسابها وأخذت تبحر مباشرة من الهند إلى موانيء العتوب حتى تتفادى إلى دفع رسوم لمسقط [3] . كما اننا لم نعثر على ما يثبت ان سفن العتوب كانت تزور موانيء اليمن أو انها كانت تشارك أيضاً في عملية نقل البن إلى الخليج [4] . وخلاصة القول ان اسطول العتوب قد ساهم بدور كبير في التجارة البحرية للخايج ، بدرجة لا يفوقه فيها غير اسطول مسقط وبنهاية عام ١٧٩٠ .

«كان للعتوب سفن ومراكب عديدة ، وكانوا يحتكرون تجارة النقل بين مسقط وبعض اجزاء من الساحل العربي للخليج ، بالاضافة إلى جزء هام من

---

(١) مقتطفات من ارشيف الحكومة اعداد سلدهانا ص ٤٠٩ وقد جاء في موضع آخر من التقارير ص ٤٢٣ يستطرد مانستي وجونز في رسالتهما فيقولان " لم يحدث تبادل تجاري واسع بين سكان الضفتين من ساحل العاج " بعد احتلال البحرين .

(٢) يبدو ان العتوب استفادوا من وجود المركز التجاري الذي انشأه الهولنديون في جزيرة خارج والذي استمر يعمل من سنة ١٧٥٤ حتى ١٧٦٥ الا انه لم تتضح بما فيه الكفاية مدى الفائدة التي حصل عليها العتوب والكويتيون منهم بصورة خاصة من المركز المذكور وعلى كل حال يتضح مما كتبه ايفيز عن العلاقات بين شيخ الكويت والبارون نيفوسين ، ان العتوب لم يكن لهم نشاط تجاري مع جزيرة خارج . انظر اعلاه .

(٣) راجع مقتطفات من ارشيف الحكومة ص ٤٠٨ .

(٤) كان نقل محصول البن ، على ما يبدو ، حكراً على اسطول نقل البن التابع لمسقط الذي كان يقوم بنقله من موطنه إلى البصرة وغيرها من موانيء الخليج . انظر بارسونز ص١٥٧ ومقتطفات من ارشيف الحكومة ص ٤١٨ أعداد سلدهانا .

تجارة النقل بين مسقط والبصرة [1] .

ولم يتوفر لسوء الحظ معلومات وافية عن سفن هذا الاسطول التجاري ، ولذلك تظل الاسماء المختلفة للسفن المذكورة من اليوم إلى البغلة ، أسماء بلا تعريف دقيق وعلى الأخص بعد ان اختلفت الانواع التي ظهرت منها في القرن الثامن عشر [2] .

---

(١) راجع مقتطفات من أرشيف الحكومة ص.٤٠٩ .

(٢) " الطريق إلى الهند عبر فرنسا " تأليف الكابتن جينور (*Jenour*) طبعة لندن ١٧٩١ ص ٣٦حيث يعقد فصلا قصيرا في وصف الدنجية ." المراكب المسماة بالدنجية ، ليس لها سطح فيما عدا مظلة صغيرة لوقاية ربان السفينة ، حيث يوجد مكان لحفظ البضائع التي قد تتأثر إذا ما نزل المطر ، كما ان مؤخر السفينة أعلى من أي جزء آخر ، وهي عموماً غير مريحة ، وبشعة الشكل ، ولا يمكن التحكم فيها ".

ويختم حديثه باسداء النصيحة الى الرحالة الاوروبيين الى عدم السفر على هذا النوع إلى الكويت ١٨٣٠ في احدى السفن الشراعية الكويتية التي تسمى البغلة." وقد كتب التقرير الطريف والمفيد التالي عن السفينة التي سافر عليها وعن الخلق البحري للمواطن الكويتي فان البغال " أي جمع بغلة — هي سفن شراعية ضخمة تتراوح حمولتها من مائة إلى مائتي طن ، وهي طويلة المؤخرة وبها مقدمة بارزة ، كما انها مزودة بكبينة كبيرة مائلة الشكل ، ونوافذ في المؤخرة وهي تحمل عادة اشرعة كبيرة إلى جانب أشرعة المقدمة الصغيرة ، ويتم بناء هذه السفن عادة في مدينة كوشن على ساحل ملبار ، ويستخدمها من جانب التجار العرب والهنود عبر الطرق التجارية بين الجزيرة العربية ، وفارس والساحل الهندي ، وكانت السفينة." الناصري " التي سافرت عليها مقابل مبلغ خمسين روبية ، تدار من جانب ما يقرب من ١٤ و ٥٠ شخصاً من سكان القرين ، او الكويت الواقعة على الجانب الغربي من الخليج وبقيادة ربان وسيم كان في عنفوان شبابه . وكان هذا الربان يمارس نوعاً من السلطة الابوية على البحارة . وكان يجمع بينه وبينهم شعور هو مزيج من الطاعة من جانبهم له والوصاية عليهم من جانبه ، وهو شعور يعد غريباً على المفهوم الاوربي للاحترام ، والمحافظة على أصول الطاعة لمن هم أعلى في المرتبة ولم يكن الربان يشترك في أعمال المذبحة عندما كانت السفينة تعبر طريقها إلى مسقط ، لان هذه المهمة كان يقوم بها شخص آخر من طاقم السفينة كبير السن ولكنه نفهم طريقة استعمال البوصلة ، وكان دقيقاً في ملاحظاته لدرجة أننا وصلنا إلى رأس الحد قبل المدة التي تنبأ بها بساعة واحدة من " كتاب رحلة الخمسة عشر شهراً " تأليف ستوكلر مجلد ١ ص ١ — ٣ وطلى حد قول لو ، فان البغلة سفينة كبيرة الحجم ، تبلغ حمولة بعضها من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ طن . وتحمل عدة مدافع وكانت تعيش طويلا.وحتى سنة ١٨٣٧ كانت لا تزال احدى =

وكانت السفن تقوم بالمرحلة الاولى عملية نقل السلع ، بينما تقوم القوافل بالمرحلة الثانية حيث يتم نقلها من موانيء العتوب أو من موانيء الخليج الاخرى إلى المناطق المجاورة في الخليج وإلى غيرها من المناطق البعيدة أيضاً .

ان أهمية «طريق القوافل الرئيسي في نقل السلع بين آسيا وأوربا في القرن الثامن عشر لم تحظ بالدراية حتى الآن . وعلى الرغم من أن طريق القوافل ما ما زال يستخدم في الاغراض التجارية بين منطقتي الخليج والبحر الابيض المتوسط فانه موضوع لم يكن يلق الاهتمام الجدير به [1] . ولهذا يجدر بنا ان نقدم عرضاً وجيزاً عن وسيلة النقل المذكور بقدر ما يرتبط موضوعها بدول العتوب في كل من قطر والكويت [2] .

= هذه البغال التي تم بناؤها في سنة ١٧٥٠ تعمل ، انظر "تاريخ الاسطول الهندي" مجلد ١ ص١٩٦ تأليف لوو ..

" أما السفينة العربية التي تسمى الداو فتتراوح حمولتها من ١٥٠ إلى ٢٥٠ طناً ، ويوجد منه نوع اكبر ويمكننا ان نميز هذا الصنف من السفن الشراعية عن النوع المسمى بالبغلة (وربما تكون التسمية مشتقة من البغل تعبيراً عن كبر حجمها المعرب) بوجود رواق طويل يبرز من خلال المؤخرة ويعتبر السمة المميزة لهذا النوع . أنظر نفس المصدر .

(١) كتب اثنان من العلماء البارزين مخطوطين بعنوان " الطريق البري إلى الهند ، خلال الفترة التي تناولناها في هذا الكتاب ، من منشورات هوسكنز " الطريق البري إلى الهند عبر التاريخ " مجلد ٩ ، ١٩٢٤ / ٢٥ ص ٣٠٢ / ٣١٨ ومن منشورات فاربر." الطريق البري إلى الهند في القرنين السابع عشر والثامن عشر " مجلد ٢٩ سنة ١٩٥١ ص ١٠٦ – ١٣٣ ويتحدث كلا المخطوطين عن استخدام البحر الاحمر والخليج العربي كطرق لارسال طرود بريد شركة الهند الشرقية الانجليزية ولا يشير أي المخطوطين إلى استخدام القوافل لنقل البضائع الا أن كلا المخطوطين له أهميته في ما يتعلق بالمعلومات التي تتناول بريد الشركة .

(٢) المعلومات التي تتناول موضوع استخدام الطريق البري طريق القوافل في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وردت في مذكرات الرحالة الاوربيين العاملون في خدمة شركة الهند الشرقية والذين كانوا يسافرون عن طريق القوافل من حلب إلى الخليج . والعكس بالعكس وقد كتب معظم هذه المذكرات الاوربيون العاملون في خدمة شركة الهند الشرقية ومن بين الذين قطعوا الصحراء في الخمسينيات من القرن الثامن عشر والذين نشرت تفاصيل رحلاتهم بارثولوميو بليستد (*Bartholomew*

فالعتوب كشعب له اهميته في شرقي شبه الجزيرة العربية ، واسهم اسهاماً كبيراً في النشاط التجاري للمنطقة كان من الدول التي تستخدم هذا الطريق الذي كان يمر عبر أراضيه – وهكذا كانت البضائع التي يتم تفريغها في موانيء الساحل الشرقي من شبه الجزيرة ، تجد طريقها إلى داخلية شبه الجزيرة عن طريق القوافل التقليدي من العقير والزبارة ، والقطيف [1] ، ولم تتوفر ادلة واضحة عن القوافل . التي كانت تقوم بنقل البضائع من مسقط إلى البصرة عبر الساحل الشرقي للخليج ولما كان البريد البري السريع [2] يتم نقله من مسقط إلى البصرة

= Plristed وكتابة عبارة عن وصف لرحلة قام بها من البصره إلى حلب في ١٧٥١ وقد ظهرت هذه المذكرات على صورة كتاب بعنوان " الطريق البري إلى الهند " طبعة لندن ١٩٢٩ وقام بنشره الدكتور كارثرز (Garruthers) وجاء بعدهما ايفيز (Yves) ١٧٥٨ أما قصة الطريق البري في الفترة التي تلت ، كما يرويها الرحالة الاوربيون (John Carmichael) وكتابه عبارة عن وصف لرحلة قام بها من حلب إلى البصرة فهي قصة وجيزة . وفي عام ١٧٦٥ لجل نيبور مذكراته عن الطريق نفسه نقلا عن المعلومات التي جمعها من البدو الذين عبركوا الطريق أكثر من ٢٠ مرة ، ومن أحد تجار البصرة ونشرها في كتاب بعنوان." رحلة عبر الجزيرة العربية." مجلد ١ ص.١٩٣) وفي ١٧٧١ عبر الصحراء من البصرة إلى حلب فيما بعد الجنرال ايركوت " يمكن الاطلاع على بيان لهذه الرحلة في المجلة الجغرافية مجلد ٣٠ ص ١٩٨) وفي عام ١٧٧٤ خرج أي . بارسونز من الاسكندرية " في رحلة للاكتشافات التجارية " من البصرة إلى بغداد وفي ١٧٧٨ عبر الطريق البري إلى الهند الكولونيل كابر (Colonel Capper) وفي عام ١٧٨١ خرج المستر ارون (Irwin) من رجال حكومة مدراس من حلب إلى بغداد والبصرة ثم إلى الهند وكان قد عهد اليه بايصال بعض الوثائق الهامة التي لم تكن تحتمل التأجيل " وفي ١٧٨٥ – ز١٧٨ ظهر بيان يوليوس جريفيث (Ynlius Greffiths) عن نفس الرحلة من حلب . وفي عام ١٧٨٩ سافر الماجور جون تيلور (Maijor Jon Tylor) من دائرة بومباي بنفس الطريق الصحراوي وسجل رحلته بتفصيل واسع النطاق وكان الكابتن ماثيو جينور (Cappitain Mathew Jenour) قد سبقه في رحلة مماثلة من حلب أيضاً . وفي ١٧٩٧ تبعهما أوليفر (Oliver) الذي عبر الطريق من جانبه الغربي وهو في طريقه من حلب إلى العراق .

(١) راجع مقتطفات من أرشيف الحكومة اعداد سلدهانا ص ٤٠٨ ..

(٢) ناقلوا البريد العرب ، وكان معظمهم يركب الجمال في الغالب ..

عن طريق مندوب شركة الهند الشرقية هناك ، فان الاعلان عن وصول سفن الشركة إلى مسقط كان يعني ان طريق القوافل كان ما يزال يستخدم [1] حتى ذلك الوقت . وعلى أي حال فثمة ما يؤكد ان الكويت كانت تستخدم كطريق القوافل الصحراوية المحملة بالسلع المتجهة إلى بغداد وحلب . وقد وردت أول اشارة عن هذه القوافل في كتابة (رحلة) من تأليف ايفيز (*Ives*) [2] واستمر هذا الوضع حتى ١٧٨١ ، حين توقفت هذه القوافل عن زيارة موانيء الكويت حتى ١٧٨٩ بل وحتى بعد هذا التاريخ لاسباب لم تعرف .[3]

وكانت هذه [4] القوافل عادة تتألف في العادة من تجار يستأجرون الجمال ، والحمير ، والبغال من رؤساء القبائل الذين كانوا يتعاطون هذه التجارة ، وكانوا يرافقون القوافل منذ خروجها حتى نهاية الرحلة . وكانوا يتقاضون أجوراً ثابتة نظير الخدمة التي يقدمونها لزبائنهم في الرحلة . وكانت الاجور تشمل الرسوم [5] التي تدفع لروساء العشائر العرب المقيمين عبر الطريق ، كما تشمل اجرة الحرس ، أو المرافقين [6] . علاوة على أجور الجمال نفسها . وكانت أجرة الحمل الواحد موضع مساومة . فخلال النصف الثاني من القرن القرن الثامن عشر كانت الاجرة تتراوح بين ٣٥ و ٥٠ ريالا عن الحمولة

(١) للاطلاع على نظام النقل هذا أنظر كتاب ارسونز ص ٢٠٣ .

(٢) أنظر أيفيز ص ٢٢٢ -٢٢٥ .

(٣) راجع مقتطفات من أرشيف الحكومة اعاد سلدهانا ص ٤٠٩٨ .

(٤) لما كان الذين يقومون بمعظم الرجلات التي تتحدث عن هذه القوافل رجال شركة الهند الشرقية الانجليزية ، فانهم جميعاً متفقون في تفصيلاتهم عن الوسائل التي يستخدمها مندوبو الشركة في البصرة وحلب لتأمين وصول القوافل إلى وجتها سالمة ، نقلا عن كابر ص ٥٥ - ٥٨ واردين ص ٢٩٠ - ٢٩٢ وجينور ص ٣٤ .

(٥) الجويزة اسم كان يطلق على الرسوم التي تدفع مقابل مرور القوافل ، راجع مقتطفات من ارشيف الحكومة ص ٤٠٩ اعداد سلدهانا .

(٦) ينتمي هؤلاء إلى القبائل التي كانت القوافل تمر بأراضيها وكان هذا هو السبيل الوحيد لتأمين وصول القافلة بسلام . راجع جريفيث ص ٣٥١ وبارسونز ص ١٠٣ .

الواحدة من البصرة او الكويت إلى حلب [١] . إلا أنها كانت تتغير وفقاً للبضاعة المحملة . ويقول مانستي وجونز في تقرير لهما عن الاوضاع التجارية في المنطقة العربية المتاخمة للخليج :

ولم يكن وزن حمولة الجمل الواحد يقل عن ٧٠٠ رطل انجليزي وقد جرت العادة بأن يتعهد الشيوخ أصحاب القوافل بنقل حمولات السلع من القرين إلى حلب بموجب الاتفاقات المعمول بها مقابل رسوم تسمى عندهم بالحويزه يدفعونها على شكل كميات من المنسوجات يعادل ثمنها ١٣٠ روبية هندية وحمولة من السلع الخام يوازي ثمنها ٩٠ روبية هندية [٢] .

أما الشيوخ أصحاب القوافل فكانوا يقومون بمهمة الدليل لهذه القوافل ، وكانت لهم سلطة مطلقة [٣] عليها . وكانت القوافل تقطع الرحلة من البصرة

---

(١) كتب ايفيز ١٧٠٨ يقول ان اجرة الجمل الواحد في الكويت إلى حلب هي ٣٥ ريالا انظر رحلة ايفيز ص ٢٢٣ أما بارسونز فقد دفع ١٧٧٤ أربعين ريالا." مقابل كل بعير " كما دفع.٥ ريالات رسم ترانزيت عن كل بعير بارسونز ص ١١٢ .

(٢) مقتطفات من أرشيف الحكومة اعداد سلدهانا ص ٤٠٩ على الرغم من أن هذه التقديرات تبدو كبيرة الا انه يمكن الاعتماد على براي مانستي وجونز وذلك بحكم الفترة الطويلة التي أمضاها إفي البصرة .

(٣) أنظر جينور ص.٢٥ – ٢٦ وقد كتب ينصح المسافرين ، ويحدد الطرق الانسب للقيام بالرحلة كمايذكر نوع القافلة ويعقب على ذلك بالرأي الطريف التالي :

" اما فيما يختص بالاعداد للرحلة ، فان ذلك يتوقف على الطريقة التي تروم السفر بها.، أي ما إذا كنت تبغي سفراً سريعاً ، اومعتدل السرعة ، او بطيئاً ، اما بالنسبة للنوع الاول فعليك ان تستأجر أربعة او ستة من الا ولاد العرب ليرشدوك إلى الطريق البصرة ، وان تحمل ما خف من المتاع ويجب عليك بمجرد مغادرتك لحلب ، ان تترك كل شيء للحرس ، وذلك لمعرفتهم ما يجب عمله ، وافضل الطرق التي يجب ان تسلك ... اما بالنسبة للنوع الثاني من الرحلة اي الرحلة المريحة ، فيجب على المسافر ان يشتري بغالا ، وخياما ، ومؤونة ، وجمالا لنقلها . الا ان مثل هذه الرحلة الباذخة كانت تتطلب حراسة أكبر لحمايتها ... يبقى النوع الثالث وهو ارخص الانواع ، كما انه مألوف أكثر ونعني به." الرحلة بالقافلة." وتتألف من مجموعة من التجار وغيرهم من المسافرين ، يجتمعون كلهم في مكان واحد ، يمتطي بعضهم الجياد ، ويمتطي أكثريتهم الجمال ، دون التقيد بالعدد. ، وتقوم بمرافقتهم قوة كبيرة من الحرس ، ويتولى الاشراف على القافلة كلها شيخ أو زعيم . والعيب الوحيد لهذا النوع من القوافل ، هي طول المدة التي تستغرقها الرحلة ، وعدم التأكد من موعد قيامها .

او الكويت إلى حلب في ظرف سبعين [1] يوماً . وكان يحدث احياناً ان تتوقف القوافل في بغداد ، أو تواصل رحلتها من الخليج إلى حلب مباشرة ، كما يحدث احياناً ان تتوقف في بغداد ، أو تواصل رحلتها من الخليج إلى حلب رأساً كما يحدث ان تنضم اليها قوافل أخرى وهي في [2] الطريق . اما عدد جمال كل قافلة فكان وفقاً للحالة التجارية في حلب ، والبصرة ، وبغداد وغيرها من المراكز التجارية في المنطقة . ويقدر (بليتد *Plaisted*) عدد القافلة التي سافر فيها من البصرة إلى حلب بحوالي الفي جمل و ١٠٥ مرافقاً من الحرس عند بداية الرحلة غير ان هذه القافلة لم تكن تحمل أي شيء وانما كانت في طريقها إلى الاسواق [3] . وقد انضمت اليها وهي في الطريق قافلة أخرى مؤلفة من ٣٠٠٠ جمل ، وبذلك وصل مجموع القافلتين إلى ٥٠٠٠ جمل ، اربعمائة منها كانت محملة بالسلع [4] ، بالاضافة إلى الف راكب. اما قافلة كارميشيل فكانت تتألف من خمسين جواداً ، و ٣٠ بغلا ، و ١٢٠٠ جمل ، ستمائة منها كانت تحمل سلعاً . تقدر قيمتها بـ ٣٠٠,٠٠٠ جنيهاً استرلينياً . وكان يقوم على حراستها ٢٤٠ جندياً [5] من العرب . أما القافلة التي حاول ان يسافر فيها ايفيز وزملاؤه من الكويت إلى حلب سنة ١٧٥٨ فقد كانت تتألف من ٥٠٠٠ جمل تحت حراسة

---

(١) يقدر جينور ص ٢٧ مدة الرحلة من ٦٠ إلى ٧٠ يوماً . بينما يقدرها كل من مانستي وجونز بنحو ٨٠ يوماً راجع مقتطفات من ارشيف الحكومة ص ٤٠٩ اعداد سلدهانا .

(٢) راجع ما جاء في رحلة بيستد من منشورات كارثرز ص ٨٠ .

(٣) ان تكون الجمال كلها محملة ، خصوصاً فيما يتعلق بالقوافل المتجهة شمالا إلى حلب ، اذ ان كثيراً من الجمال تسافر من غير حمولة ، لان الغرض من وجودها ضمن القافلة هو لعرضها للبيع في حلب على التجار الذين يستعملوها في نقل بضائعهم إلى الجنوبية ويرجع هذا بسبب نقص الجمال في سوريا .

(٤) راجع " وصف الرحلة " اعداد كارثرز ص ٦٨– ٦٩ وص ٩٣ .

(٥) كارثرز ص ٣٣ .

الف (١) رجل . أما بارسونز الذي قام برحلته ضمن قافلة تتألف من ٨٠٠جمل بالاضافة إلى عدد من البغال والحمير ، والجياد ، وكان ضمن المسافرين اربعة تجار اوربيين وأثني عشر تاجراً تركياً ، وكان يقوم بحراسة القافلة ١٠٥ من العرب (٢) . أما قافلة جريفتث (*Griffiths*) كانت تتألف في بداية الرحلة من ٨ جمال . ومن ٣٠ إلى ٤٠ حارساً ، فقد ارتفع عددها إلى ٢٠٠ (٣) بعير قبل مبارحتها حلب يوم ٨ يونيو ١٧٨٦ .

وكان عدد جمال كل قافلة يتراوح وفقاً للفئات الثلاثة التي تتألف منها القوافل الصحراوية . وأول هذه الفئات فئة القافلة الخفيفة ، التي تقوم بنقل السلع إلى احدى القافلتين . وهي قافلة التجار الذين يفضلون نقل بضائعهم من حلب جنوباً ، دون أن يضطروا إلى انتظار وصول أو قيام القافلة الرئيسية ويطلق على هذه القافلة قافلة حلب أو البصرة . تبعاً لمحطة القيام وكانت تقوم برحلتين كل عام بين حلب والبصرة (٤) .

وبالاضافة إلى القوافل الثلاث التي اشرنا اليها آنفاً ثمة نوع رابع من القوافل

---

(١) يبدو من نص هذا الكتاب ، ان القافلة كانت متجهة من الجنوب إلى الكويت ، لان ايفيز ورفاقه كانوا يعتزمون استئجار جمال من الكويت للانضمام بها إلى القافلة ، ولعل هذه القافلة هي نفس القافلة التي يقوم شيخ بني خالد بأرسالها منالحسا كل عام وقدجاء في وصف بليستد لهذه القافلة ص ٩٣ ما يلي." كانت قافلة صغيرة بالمقارنة إلى القوافل التجارية الاخرى وكانت تكون من صغار الجمال التي كانت ترسل للبيع في اسواق حلب . وكان يقوم على حراستها مجموعة من ١٦٠ رجلا يركبون الهجين " وهو نوع من القوافل ليسافر عليها التجار مع بضائعهم ، وبهذا كان عدد أفراد القافلة يتضاعف مرتين إلى ثلاث مرات . وكان التجار من جنسيات مختلفة فيهم الارمن ، والاغريق ، والاوربيين وأحيانا الاتراك أو العرب ".

(٢) يقول بارسونز ص ٧٥ — ٧٦ ان هذه القافلة غادرت حلب يوم ١٤ مارس ١٧٧٤ .

(٣) جريفيتث ص ٣٥٠ — ٣٥٣ .

(٤) يذكر لا توش في احدى رسائله إلى مجلس ادارة الشركة أن مثل هذه القوافل كانت تستغرق ثمانية أشهر ، أنظر خطاب لا توش إلى مجلس ادارة الشركة الصادر من البصرة بتاريخ ٣١ / ١٠ ١٧٧٨ .

وهو ما يسمى بقافلة الركاب « أو الرحالة » إذ يحدث أحياناً ان يستأجر الرحالة البريطانيون وحدة كاملة من القوافل تضم جمالا لنقل الركاب وجمالا لنقل الامتعة ، علاوة على ثلة من الحرس المسلح (١) . وقد أثر الكابتن تايلور السفر بالنوع المريح ، فاستأجر قافلة بمبلغ يتراوح بين ٥٠٠ ، ٦٠٠ جنيهاً استرلينياً ، وحرساً يتراوح عدد افراده من ٤٠ إلى ٦٠ رجلا وعشرين جملا لتنقل الخيام والماء والزاد ... الخ (٢) وكان الذي يقوم بعملية استئجار القوافل وتجهيزها ، بالنسبة للعاملين في شركة الهند الشرقية الانجليزية القنصل البريطاني في حلب وافراد هيئة المركز التجاري البريطاني في البصرة (٣) .

أما عن الوقت الذي تستغرقه الرحلة بين حلب والبصرة او الكويت فقد كان هذا يتوقف على حجم القافلة ، وأسلوب الرحلة . فبينما كانت القوافل الكبيرة تسير ببطىء (فتقطع ٧ ساعات في اليوم) وتستغرق رحلتها من خمسة وأربعين إلى تسعين يوماً ، كانت القوافل الصغيرة تقطعها في ٢٥ يوماً . وقد استغرقت رحلة القافلة الكبيرة التي سافر فيها بليستد ٢٤ يوماً ونصف يوم . بينما كان معدل سير قافلة كارميشيل ٧ ساعات يومياً . واستغرقت ثلاثمائة وثمانية عشر ساعة ، أو خمسة وأربعين يوماً . أما كابر فقد قطع المسافة نفسها في نحو من ثلاثة عشر يوماً ونصف إلى عشرين يوماً (٤) .

ويرجع الفضل في ظهور العتوب كدولة هامة في المنطقة إلى عاملين النشاط الذي كانت تشهده الطريق الصحراوي وما كان له من أثر فعال على تجارة العتوب ، وتجارة النقل البحري ولعلهما من العوامل التي وجدت سياسياً بين — العتوب في الشمال والعتوب في الجنوب . أما بالنسبة للجانب الآخر من النشاط

---

(١) راجع كارثر ص ٣٤ .

(٢) انظر أروين ص ٢١٩ مجلد ٢ وكابر ص ٥٤ .

(٣) انظر كابر ص ٢٤ .

(٤) راجع خطاب لاتوش إلى مانستي الصادر من البصرة بتاريخ ٦ / ١١/ ١٧٨٤ ويقدر جينور رحلة القافلة السريعة بنحو ١٤ يوماً . جينور ص ٢٦ .

التجاري للعتوب فهو بمثابة دراسة تلخيصية للظروف التجارية في دول العتوب يومئذ .

ومما يستوجب باستعراض اوجه للنشاط التجاري على الجانب الغربي من شبه الجزيرة ، هو ان طريق البحر الاحمر التجاري ، كان دائماً الطريق المنافس للخليج .

خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، لم يعد طريق البحر الاحمر طريقاً منافساً خطيراً للخليج بالنسبة لحركة نقل السلع الهندية إلى اسواق الولايات العثمانية في الشام وتركيا . وعلى الرغم من أن السفن الاوروبية ظلت تزور السويس بالبضائع الهندية المرسلة إلى مصر ، وغيرها من البلدان ، المجاورة حتّى سنة ١٧٧٠ ، فان العقد الاخير من القرن شهد هبوطاً في مستوى هذا الخط التجاري . ويرجع هذا إلى فرمان ١٧٧٩ الذي حظر على سفن الاقطار المسيحية من التعامل مع السويس (١) .

إلا أن هذا المرسوم كان يتعارض مع مصلحة المماليك ، الذين كانوا الحكام الفعليين لمصر ، ولذلك حاول المماليك ابطال مفعوله . غير ان هجمات عرب الصحراء على القوافل التي كانت تنقل السلع للتجار الاوربيين كانت يشكل تهديداً للاوربيين ، ولهذا كان أعضاء مجلس ادارة شركة الهند الشرقية تفضلون استخدام طريق رأس الرجاء الصالح على طريق مصر لنقل المنتجات الهندية إلى اوربا .

« وبالتالي كانوا يؤيدون موقف الحكومة التركية في معارضتها للنشاط الملاحي للسفن الاوربية في البحر (٢) الاحمر » .

---

(١) انظر هولكنز ص ٣١٥ .

(٢) انظر هوسكنز ص ٣٠٧ في ١٧٧٥ وقع الانجليز معاهدة مع باشوات مصر لتسهيل نشاطهم التجاري الا ان السلطان ومستشاريه في القسطنطينية عارضوا ابرام هذه المعاهدة لانهم كانوا يدركون أن حكام مصر قد يطيحون في الوقت المناسب بحكم الاتراك نهائياً . وقد يتم هذا بمساعدة البريطانيين . راجع نفس المصدر ص ٣٠٦ .

وعلى الرغم من هذا فقد كان للعتوب نشاط تجاري متواصل تقريباً خلال النصف الاخير من القرن الثامن عشر .. وكان هذا النشاط يتركز داخل ثلاث مناطق هي المنامه في البحرين (١) ، والزبارة في قطر ، والكويت وكانت هذه المراكز الثلاث تتقاسم تجارة النقل البحري والبري على السواء .

أما بالنسبة للبحرين ، فقد كانت تجارة اللؤلؤ التجارة الرئيسية في البلاد ، قبل احتلال العتوب لها فيما بين ١٧٨٢ ، ١٧٨٣ (٢) . أما في الفترة التي تلت ذلك فقد كانت التجارة من نوعين صيد الاسماك وتسويق اللؤلؤ ، وتجارة النقل البحري بين الهند ومسقط وموانيء الخليج العربي .

أما فيما يختص بتجارة اللؤلؤ ، فلا يبدو ان العتوب قد أدخلوا أي تغيير اسلوب صيد اللؤلؤ التي كانت تشد اهتمام كثير من التجار العرب الاثرياء في البحرين « والذين كانوا يستخدمون عدداً كبيراً من العمال النشيطين الذين ينتمون من الطبقة الادنى لسكان البلاد (٣) .

وبالحصول على سفن ذات أحجام أكبر من الهند ، أخذ عتوب البحرين في الثمانينات من القرن الثامن عشر يبحرون إلى موانيء الهند لاستيراد المواد الضرورية لحياة سكانهم اليومية وإلى تصدير بعضها إلى بغداد وحلب وكانت هذه السلع والمواد تجد طريقها إلى الاسواق عن طريق البصرة تارة وعن طريق

---

(١) اسم المنامه لا يرد كثيراً وانما يرد اسم الجزيرة .

(٢) راجع تقرير سلدهانا ص ٤٠٥ .

(٣) راجع نفس المصدر . تقع الفترة الرئيسية لصيد اللؤلؤ في شهر مايو ، ويونيو ، ويوليو ، وأغسطس وسبتمبر من كل عام، عندما يكون ماء البحر دافئاً . وكان المحصول السنوي يقدر بنحو ٥٠٠,٠٠٠ روبية هندية وكان هذا المبلغ يوزع بالتساوي بموجب اتفاق بين التجار واصحاب السفن ، والملاحين والغواصين . للاطلاع على تفصيلات عن هذه الصناعة راجع كتاب بكنهام " رحلاتي إلى اشوريا " ص ٤٥٤ – ٤٥٧ وكتاب " رحلاتي إلى الجزيرة العربية " تأليف ولستد مجلد ٢ ص ٢٦٤ – ٢٦٥ وكتاب" رحلة إلى بلاد الخلفاء " ص ١١٥ – ١٣٢ ويقدم الرشيد في مؤلفه " تاريخ الكويت " مجلد ١ ص ٤٧٦–٦٥بيانات مفصلة عن الطريقة الحديثة لصيد اللؤلؤ والتي لم تتغير عبر العصور .

الكويت تارة أخرى (١) .

ومن الظريف ان نشير إلى أصحاب هذه السفن فقد كانوا من طبقة التجار الذين يتاجرون لحسابهم الخاص . وكان هذا النوع من منتجات سورت ينقل إلى بغداد وحلب (٢) . وإلى جانب هذا كانت هناك التجارة مع عمان حيث كانت السفن تنقل البن من مخا إلى البحرين ، وكان قسم من هذه البضائع خاص بأسواق البصرة (وكان تشمل السكر ، والفلفل ؛ وتوابل البنغال ، والسمن والارز وكان يعاد تصدير جزء من هذه المنتجات إلى البصرة وفي طريق عودة هذه السفن من البصرة كانت تنقل البلح إلى البحرين والحبوب التي يحتاج اليها سكان الجزيرة ، كما وغيرها من السلع التي كانت رائجة في أسواق سورت(٣) وبالرغم من تعذر تقدير حجم تجارة الواردات من البضائع الهندية إلى البحرين خلال السبعينات من القرن فقد كانت اثمانها تصل إلى مئات الآلاف من الروبيات الهندية سنوياً والمعروف لدينا أيضاً ان المعدل السنوي لارقام الواردات يتعادل دائماً مع ارقام صادرات المنطقة من اللؤلؤ .

تأتي الزبارة في المركز الثاني بالنسبة إلى تجارة العتوب . وبفضل الموقع الجغرافي لميناء الزبارة ، فقد اسهمت بدور كبير في تجارة النقل التي تحدثنا عنها آنفاً من البحرين إلى موانيء أواسط شرقي الجزيرة العربية . أما قبل احتلال العتوب

---

(١) راجع تقرير سلدهانا ص ٤٠٨ يعلق مانستي وجونز على موضوع السلع الهندية وغيرها من المنتجات الاوربية التي كانت تنقلها سفن العتوب إلى البحرين فيقول " يتم نقل هذه البضائع في الوقت (أي ١٧٨٩) اولا بطريقة مباشرة من سوريا إلى البحرين ومنها إلى الزبارة والقطيف .. وكانت البضائع المستوردة من سورت إلى البحرين تتألف من المواد الاستهلاكية لسكان الجزيرة بصورة رئيسية كالمنسوجات والشالات ، والصفيح والرصاص والحديد وغيرها من المنتجات نفس المصدر ...

(٢) نفس المصدر .

(٣) تتكون هذه السلع التي كانت رائجة في اسواق سورت من النحاس والزعفران ، والخرز بانواعه

للبحرين فقد كانت الزبارة مركز نشاط تجاري لال خليفة وغيرهم من عائلات العتوب . ولا تتوفر بيانات حقيقية عن حجم أو نوع هذه التجارة قبل الثمانينات من القرن الثامن عشر . ولما كانت الزبارة أحد موانيء صيد اللؤلؤ (١)فأنها لا بد وان تكون قد ساهمت في تجارة صيد اللؤلؤ ، رغم انها لم تلعب في هذا المضمار دوراً كبيراً (٢)، ومع اقتناء عتوب البحرين سفناً كبيرة خاصة بهم تحولت الزبارة ومعها القطيف إلى محطة لتوزيع البضائع على مراكز قبائل بني خالد . حيث كانت القوافل تقوم بنقل البن من مخا والسلع المتنوعة إلى الدريعية ، عاصمة الوهابيين ، وغيرها من الممالك (٣)الوهابية . غير ان احتلال البحرين قد قلل بالضرورة أهمية الزبارة كمركز تجاري بحرى وعلى العكس من هذا لم يؤد احتلال البحرين إلى الحد من الاهمية التجارية للكويت . وكانت أسرة العتوب الحاكمة هنالك تواجه منافسة من بني كعب وغيرهم من العرب سكان الساحل الايراني . مما اضطر آل صباح إلى امتلاك (٤)أسطول قوي .

عرفنا كيف اصبحت الكويت في سنة ١٧٧٠ مركزاً لبريد شركة الهند الشرقية . فضلا عما كان لموقعها الجغرافي من وزن بالنسبة للبلاد سواء كميناء بحري ، أو كمحطة للقوافل المتجهة إلى حلب وبغداد ، وفي ١٧٩٣ ، بعد مرور عامين على انشاء المركز في الكويت اصبحت الكويت تضاهي في الاهمية مركز البحرين .

وينبغي على هذا ان النجاحات التجارية للكويت ، كانت تعتمد في معظمها كما يبدو على تجارة الترانزيت ، وبتطور الحالة التجارية للعتوب ، كنتيجة

(١) الساحل الغني باللؤلؤ يمتد من حدود القطيف إلى رأس الخيمة على الساحل العربي للخليج .
(٢) مقتطفات من ارشيف الحكومة اعداد سلدهانا ص ٤٠٨ .
(٣) راجع نفس المصدر ص ٤٠٥ — ٤٠٨ كانت البضائع التي تستوردها الزبارة هي من نفس البضائع التي تستوردها البحرين . وكان الطلب مستمرا على البلح والحبوب من جانب عرب بني خالد والوهابيين (نفس المصدر) .
(٤) انظر اعلاه ص ١٠٧ .

لاحتلال البحرين اخذت السلع تنقل من البحرين إلى كل من الزبارة والكويت ولقد بدأ هذا عندما ظهر على المسرح جماعة من تجار البحرين والبصرة كانوا يقومون بشحن بضائعهم إلى حلب وبغداد عن طريق القوافل الصحراوية ، تهرباً من دفع رسوم باهظة عنها في البصرة (١) . كما كان البلح والحبوب يستورد من البصرة إلى هذه المناطق والاجزاء المتاخمة لها مباشرة (٢) . ومن الطريف ان نعرف ان نقل الامتعة من الكويت إلى بغداد او حلب عن طريق القوافل البرية لم يكن يتعرض لاي خطر . وكان الشيوخ أصحاب القوافل يعرفون كيف يختارون رفاق الرحلة ، وكيف يغدقون الهدايا على شيوخ(٣) العشائر . ويقول جريفيث الذي كتب حول هذا الموضوع فيما بين عام ١٧٨٥ و ١٧٨٦ ان رؤساء القبائل كانوا يبذلون اقصى ما في وسعهم للمحافظة على نظام الرحلة وتأمينها من الخطر – وبهذه الطريقة كانوا يضعون المكآفآت لانفسهم(٤)

إلا أن الكويت ، على ما يبدو ، لم تحقق فائده ملموسة من وجود المركز التجاري فيها فقد رفض قباطنة السفن الانجليزية منذ البداية تفريغ البضائع المرسلة للبصرة في الكويت وكما لاحظنا (٥) آنفاً . لم يصر مانستي على تنفيذ أوامره بمنع السفن البريطانية من التفريغ في البصرة . وبالتالي تبقى الفائدة التي حققتها الكويت

(١) راجع مقتطفات من اعداد سلدهانا ص ٤٠٩ . كان بعض محصولات البحرين ، والقطيف والزبارة ، ومسقط يستورد للإستهلاك المحلي في الكويت و المناطق المجاورة لها مباشرة . وكانت هذه تتألف من منتجات سورت وبنغال القطنية ومن القهوة ، والسكر ، والفلفل ، والتوابل ، والحديد والرصاص ومن كميات اكبر من المنسوجات البنغالية والسوريتية وخيوط الغزل والقهوة والفلفل التي كانت تستورد لحساب تجار حلب وبغداد ، اما فيما يتعلق بالضرائب التي تستوفى عن هذه البضائع في البصرة وبغداد فيمكن الرجوع إلى الفصل الثالث من الكتاب ص ٧٢ – ٧٣ .

(٢) مقتطفات من ارشيف الحكومة اعداد سلدهانا ص ٤٠٩ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) كانت الرحلة ، وفقاً لما جاء على لسان مانستي وجونز تستغرق نحو ٨٠ يوماً من الكويت الى حلب ونحو ٣٠ يوماً إلى بغداد راجع ص ٤٠٩ مما جاء في مقتطفات من وثائق الحكومة .

(٥) انظر اعلاه ص ١٤٧ ..

من وجود المركز فائدة سياسية اكثر منها اقتصادية (١) .

كانت مسقط والبصرة مستودعين رئيسيين للتجارة في منطقة الخليج خلال هذه الفترة وقد وصفهما بارسونز فقال عن الاولى بأنها مستودع كبير للانتاجات الاوربية والهندية(٢) التي كانت ترد إلى البصرة وموانيء العتوب بسفن الاسطول العماني وأسطول العتوب . وقال على الثانية بأنها كانت مركزاً لنشاط المركز البريطاني التجاري خلال معظم الفترة الممتدة من ١٧٦٣ حتى ١٨٠٠ (٣) .

ومع انه لا توجد احصاءات عن تجارة الساحل العربي من الخليج ، فيما عدا التجارة الانجليزية مع المنطقة ، الا أنها كانت تجارة مزدهرة . وعلى حد ما جاء على لسان مالكولم فقد بلغت قيمة تجارة الهند مع شبه الجزيرة العربية أربعة ملايين روبية كان نصيب البصرة منها ثلاثة ملايين روبية بينما بلغ نصيب البحرين والمناطق المجاورة (مليون روبية) (٤) .

وكما يقول مالكولم ، فان « هذه الارقام الكبيرة من الواردات يقابلها صادرات من بلح البصرة ، وهو الانتاج المحلي ، ومن اللؤلؤ (الذي كان يصدر من البحرين والموانيء المجاورة لها مقابل الحبوب (، ومن خيوط الذهب والفضة التي كانت تستورد من أوربا عن طريق قوافل حلب ، ومن النحاس الذي كان يستخرج من مناجم دياربكر — وكان الجزء الأكبر من تلك الصادرات يمر عبر مسقط وهو في طريقه إلى الهند (٥) .

---

(١) امكن احباط التهديد الوهابي للكويت .

(٢) انظر بارسونز ص ٢٠٧ .

(٣) بعد زيارة قام بها جريفيث للمدينة ١٧٨٥ كتب يقول " ان البصرة هي المستودع التجاري لهذا الجزء من العالم ففي هذا المكان تجمع السفن احملة بالسلع الآتية من مختلف ارجاء الهند بمحتوياتها النفيسة ص ٣٧٩ ..

(٤) سلدهانا ص ٤٤٥ ..

(٥) نفس المصدر .

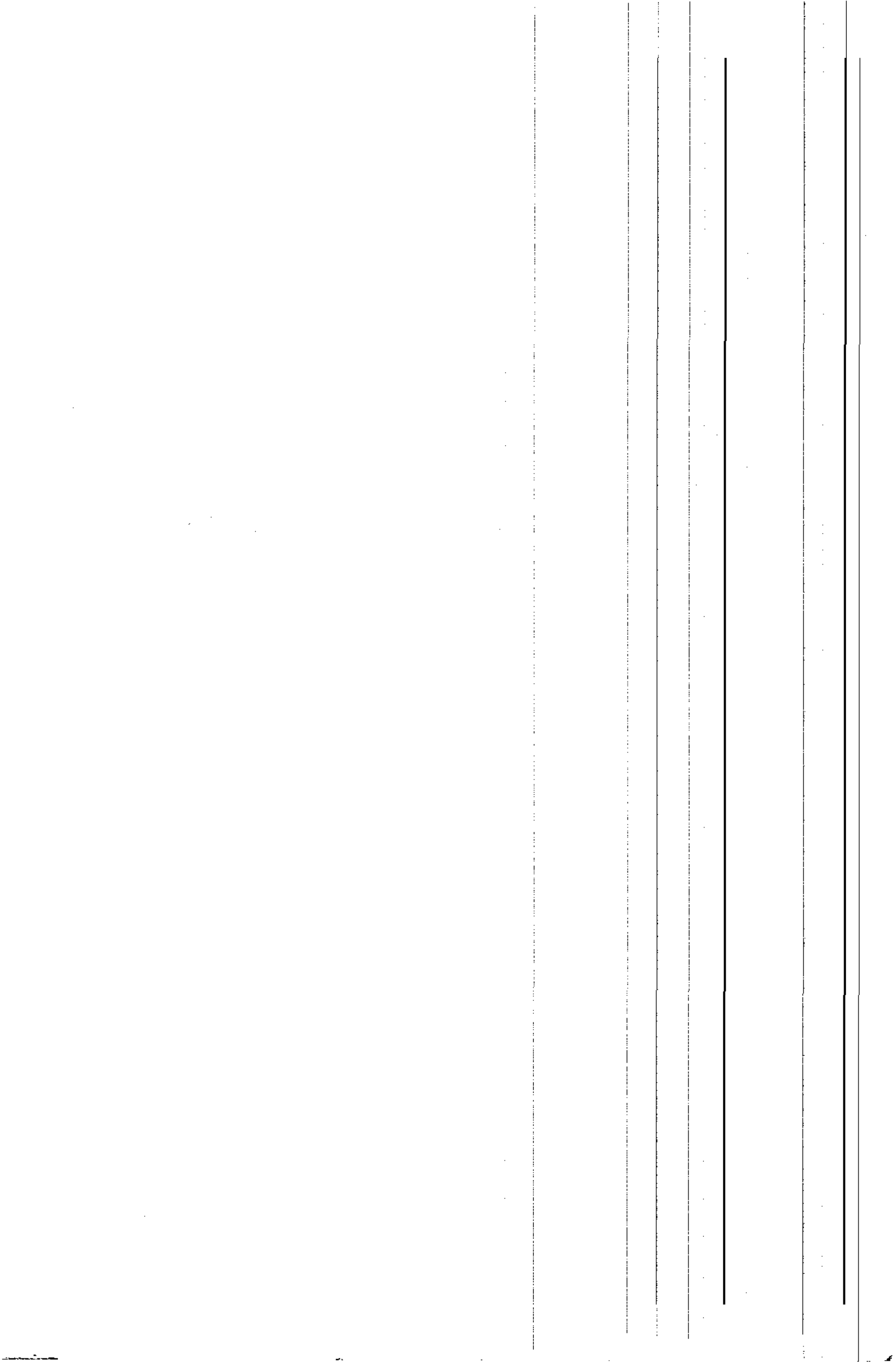
ويقول «جريفيث» : — أما العائدات فكانت تتكون من المصكوكات والجواهر وعدداً معيناً من الجياد العربية الاصيلة (١) .

لقد كان نصيب العتوب من هذه التجارة المزدهرة نصيباً هائلاً ، لانهم كانوا يشاركون في عمليات نقلها عن طريق البر والبحر على السواء. ويبدو أنهم لم يتركوا وسيلة قانونية أو غير قانونية الا واستخدموها للاستفادة من تدفق التجارة . ولم يكونوا يترددون حتى من تهريب البضائع من الكويت إلى اسواق بغداد وحلب ، لكي يتفادوا دفع رسوم عنها في البصرة . ولهذه الاسباب تضاعف نشاطهم التجاري بشكل هائل بعد احتلالهم للبحرين .

* * *

---

(١) جريفيث ص ٣٨٩ ..



الخاتمة

الوضع الإجتماعي والشئون المحلية :

ان العتوب ينتمون اصلا الى بعض الاسر العربية التي نزحت من منطقة الافلاج في نجد . واستقر بهم القرار في الكويت اولا حيث عاشوا فيها حتى ١٧٥٢ في حماية شيوخ بني خالد . وعندما توفي سليمان الحمد ، شيخ بني خالد استقل العتوب واختاروا صباح بن جابر ، جد الحاكم الحالي اول حاكم معروف يتولى الحكم في البلاد . وفي عام ١٧٦٦ انشأ آل خليفة وهي العائلة العتبية من حيث النفوذ المدينة الثانية في منطقة الزبارة . وفيما بين ١٧٨٢ و ١٧٨٣ اشترك آل صباح وآل خليفة معا في فتح البحرين . غير ان هذا وضع العتوب في مأزق سياسي . لان البحرين كانت دائماً وأبداً محط اطماع جيرانها

وفي كل من الدولتين كان نظام الحكم وراثيا لا يسمح لاحد خارج افراد العائلة ان يتولاه . كما كانت السلطة القبلية للشيوخ قوية ، غير ان الطابع التجاري للحاكم حال بينه وبين ان يصبح استبداديا كما كان متوقعا له . وفضلا عن ذلك ، فالى جانب النفوذ الذي تمارسه طبقة التجار في مجتمعات العتوب ، كان هناك نفوذ القضاة الذين عن طريقهم يتم تنفيذ قوانين الشريعة .

وفيما عدا جزيرة البحرين ، فلا يمكن التأكد من حدود اراضي العتوب . فجزيرة فيلكة في الشمال تعتبر جزءا من الكويت ومع ذلك فكون الكويت والزبارة قد نشأتا في مناطق صحراوية غير مأهولة فان هذا قد هيأ لاهلها منفذا

حرا في كل من البر والبحر . اما في قطر ، وعلى سبيل المثال ، فقد استقر الجلاهمة في خور حسن شمال الزبارة ، وفي القرن التاسع عشر استوطن هؤلاء الدمام القريبة من القطيف دون ان يواجهوا اي معارضة . ومهما يكن من شيء لقد كانت اراضي العتوب ، باستثناء البحرين والجزر المتاخمة لها واقعة ضمن مناطق نفوذ بني خالد .

غير ان العتوب لم يمارسوا اعمال القرصنة كغيرهم من القبائل العربية البحرية الاخرى ، والاستثناء الوحيد من هذا هو رحمان بن جابر من قبيلة الجلاهمة وعلى الرغم من ذلك فان جابر لم يعمد الى ممارسة القرصنة الا بعد ان رفض آل خليفة تخصيص نصيب له من تجارة اللؤلؤ وفي الغنائم التي استولوا عليها بعد احتلالهم البحرين .

وبالرغم من الظروف التي اجبرت آل خليفة على مغادرة الكويت في الستينات من القرن التاسع عشر ، والاقامة في الجنوب ، فقد ظلت الاواصر الودية قائمة بين الاسرتين الحاكمتين من آل صباح وآل خليفة . وثمة مثلان يشهدان على ذلك . اولهما ان عتوب الشمال انضموا الى بني عمومتهم في مقاتلة الشيخ ناصر حاكم ابوشهر في ١٧٧٠ ، كما وفي الحملة التي ادت الى الاستيلاء على البحرين فيما بين ١٧٨٢ و ١٧٨٣ . كما ان قيام العتوب بارسال بضائعهم الى حلب عن طريق الكويت يعد دليلا آخر على التضامن الذي كان قائما بين الاسرتين .

وثمة ما يدل على ان دول العتوب قد استطاعت في نحو اواخر القرن الثامن عشر ان تشكل فيما بينها نوعا من الوحدة السياسية بزعامة الشيخ عبد الله الصباح . وهذه الخطوة هي تعبير عن التقليد العربي المعروف باسناد زعامة الامة الى اكبر رجالاتها سنا . وبالتالي فان الشيخ عبدالله هذا بحكم كونه اكبر زعماء العتوب سنا ، اختير حاكما للعتوب ، وان سلطته ، على حد قول مالكولم قد شملت كل اراضي العتوب الشمالي منها والجنوبي .

الشئون الخارجية :

اما فيما يختص بعلاقة العتوب بالدول الاخرى ممن كانت لها مصالح في شرقي شبه الجزيرة العربية ، فمن الواضح ان العتوب بذلوا قصارى جهدهم في الاحتفاظ بصلات ودية معها . وفي منتصف القرن الثامن عشر ، حلت منطقة شرقي الجزيرة العربية من نفوذ العثمانيين . والواقع ان هذه المنطقة لم تعترف بالحكم العثماني . كما ان محاولات العثمانيين لاستعادة مكانتهم المفقودة في الحسا خلال حملة تويني ١٧٨٦ ، وحملة علي باشا ضد الوهابيين ١٧٩٨ لم يكتب لها النجاح .

اما في الكويت ، وهي اقرب منطقة بين ممالك العتوب الى ولاية البصرة العثمانية فلم يكن الشيخ يخضع لاي سيطرة من جانب العثمانيين ذلك لان غاية السياسة الخارجية للحكام العتوب كانت تقوم على مصادقة كل القوى التي كانت موجودة يومئذ في منطقة الخليج .

وبالتالي ، كان عتوب الكويت ، على ما يبدو يؤيدون باشا بغداد في المراحل الاولى من حصار الفرس للبصرة ١٧٧٥ . الا ان موقفهم هذا قد تغير عندما تأكدوا بعد ان اصبح احتلال الجيش المحاصر للبصرة امرا مؤكدا ، وبذلك ارسلت المساعدة للفرس . وبالرغم من هذا ، فان النفوذ الفارسي الذي كان يتمثل في الشيوخ العرب حكام القسم الفارسي من ساحل الخليج ، لم يكن لـه وجود في شرقي الجزيرة العربية خلال الفترة التي يتناولها هذا الكتاب والاحرى ان نقول ان العتوب تمكنوا من تصفية النفوذ الفارسي في اقرب مناطقه ، الى القسم العربي من ساحل الخليج عن طريق احتلالهم للبحرين . وبما ان الكويت لم تكن دولة تابعة للبصرة ، فان احتلال الفرس للبصرة (١٧٧٥ ـ ١٧٧٩) لم يكن له اي تأثير على الكويت .

كانت علاقة العتوب بالهولنديين والانجليز علاقات طيبة . وبالنسبة للاولى

تتمثل هذه العلاقة في اقامة المركز الهولندي في جزيرة خارج شمال شرقي زاوية الخليج المواجهة للكويت تقريبا . اما علاقة العتوب بالانجليز فكانت اقوى وأوثق ويبدأ تاريخ هذه العلاقة منذ عام ١٧٧٥ عند حصار الفرس للبصرة ، كما ظهر في تعاطف شيوخ الكويت مع الانجليز في المساعدات التي كانوا يقدمونها لهم . ومنها على سبيل المثال موافقة حكام الكويت على اعتقال المبعوثين الفرنسيين ومصادرة بريدهم في الخليج ولعل اقدم دليل على هذا التعاون حادث الكابتن بوريل دي بورج ١٧٧٨ واتخاذ الكويت في ١٧٩٣ كبديل للمركز االبريطاني في البصرة فترة امتدت عامين ونصف عام . كذلك تعتبر المساعدة التي قدمها المركز البريطاني في الكويت ، لصد العدوان الوهابي عليها دليلا آخر على وجود علاقة ودية وثيقة بين هاتين الدولتين .

لقد اتخذ العتوب موقف العداء من الوهابيين ، وذلك بسبب ولأنهم لبني خالد الذين كانوا اعدى اعداء الوهابيين . وقد ظل العتوب بمأمن من خطر الوهابيين خلال المرحلة الاولى من الصراع حيث كان في مقدور بني خالـــد الصمود في وجه الوهابيين . غير ان هذا الموقف قد تغير بعد ان قضى الوهابيون على سلطان بني خالد في نحو سنة ١٧٩٥ ، وهكذا وقع العتوب تدريجيا تحت النفوذ الوهابي .

لأوضاع التجارية :

نستعرض النشاط التجاري لدول العتوب حيث يطالعنا ما حققوه من نجاح ساحق في هذا المضمار . فقد عرف العتوب كيف يستغلون الميزة الجغرافية على كل من البر والبحر من اجل تنمية تجارتهم واثراء انفسهم وللمرة الاولى تكشف هذه الدراسة بوضوح عن دور الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية في تجارة الهند وأوربا . واذا كان بنوخالد قد انتهجوا سياسة تقوم على تشجيع التجارة فان العتوب قد تفوقوا عليهم في هذا المضمار حتى كادوا ان يحتكروا تجارة المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة كلها . وكان اسطولهم اقوى اسطول

في الخليج ، ففي أقل من ستة عشر عاما بعد انشاء الزبارة ١٧٦٦ تمكن العتوب من تحدي كل القوى البحرية في الخاج ، بحيث لم تستطع سفن ابوشهر او بندررق او بني كعب ان تقف موقف الند للند مع العتوب. وكان اسطول العتوب هو الاسطول الثاني بعد اسطول عمان . والحق ان كثيرا من سفن العتوب كانت تبحر بين موانيء الخليج والهند على الدوام .

وفي منتصف القرن الثامن عشر اطمأن العتوب بانه لم يعد ثمة خطر يهددهم من جانب الدول التجارية في أوربا . ولولا هذا ، وطرق القوافل الصحراوية لما استطاع العتوب ان يحققوا ما حققوه من نجاح . ولما حقق وجودهم في الكويت والزبارة ما حققه من تطور وازدهار . هذا رغم انهم كانوا يقيمون في منطقة صحراوية قاحلة . لقد استغل العتوب الى اقصى حدود الاستغلال هذين الطريقين التجاريين ، طريق آسيا و أوربا من ناحية ، وطرق التجارة الداخلية للجزيرة العربية من ناحية أخرى .

كذلك فقد كان احتلالهم للبحرين بين عامي ١٧٨٢ و ١٧٨٣ نقطة تحول بالغة الاهمية بالنسبة الى الاوضاع التجارية فقد وضع هذا في ايديهم اغنى منطقة لانتاج اللؤلؤ ، ومركزا حيويا للنشاط التجاري . وبفضل استخدامهم الذكي لظروف الجزيرة التي احتلوها فقد حققوا نجاحا منقطع النظير . ان اي محاولة لاستقصاء النشاط التجاري للعتوب ، سوف تكشف عن حقيقة هامة وهي ان ما كانت تنقله السفن العربية التابعة لمسقط وموانيء العتوب من البضائع لم يكن يقل ان لم يكن يفوق كل ما كانت تنقله السفن الاوربية مجتمعة ومع ان الارقام الحقيقية لهذه التجارة غير معروفة ، الا أن تقارير مانستي وجونز تعتبر مرجعا . لا يترك اي مجال للشك في ضخامة تلك الارقام . وكانت المراكب العربية ، واكبرها اسطول العتوب هي التي تحتكر تجارة الخليج على امتداد معظم الخمسين عاما من القرن الثامن عشر .

ونلاحظ في النهاية ، ان اسس حكم البيتين الحاكمين لآل صباح وآل خليفة. طوال هذه الفترة كانت تدعمه وتحميه حصافة ومثابرة زعيمي الحكم فيهما ونعني بهما عبدالله الصباح ، الحاكم العتبي الثاني للكويت واحمد آل خليفة حاكم الزبارة .

فعلى الصعيد البحري كان هذان الحاكمان قوة لا تقهر . وعلى العكس من ذلك كان مركزهما في البر اضعف ولهذا ادركا مبكرا ان مقاومتهما للوهابيين بعد انهيار نفوذ بني خالد لم تعد تجدي . وهذا ما برهنت على صحته الاحداث.

●

ملحق

مسألة مسيو ده بوريل دي بورج [1]

بناء على معلومات وصلت من القرين(الكويت)[2]عن وصول مسئول فرنسي اليها يحمل مظروفا هاما الى بوندي يشيري ، قرر مندوبو شركة سيادتكم السعي للاستيلاء على ذلك المظروف ، وهو اجراء بدا لهم ضروريا نتيجة لتصريح ادلى به المسئول الفرنسي المذكور في القرين عن نشوب الحرب بين فرنسا وانكلترا .

وعليه فقد صدرت الاوامر الي بالشخوص فورا الى القرين ، لبذل اقصى ما في وسعي لا للحصول على المظروف فحسب بل وللقبض على حامله . ولقد غادرت البصرة ليلا على طراد سيادتكم ايجل ، ولما لم يكن اتجاه الرياح في صالحنا فقد كان من المحتمل أن يتأخر الطراد لفترة ما قد تسمح لحامل المظروف بالهرب الى مسقط ، فقد استأجرت قاربا نهريا ، اعتقادا مني ان القارب قد يوصلني الى القرين بأسرع مما لو سافرت بالطراد الذي لا بد وان يثير مرآه الضحية التي خرجت للقبض عليها ، او على الاقل قد يعطيه ذلك فرصة لاتلاف الحقيبة ان لم يكن اخفاءها . ولهذا تركت الطراد في النهر ، وفي خلال عشرين ساعة وصلت القرين وكانت الساعة العاشرة مساء ، وفور نزولي توجهت الى الشيخ وبعد ان تأكدت من موقفه الى جانبي ، او على الاقل بصورة تجعله لا يتدخل في المهمة التي جئت من اجلها توجهت على الفور الى المسكن الذي كان

---

(١) رسالة من ابراهام إلى مجلس ادارة الشركة من القرين بتاريخ ٧ / ١١ / ١٧٧٨ .

(٢) المترجم ..

يقوم به المبعوث ، وكشفت له عن شخصيتي كما استوليت على الحقيبة التي في يده ، وسقته الى القارب الذي كنت فيه . وقد تم كل هذا دون ادنى مقاومة من جانبه .

عدت الى الطراد « ايجل » بعد نحو ١٢ ساعة ، وبعد ان فتحت المظروف ، وجدت انه يحتوي على عدد من التوصيات المكتوبة بالشفرة مرسلة من المسيو دي سارتين (*M. De Sartine*) وزير الشئون البحرية في فرنسا موجه الى المسيو دي بلكومب (*De Bellecombe*) القائد الفرنسي العام في بوندي يشيري والى المسيو دي برنانكو (*De Briancourt*) النقل الفرنسي في سورت ، بشأن اعلان الحرب بين فرنسا وانجلترا ، ورسائل اخرى عديدة فهمت منها جميعا ان المبعوث هو الكابتن بوريل دي بورج ، وان التعليمات التي يحملها غاية في الاهمية ، وانه مكلف بتعيين مقيم فرنسي في مسقط ليشرف على عملية نقل البريد الفرنسي بمنتهى السرعة عن طريق حلب ، وان ملك فرنسا بعد ان اعترف باستقلال الولايات المتحدة امر باستقبال جميع السفن التابعة لتلك الدولة في الموانيء الفرنسية وأن توجه اليها نفس التحية الرسمية التي توجه الى سفن الولايات المتحدة الهولندية . ومن مذكرات الكابتن دي بورج تبين لي انه غادر مرسيليا يوم ١٤ اغسطس ، ووصل الى هنا في حلب في ظرف ٢١ يوما .

قبل مغادرتي للبصرة كان مقررا ان أبعث بالمظروف فورا الى الهند عن طريق الطراد اذا تبين انه مظروف ذو أهمية . ولذلك فان اعلان الحرب من جانب كان دليلا كافيا لارسال المظروف وبالتالي فقد اصدرت اوامري الى الكابتن شريف قائد الطراد بأن يتجه على الفور الى بومباي دون ان يمر بابو شهر او مسقط لتسليم الكابتن دي بورج والمظروف الذي يحمله الى سيادة الحاكم والمستشار .

« خطاب من وليم ديجيس لا توش (مركز البصرة) إلى المستر مانستي »
(من مركز البصرة) [1] .

ان هناك عددا من الدول (بالاضافة الى بني كعب) من مصلحة ، الشركة ان تحتفظ معهم بعلاقات ودية – كأهل بندررق – والقرين وغيرهما من قبائل الساحلين العربي والفارسي ممن في استطاعتهم ان يلحقوا ضررا بتجارتنا ، ومن هؤلاء ايضا شيوخ قبائل المنتفك ، بني خالد ، وغنزة وفزالة وذلك لتأمين طرود بريد الشركة والتجارة الانجليزية . والرحالة الانجليز اثناء مرورهم بالبصرة وحلب وبغداد .

كما ينبغي تقديم الهدايا في الظروف المناسبة الى هؤلاء الزعماء لما في ذلك من اهمية بالغة للاحتفاظ بصداقتهم وقد تم تحديد المبالغ التي تعطى بهذه المناسبة ، ولا يجب زيادتها ، على الرغم من التعليلات الكثيرة التي قدمت او التي تقدم في سبيل هذا التعديل . اما تقرير المنح الاخرى فينبغي ان يتم وفقا لما تقررونه وطبقا للظروف ، الا انه لا بد من التزام جانب الحذر في كل ذلك . فأذا كان المنح كبيرة ومتكررة فمن المحتمل ان ستشجع الشيوخ الى طلب المزيد منها . ومن ناحية اخرى اذا لم تكن المنح والهدايا من بعض الوجوه تتفق مع مركز الشخص المعطاة له ، فان عدم اعطائها في هذه الحالة افضل من اعطائها وهي تعتبر عند البعض كضرب من الزكاة الواجب اداؤها . ولكن بعد ان تأكدت من هذه الامور اقتنعت من اعطاءها حتى يدرك الجميع انني اعطيها بمحض رغبتي ، كما اوضحت لهم بان هذه المكافاءات انما اقدمها مقابل خدمات قدمت لي فعلا وليس من اجل خدمات تقدم لي في المستقبل .

التوقيع

(لا توش)

البصرة في ٦ نوفمبر ١٧٨٤ .

---

(١) بريد رقم ١٢٩٩ مجلد ١٨ من سجلات المركز التجاري في البصرة .

« استيلاء العتوب على البحرين »

نص خطاب من لاتوش (المندوب المقيم في البصرة) إلى مجلس إدارة في لندن بتاريخ ٤ نوفمبر ١٧٨٢ [1] .

قام أهل الزبارة والقرين في المدة الاخيرة بالاستيلاء على البحرين ونهبها ، كما اغتصبوا عند مدخل النهر عددا من المراكب التابعة لابو شهر وبندررق ، وردا على هذا العمل قام الشيخ ناصر حاكم ابو شهر بحشد اسطول وقوة بحرية في ابوشهر ، وبندررق وغيرهما من الموانيء الفارسية . واعلن عن نيته الانتقام من هذه الاعمال العدوانية وذلك بمهاجمة الزبارة ، وقد كتب الى علي مراد ، حاكم اصفهان يطلب تزويده بالمال . وعلى الرغم من هذا الحماس فان الشائع ان المذكور قد تقدم بطلب للصلح ، الا ان الشيخ رفض طلبه ، ما لم يدفع الشيخ ناصر نصف دخل البحرين ، وزكاة سنوية كبيرة عن ابو شهر .

ومنذ وقت غير طويل اضطرت القرين الى دفع زكاة كبيرة الى بني كعب ويومئذ لم يكن اسم الزبارة معروفا بعد . وعندما هاجـــم الفرس البصرة ، اعتزل احد شيوخ القرين في الزبارة مع عدد كبير من اعيان البلاد ، كما توجه الى هناك عدد من تجار البصرة . ولهذا فان قسما كبيرا من تجارة اللؤلؤ وتجارة الهند كان يمر عن هذا الطريق وعن طريق القرين . وخلال احتلال الفرس البصرة ازدادت أهمية هذه المناطق ومكانتها ، لدرجة انها بدأت تتحدى شيخ ناصر لهم .

البصرة في ٤ نو فمبر ١٧٨٢ .

الامضاء
« لاتوش »

---

(١) بريد رقم ١٢٣٠ مجلد ١٧ من سجلات المركز التجاري في البصرة .

« ترجمة خطاب من المقيم إلى عبد الله ابن صباح شيخ القرين »
(بتاريخ ١٧ أيلول ١٧٨٩) [1] .

نظرا للصداقة التي تربط بيننا منذ وقت طويل فاني اود ان أكتب اليكم الآن .

لقد قمت اخيرا بزيارة لباشا بغداد في مخيمه . وخلال محادثاتنا ذكر الباشا اسمكم وقال بأن صداقة قديمة كانت نشأت بين أهل القرين وأهل البصرة . وقد أبدى الباشا دهشة كبيرة وغضبا على مسلككم في حماية الاشخاص الذين اعلنوا الثورة ضده ، والذين فروا اليكم حتى لا يوقع عليهم العقاب على ما ارتكبوه من مخالفات . ويقول بانه ما لم تسلموا اليه هؤلاء الاشخاص ، او تبعدوهم عن دياركم ، فانه سوف يعتبركم اعداء له وسوف يجهز حملة ضدكم .

كما اخطرني بأنه سوف يزحف بجيشه الى القرين ، كما سيأمر الاسطول بمهاجمة سواحلكم لمساندة الجيش . وقال بأنه يعتزم ان يطلب من حاكم بومباي ، تزويده بقوة بحرية ، كما كلفني بأن اخطر حاكم بومباي بهذا الشأن .

ان الصداقة قد أملت علي ، والحالة هذه ، على أن احيطكم علما برأي باشا بغداد .

---

(١) هذا الخطاب مع عنوانه والخطاب الذي يليه وارد في المجلد الثامن عشر من سجلات مركز البصرة عن فارس والخليج وان الرقم المسلسل للخطابين في المجلد المذكور هو ١٥٣٢

« ترجمة خطاب من الشيخ عبد الله صباح الى المقيم »
(وقد وصل بتاريخ ٣٠ ابريل ١٧٨٩)

بعد التحية ،

تلقيت خطابكم وفهمت مضمونه . وانكم تذكرون ان الصداقة كانت دائما تربط بيني وبين الانجليز ، وأني اسأل الله ان يبقي على هذه الصداقة الى آخر الدهر . واني شاكر لكم على المعلومات التي قد افدتموني بها بخصوص نوايا سليمان باشا الذي الاحظ انه استاء من مسلكي ازاء مصطفى باشا .

ان ارض القرين تخص الباشا ، وان اهلها خدام له ، ولعلكم والحمدلله ملمين بعاداتنا وتقاليدنا ، وان اي شخص يطلب الينا الحماية فاننا لا نستطيع ان نرفض طلبه . فبعد ان نعطيه الحماية ، فانه من العار الصارخ ان نتخلى عنه او نسلمه الى أعدائه .

انكم تعلمون كما يعلم الباشا والعالم اجمع انه ليس لنا مصلحة من وجود مصطفى أغا في القرين ، ولكن طرده خطأ ، وتسليمه الى عدوه عار .

واني اعتمد على صداقتكم في عرض الموضوع على الباشا في صورتـــــه الحقيقية .

دامت أيامكم سعيدة .

البصرة في ٢٩ يونيو ١٧٨٩ .　　　　التوقيع

(ترجمة طبق الاصل)　　　　« صموئيل مانستي »

« ترجمة اتفاق مبرم بين الشيخ سليمان بخصوص توفير حراس عرب لمصاحبة قافلة عبر الصحراء الكبرى من حلب الى البصرة »

نقرر نحن الموقعين ادناه من قبيلة عرب نجد ، اننا نتعهد بمرافقة صاحب هذا الاتفاق ، الكولونيل كابر ، الانجليزي الجنسية ورفاقه ، ونتعهد بأن نصطحب معنا سبعين رجلا من الحرس من قبائل نجد العربية ، والعقالي ، وبني خالد ، على ان يتسلح كل هؤلاء بالبنادق ، كما اننا نحن الموقعين ادناه مدرجين ضمن الاشخاص المذكورين ، فيما عدا الشيخ سليمان بن عطيه ، وأننا نتعهد ايضا بأن نصطحب معنا تسعة من الرفقاء مع بنادقهم اثنان منهم من القبيلتين المختلفتين المدعوتين اجلاس ، واثنين من قبيلتي الفدعان ، وواحد من قبيلة ولد علي ، واحد من قبيلة بني وهيب ، وواحد من قبيلة الكروني ، وواحد من قبيلة البيجي وواحد من قبيلة السرحالي ، والجميع تسعة رفقاء كما ذكرنا آنفا .

كذلك تم الاتفاق على ان نتحمل نحن الموقعين ادناه نفقات مؤونتنا ومؤونة الحرس والرفقاء المذكورين اعلاه وان نحمل هذه المؤونة على جمالنا ، وان ندفع بأنفسنا اجر هذه الجمال ، كما تعهدنا بأن نشتري لانفسنا ١٣ رطلا من البارود ، و٢٦ رطلا من الرصاص ندفع ثمن هذا من عندنا وان الكولونيل كابر غير مسئول عن هذه الاشياء .

كذلك نلزم انفسنا بأن نوفر له ولزملائه ١٩ بعيرا ، لاستعماله وأستعمال زملائه . وأن تقوم هذه الجمال بحمل الخيام والامتعة وماء الشرب لنا ولجيادهم وللتسعة عشر جملا المشار اليهم آنفا ، كما نتعهد ايضا ان نزودهم ببعيرين قويين لحمل المحفة بحيث يتمكنون من تغيير بعير كل يوم ، وان نزودهم بشخص يحمل المحفة من حلب الى القرين . كذلك تعهدنا له بتعيين شخص للعناية بجياده .

اننا الموقعين ادناه نتعهد للكولونيل كابر ، وبمحض ارادتنا ورغبتنا بدفع كافة الرسوم والضرائب للشيوخ وللعرب وللشيخ تيمور ، وللشيخ تونبي ، وجميع شيوخ قبائل بني خالد والى جميع القبائل العربية ايا كانوا ، ونعتبر أنفسنا مسئولين عن كل ما جاء في هذا الاتفاق ، وبالاضافة الى اننا عندما نصل الى منطقة القبيلة العربية التي تسمى قبيلة الاسلام ، وقبيلة شمر ، وأي قبيلـة اخرى فاننا نتعهد باستئجار رفيق من كل منهم ليصحبنا حتى نجتاز حـــدود منطقتهم .

كما نتعهد ايضا بعدم نقل اي بضاعة معنا او رسائل مـــن اي شخص او اشخاص ، فيما عدا الخواجا روبين ، وهي تتكون من ٣٠ بالة، وقد استلمنا من الخواجة روبين اجرة هذه البضائع بالتمام ، بما في ذلك رسوم الطريــق وغيرها من نفقات الرحلة الى القرين . وذلك بموجب الايصال الذي في حوزة الخواجة روبين . كذلك تعهدنا بمحض ارادتنا بتوفير الجمال اللازمة لنقل الثلاثين بالة بحيث لا يؤثر هذا على التزاماتنا للكولونيل كابر . وبأن لا ننفصل عن قافلته الى ان نصل الى القرين . واننا ملتزمون للحرس وغيرهم بدفــع اجرتهم وان الكولونيل كابر غير مسئول عن ذلك . كذلك تعهدنا للكولونيل كابر بإيصاله وزملائه الى القرين في ٣٦ يوما ، اعتبارا من يوم القيام من قرية نيرب ، ولكن اذا شاء الكولونيل كابر ان يتوقف يوما او أكثر عبر الطريق للراحة ، فان هذا لا يدخل ضمن الايام الستة والثلاثون المتفق عليها . كذلك نتعهد ، قال وصولنا الى القرين بثلاثة ايام أن نزود الكولونيل كابر بشخص من جماعتنا ليحمل خطابا منه الى المعتمد البريطاني في القرين .

وبموجب هذه الشروط تم الاتفاق بيننا وبين الكولونيل كابر ، بأن يدفع لنا اتعابنا مقابل كل الخدمات التي اشرنا اليها آنفا وهي مبلغ تسعمائة وواحد وأربعون دولارا وربع دولار وهو المبلغ الذي تسلمناه منه فعلا كذلك تعهد لنا الكولونيل كابر انه عند وصوله بالسلامة الى القرين وبعد ان نكون قد نفذنا

المهمة بالتمام والكمال ان يدفع لنا ثمانمائة دولاراً رومياً اما اذا قصرنا في اي ناحية من مهمتنا المتفق عليها ، فاننا نتعهد بالتنازل عن الثمانمائة دولار المشار اليها آنفا واننا جميعا مسؤلون عن تنفيذ ما اتفقنا عليه وتعهدنا به .

حرر بتوقيعنا في اليوم السادس عشر من شهر شوال ١١٩٢ هجرية .

الموقعون : سليمان ابن عديه ــ محمد البشر ــ علي بن فاصل ــ الحاج عيسى بن حميدان ــ ناصح بن رشيدان ــ سليمان بن ــ غاصب ــ محمد بن نجم ــ سليمان بن نيسه .

شهود الاتفاق : الحاج عمر السيد ــ اسماعيل اسراس ــ الحاج محمد فيروس الحاج ابراهيم السيد ــ الحاج محمد اخين التركيني ــ الحاج فاثوا بن الحاج يوسف مادار الري ــ اسماعيل بن باحمد التكريتي .

شجرة نسب آل صباح حكام الكويت في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشـــر

جــابـــر

صباح

(تولى شياخة الكويت ابتداء من نحو ١٧٥٢ حتى ١٧٦٢ مؤسس بيت آل صباح)

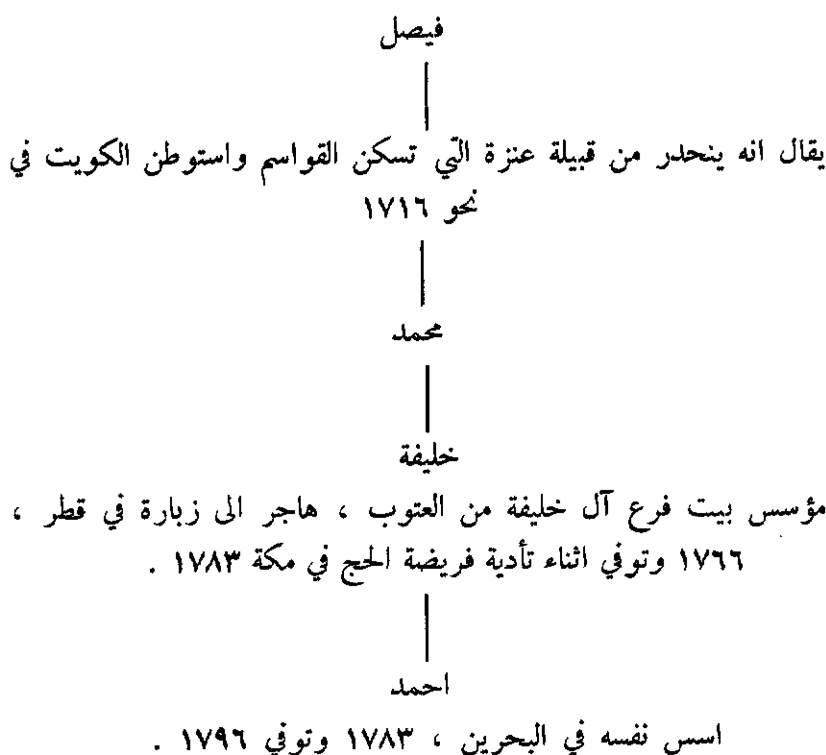
عبدالله

(تولى شياخة الكويت من ١٧٦٢ حتى ١٨١٢)

جابر

(من ١٨١٢ حتى ١٨٥٩)

شجرة نسب آل خليفة حكام زبارة والبحرين في القرن الثامن عشر



شجرة نسب آل سعود حكام السعودية

مغران

|

محمد

|

سعود

تولى امارة جنوب نجد حتى وفاته عام ١٧٦٥

|

عبد العزيز

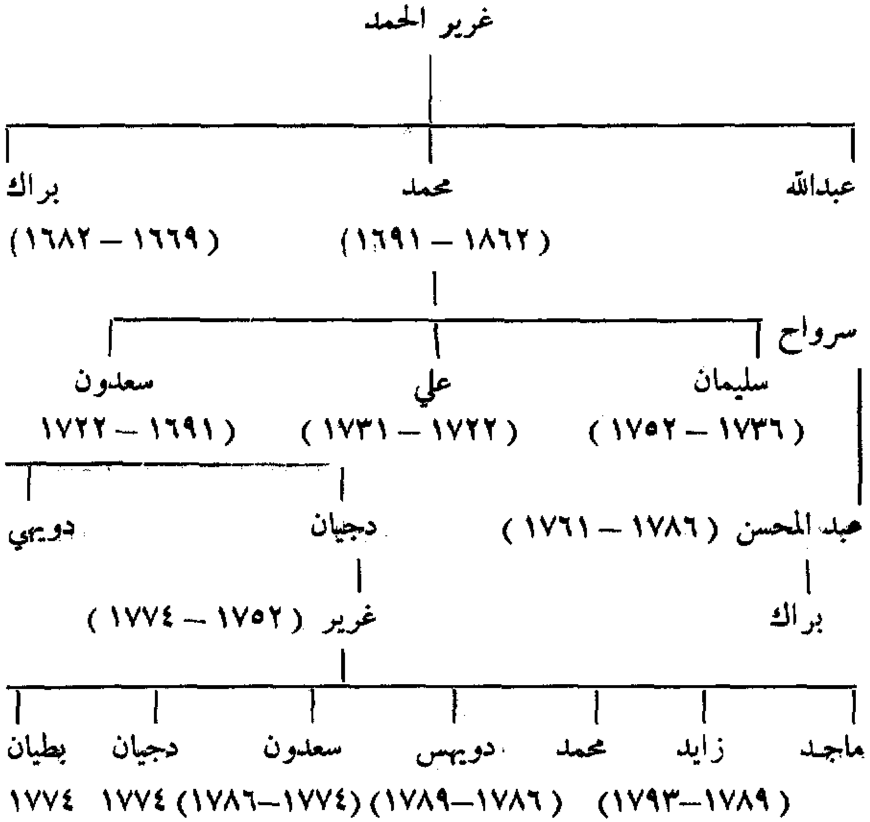
١٧٦٥ ـ ١٨٠٣ ، اغتيل في الدريعة ، وتزوج كريمة الشيخ محمد عبد الوهاب

|

سعود

ولد سنة ١٧٤٦ ، وامه احدى كريمات محمد عبد الوهاب تولى قيادة الجيوش الوهابية خلال حياة والده وتوفي ١٨١٤

شجرة نسب شيوخ بني خالد



فهرس

